المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى ـ كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
شعبة اللغويات

مكانة اللهجات المحكيّة في علم اللغة الحديث

(قراءة في كتب علم اللغة العام العربية وما في حكمها)

بحث مقدم لإكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغويّات.

إعداد الطالب

فيصل بن عبد الله بن علي الصقعبي

٤٣٣٨٨٥٦٣

إشراف الأستاذ الدكتور/

سليمان بن إبراهيم العايد

أستاذ اللغويات في قسم الدراسات العليا العربية

العام الدراسي ١٤٣٦/١٤٣٧هـ

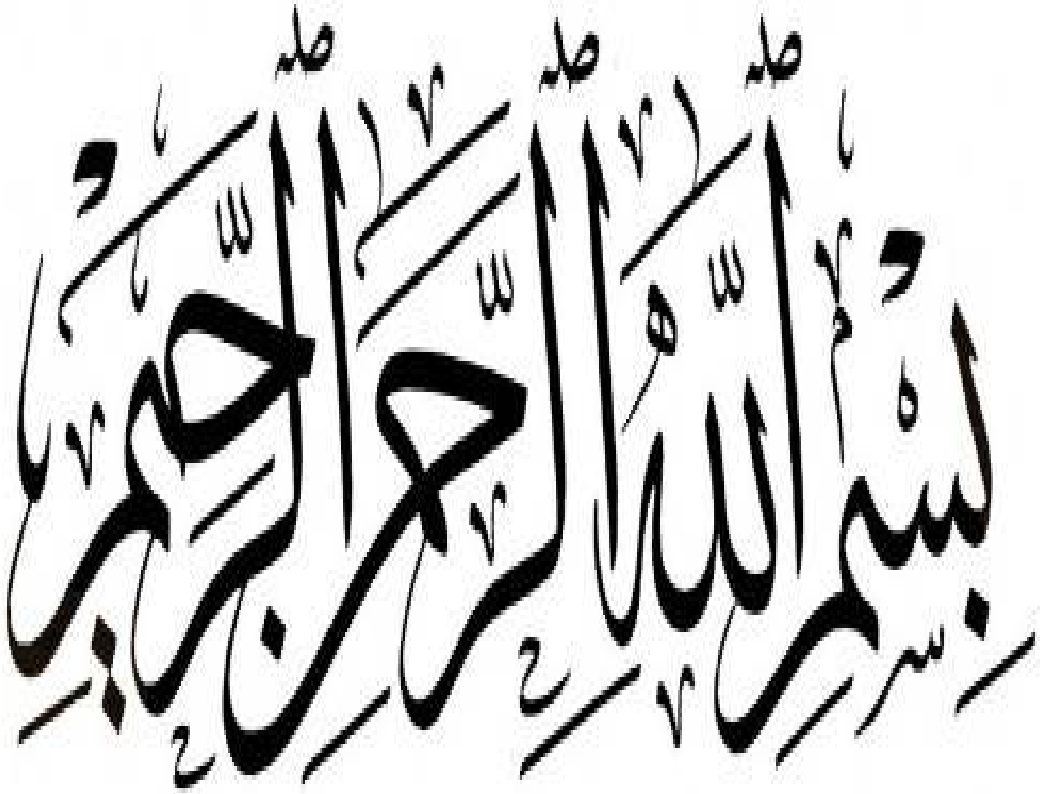
بسم الله الرحمن الرحيم

((ملخص رسالة ماجستير))

العنوان: مكانة اللهجات المحكيّة في علم اللغة الحديث

(قراءة في كتب علم اللغة العام العربية وما في حكمها)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: يهدف البحثُ إلى الكشف عن مكانة اللهجات المحكية عند اللغويين المحدثين، ونظرتهم لها من كتبهم، ولتحصيل هذه الغاية حاول البحث فهم ذلك التصوُّر وتلك النظرة والمكانة، المستمدة من خلال المناهج اللغوية الغربية لإعلائها لمنزلة اللغة المنطوقة ، وإبرازها في ميدان درسه، وجعلها عنوان موضوعه، مهتمًا بها أولاً، وجاعل اللغة المكتوبة تالية لها، ومن ثَمّ جعل اللغات جمعاء في ميدان درسه سواء، لا تتفاضل إلا في محمولاتها.

ولأنّ سمات اللغة المنطوقة تتمثل في الأداء والتلوين الصوتي، فما كان من علم اللغة الحديث إلا أن ابتدر البحث في الجانب الصوتي للغات المنطوقة ؛ لأنه يُمارَس بحرية أكبر، وعُرضة للتطور والتغير عبر التأريخ؛ لتصبح دراسة اللغة من جانبها الصوتي خطوة أولى لدراستها دراسة تاريخية .

مع تقرير أنّ التطور الذي يصيب اللغة إنما هو مسايرة لحركة التطور في المجتمع، ولا تخرج عن سننه، وتخضع لسلطته في اختيارها للمفردات والتراكيب، وفي معيارها الصوابي؛ ليضفي عليها الشرعية ، ويتعاهدها بالرقابة والحماية.

ولما تأثر الدارسون العرب وغيرهم بعلم اللغة الحديث رأوا أنّ خير ما يُمثّل اللغات المنطوقة في البلاد العربية هي اللهجات المحكية المحلية المعاصرة، ورأوا أنها امتداد للهجات العربية القديمة؛ حينما عرضوا لجملة من الظواهر اللغوية في اللهجات المحلية وربطها مع اللهجات القديمة.

علم اللغة الحديث تأثر بالمدرسة الوضعية ؛ فأقام دراساته على أسسه الأربع ، ونظر إلى اللغات من خلال هذه الأسس متخلصين من كل فكرة سابقة، فخرجت الدعوة إلى إلغاء الإعراب ، والتعلق بالقرائن، والتهوين من قداسة اللغات، والتحرر من قيود الكتابة، والدعوة إلى إعلاء شأن اللغة الثالثة . على أنّ دراسة اللهجات المحلية مما يثري المعجم العربي، وتُسهم في توجيه المنطوق للمكتوب وتفسيره.

وقد سطر البحث أبرز النتائج والتوصيات في خاتمته.

الطالب:
فيصل الصقعبي

المشرف
أ.د: سليمان العايد

عميد كلية اللغة العربية
أ. د: عبدالله القرني

(Summary of Dissertation)

The title: The position of the dialects spoken in modern language

(Reading in the books of the Arab language)

The research aims to discover the place of the dialects spoken when the owners of the modern language, and their perception of their books and writes,But all this end, try searching the understanding that vision through language coursesspoken language and visibility in the field of studied and made the theme of the titleinterested in first and make written language subsequent thus making all languages in the field of studied.

Research shows that the features of spoken language performance of phonics, What was aware of the modern language the research initiated in voice side spoken languages, because it freely exercised greater,and expression through history.

With the report of the development that infects the language is the pace of development in the community,do not get out of feeling in the choice of its vocabulary and structures.

Since the learners affected by Arabs and other knowledge of modern language saw that the best represents the languages spoken in Arab country its dialects spoken contemporary local and they saw alongis an extension ofold Arabic dialects.

The modern language was affected by the school position, and put all studieson the four founded, the languages through these foundationsand freedom from restrictions writing, and advocacy to uphold the third language enriching Arab dictionary to the guidance of the operative written and interpreted.

The search line the mainfindings and recommendations in the conclusion

The Dean of Arabic Language College	Supervisor	Student
A.D. Abdullah Algrny	A.D. Suliman Alayed	Faisal Alsaqabi

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد:

فإنَّ اللغة أعظم اكتشافات الإنسان، حين اجتهد في النطق، ونمت فيه قوة السمع، وهي أولى الدعائم التي يقوم عليها تفاهم الناسِ بعضِهم من بعض، وهي صلة الشعوب الناطقة بها، و لها دورٌ في تحقيق المنزلة العليا للإنسان.

اللغة هي لبُّ النظام والانتماء، وهي صوت المجتمع السابق على صوت الأفراد، وهي المظهرُ الإنسانيُّ الأرقى للفرار من الفردية، وإعلان الولاء للمجتمع، فهي الوسيلة التي بها يتواصل الإنسان مع بني جنسه، وهي كما قال ابن جني:" أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضِهم".[1] وكل تغيّر فيها يكون لصالح عملية التواصل اللغوي.

فمن الثابت أنّ اللغة لا تجمد على حال معينة، ولا تقف عند حد مرسوم، وإنما هي عرضة للتطور، بل إنّ تطورها ناموس طبيعي لا سبيل إلى منعه، أو الوقوفِ بوجهه ، ذلك لأنها ترتبط بحياة متكلميها ارتباطًا وثيقًا.

ولما كانت الحياة في تطور دائم وتغير مستمر؛ فإنّ اللغة أيضًا تساير الحياة في هذا الشأن، فترتقي إذا رقيت الحياة وتقدمت، وتتخلَّف إذا تخلَّفت الحياة أو توقفت عن المسير . فإنْ تطوّر المجتمع وارتقى تطورت معه اللغةُ تطورًا وارتقاءً تدريجيًّا، يساير الارتقاء العقلي والحضاري للمجتمع.

وهذا التطور في اللغة يسير سيرورة مستمرة، تحدده حركةُ التطور في المجتمع، وهي حركةٌ ليست على وتيرة واحدة في كلّ المجتمعات، مادامت هناك عواملُ تُسهم في تسريعه أو الحدّ منه، ولعلّ أبرز جانب يظهر فيه التطور المستمر في اللغة هو الجانب الصوتي؛ لأنه يمارَس فيها بحرية أكبر، ومن ثَمّ فإنّ تطوّرَ أي لغة من اللّغات مرهَن بتطوّر جانبها الصّوتي.

هذا التطور كان سببًا رئيسًا في نشوء اللهجات؛ لتتشكل منه مستويات تعبيرية في اللغةِ الواحدة، مختلفةُ الأداءات لدى الأفراد الناطقين بها، متنوعةٌ لاعتبارٍ لهجيّ، أو

---

(١) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، د ط ، د ت، ص٣٣.

لطبيعة المتكلم ومُقامِه، أو لطبيعة اللغة المستعمَلة؛ فتبتعد عن بنيتها الأصلية، أو تذهب كلية، وليست اللغة العربية بمعزل عن هذا التطور؛ إلا أنّ (أثر الإسلام في التوحيد اللغوي)[1] جعل اللغة العربية في خلجات كلّ مسلم ،أيًّا كانت لغته الأصلية، وأضحت جزءًا لا ينفك عن الإسلام ؛ لتصبح رمزًا لغويًّا لوحدة في الثقافة والمدنية.

وما كان من الدراسات اللغوية العربية ؛ لارتباطها بالدين الإسلامي، إلا أن تمكث على دراسة لغة القرآن ولغة العرب شعرًا ونثرًا، انطلاقًا من دوافع دينية، لأجل المحافظة عليها وعلى سلامتها، ووضع سياج يكفل لها التوحّد والنفوذ حين يتبلبلُ ما حولها من اللغات، وتنقطع الأواصر اللغوية فيما بينها.

ومع بزوغ شمس القرن العشرين شهدت الدراسات اللغوية تطورًا ملحوظًا، وانتقالة نوعية في ميدان درسه، من حيث المناهج والاهتمام باكتساب اللغة وتعلُّمِها، وما كان من هذه الانتقالة إلا أن قلبت مسار الفكر اللغوي، وغيّرت وجهته، بعد أن كان المنهج المعياري والنظرة التأريخية هما المسيطرَين على حقل الدراسات اللغوية طوال عهود خلت؛ لذا شكل القرن العشرين انطلاقة فكر لغوي جديد تردد صداه في الدرس اللغوي العربي الحديث.

انطلق الدرس اللغوي الحديث من ثورته على الدرس اللغوي التقليدي، المقتصر على المنهج التأريخي، المعتمد على فكرةٍ فلسفيةٍ أو معيارية، تُعنى " بتتبع الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى، لا بوصفها عناصر في نُظم لغوية تتبين قيمُها بموقعها في هذه النظم، وإنما بالنظر إليها كما لو كانت ظواهرَ منعزلة، أو بالأحرى كما لو كانت أمثلةً جزئية لا تخضع لقواعد مطردة"[2].

ولأجل هذا الرفض للمنهج التأريخي، انطلق علم اللغة الحديث من فكرة أنّ الدراسة الحقيقية للغة لابُدّ من أن تُحددَ بوصف اللغة المنطوقة في زمانٍ ومكانٍ

---

(١) في هذا العنوان قدّم خالد بن أحمد إسماعيل الأكوع رسالة لإكمال متطلبات درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، وهي مسجلة برقم ٦٥٢٤ وبإشراف الأستاذ الدكتور عليان بن محمد الحازمي، وقد طُبعت بعدئذٍ في مكتبة الرشد، الرياض ، عام ١٤٢٨هـ.

(٢) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د ط، ٢٠٠٥م، ص ١١٠.

محددَين، وبهذا أعاد علم اللغة الحديث الاهتمامَ باللغة المنطوقة وأبرزَه ؛ لأنه يرى أنّ من البديهيات عنده أن تأتي دراسة اللغةِ المنطوقة أولاً، واللغةِ الأدبيةِ والمكتوبةِ ثانيًا؛ لأنها مشتقةٌ منها تاليةٌ لها.

وحينئذٍ غدت دراسة اللهجات المحكية المعاصرة من أحدث الاتجاهات اللغوية في العالم العربي ؛ كونها تمثّل اللغات المنطوقة بل هي موضوعه، وميدان درسه، وهي الخطوة الأولى لدراسة التطور التأريخي للغة " إذ إنّ دراسة لغة دراسة تاريخية لا يتم إلا بعد الانتهاء من بحث لهجاتها"[1]، وبسبب ثراء هذا الموضوع، أي دراسة اللهجات المحكية المعاصرة، بما فيه من مشكلات ، وبما حَظِيتُ به من توجيه وإرشاد من أستاذي الأستاذ الدكتور : سليمان بن إبراهيم العايد، الذي أغدق عليّ من علمه الفذ، وفكره النافذ، وأكرمني من وقته الثمين، الذي لا أجدُ ما يكافئه إلا زواجل السماء، فأجزل الله له المثوبة والأجر، وجزاه عني خير الجزاء!، كان هذا الموضوع.

فحين عرض عليّ أستاذي الدكتور سليمان العايد دراسةَ البحثِ اللهجيّ عند أصحاب علم اللغة الحديث صادَفَ في نفسي هوى ورغبة، فعقدتُ النية، وعزمتُ على أن أمضيَ قُدمًا وأن أمتطيَ مع احتمالٍ المصاعبَ، وأن أرضى ببالغ محبة وسرور ركوبَ المخاطر، وبعد تأملٍ وتمحيص، وبحث وتتداول استقرّ الرأيُّ أن يكون عنوان الدراسة هو:

" مكانة اللهجات المحكية في علم اللغة الحديث"

" قراءة في كتب علم اللغة العام العربية وما في حكمها "

وتكمن أهمية هذا الموضوع كون أنَّ جوهر المشكلة هو فصحى اللغة وعاميتها، كما يرى بعض الباحثين؛ حين أشار إلى العاقبة الوخيمة التي تنتظر الأمة العربية إذا ما وُضع منهجٌ علميّ لدراسة اللهجات المحكية، وأُقرّت كلغات رسمية في كافة أقطار الأمة ، وهذه العاقبة الوخيمة هي التمزُّق الذي لا يقف عند حدود الأقطار العربية، بل يمتد داخل القطر الواحد بسبب تعدد لهجاته المحلية، حيث ينقسم إلى مناطق متعددة لكل منها لهجة مستقلة، فتتسع بذلك رقعة التقسيم، وتزداد عوامل التمزق بين أفراد

(١) اللهجات العربية في التراث، د: أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، د ط ، ١٩٨٣م، ص٩.

الأمة العربية .

غير أنَّ هذه الدراسة لمكانة اللهجات المحكية في علم اللغة الحديث لا تُعَدُّ دعوة للعامية، ولا يُقصد منها تقديم العامية على الفصحى قدرًا، وأهمية، لكنها تريد افتراضًا أن تُجيب عن هذه التساؤلات:

- هل يمكننا أن نُهوّن من لغة لها نص مقدس ؟.
- هل تؤدِّي مثل هذه الممارسات إلى إضفاء الشرعيّة على دراسة اللهجات المحكية؟
- هل يمكن أو يُتخيَّل أن تؤدّي هذه الممارسات إلى إحلال اللهجات المحكية محلّ الفصحى؟
- هل يمكن للعربية الفصحى أن تحلَّ محلَّ اللهجات المحكية في المحادثة والتواصل والخطاب الشفاهي ؟ أو تُستبدل بالعربية الوسطى (اللغة الثالثة) ؟.
- هل يؤثر الازدواج اللغوي على استقرار اللغة الأم ؟.
- ألا تكون اللهجات المحكية رافدًا لإثراء المعجم العربي تُمده بما فات المعجميين الأوائل؟.
- ما حقيقة الفصحى وما علاقة اللهجات بها ؟ وأيٌّ منهما نشأ عن الآخر ؟.
- ما علاقة اللهجات المحكية المعاصرة بالفصحى أو النموذجية ؟.

وقد كان منهج الدراسة يسير وفق المنهج الوصفي التفسيري. وصفيّ حين يورد موقف علم اللغة الحديث من اللهجات المحكية المعاصرة ، وكيف ينظر إليها ، ومفسّر ذلك الموقف وتلك النظرة، مستنبطًا منها ما بُني عليها من آراءٍ وأفكار وأثرها في الدراسات اللغوية عامة، وتأثيرها على الدراسات اللغوية العربية خاصة.

وإني مع طول بحث واستقصاء وكثرة سؤال ومطالعة وتنقيب ،لم أجد، فيما اطلعت عليه، بحثًا تناول هذا الموضوع بدراسة مستقلة، ذلك أنّ الباحثين، وجهودهم مشكورة، منصرفون إلى البحث في إشكالية العامية والفصحى وانعكاسها على الحياة الأدبية، مما أمدّ المكتبة العربية بفيض وافر حول هذه القضية.

وقد تضمَّنت هذه الدراسة بابين، لكل بابٍ عنوانٌ خاصٌّ به، وفيهما فصول،

وهذان البابان مسبوقان بمقدمة وتمهيد، ومتلوّان بخاتمة وفهارس.

أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع ومنهج الدراسة فيه.

وأمّا التمهيد (من الصوت إلى اللفظ) فكان الحديث فيه عن مفهوم الصوت الإنساني، وعن الصوت اللغوي، وعن اللغة والكلام وتعريفهما والفرق بينهما، وكون اللغة عند أصحاب علم اللغة الحديث مؤسسة اجتماعية.

فأما الباب الأول: " النظرية اللغوية لدراسة اللهجات المحكية" ، فيه فصلان:

الفصل الأول: وفيه الحديث عن : مترلة المنطوقة (اللهجة/العامية) في كتب علم اللغة الحديث في خمسة مباحث:

المبحث الأول: التسوية بين اللغات والمستويات اللغويّة .

المبحث الثاني: الحديث عن اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة .

المبحث الثالث: سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث .

المبحث الرابع: دلالات الذوق اللغوي.

المبحث الخامس: معيار الصواب اللغوي.

وأما الفصل الثاني فالحديث فيه عن : صورة اللهجات (اللغة المنطوقة) في كتب علم اللغة الحديث، في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الظواهر اللهجية بين المنطوقة والنموذجية في ضوء الموروث الشفوي.

المبحث الثاني: العلاقة بين الفصحى (النموذجية) والعامية (المنطوقة) .

المبحث الثالث: الازدواج اللغوي .

وأمّا الباب الثاني : الممارسات الإجرائية والمقاصد النفعية لتقعيد اللهجات المحكية ففيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : بناء المفاهيم وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السليقة" الفطرة ".

المبحث الثاني: الاستقراء .

المبحث الثالث: النموذج والطراز.

الفصل الثاني : مظاهر تقعيد اللهجات المحكية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام .

المبحث الثاني: إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن .

المبحث الثالث: تمثيل الكلام بين الرسم والنطق.

الفصل الثالث : والحديث فيه عن المقاصد النفعية من دراسة اللهجات المحكية وتقعيدها وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التهوين من قداسة اللغة وما يتصل به .

المبحث الثاني : إعلاء شأن اللغة الثالثة .

المبحث الثالث: إثراء المعجم العربي .

المبحث الرابع: توجيه المنطوق للمكتوب وتفسيره.

ثم خاتمة ذُكر فيها ما توصّل إليه البحث من نتائج .

وبعد: فلستُ أحدثكم عن طريقٍ سبيلُه مليء بالمشقة والمصاعب ، وهي مع ذلك تحتاج إلى صبر ومعاناة، ومجاهدة نفس ميّالة إلى الدعة وحبّ الراحة، من أجل النأي بها عن ملذاتها ورغباتها؛ حتى غدا هذا البحث أنيسي وجليسي، أهرب إليه، وأصبح رهينًا بين يديه، يُؤاكلني ويُشاطرني حياتي، وإني مع ذلك لا أدعي الكمال وأني أعطيته حقه، فكلّ عملٍ لابد أن يعتوره النقص، فالكمال لله وحده.

وأخيرًا وليس آخرًا أبعث رسالة شكر وعرفان لجامعة أم القرى أن منتحتني فرصة مواصلة الدراسات العليا في برنامجها المقام في كليات بريدة الأهلية؛ فتتلمذت على يد علماء أجلاء من كوكبة أعضاء هيئة التدريس فيها، فلها جزيل شكر وعرفان.

وإني لأزجي شكري العميق الصادق، المُدبّج بلآلئ البر والإحسان لأستاذي المِعطاء الأستاذ الدكتور : سليمان بن إبراهيم العايد، الذي أشكره شكرًا خالصًا؛ لما أغدق عليّ وأجزل، ولم يضنّ علي بفكرة ولم يبخل، فهو مَعِين لا يستنزفه المستنزفون، ولا يُكَدِّر صَفْوَهُ الماتِحُون، معينٌ لا ينضب، وينبوع لا ينقطع، فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يرفعه الله فوق هام النسر والقُطُبِ!.

ولن أنسى إذ أنسى مَن إليها أنتمي، وبها أكتفي، ودونها أنتهي (أُمِّي) رمز التضحية والحب، والحنان والرعاية والإشفاق، والدعاء الدائم، فكيف أبلغ شكرها؟!

أما تلك الدوحة الباسقة الوارفة الظِّلال، المزهرة على الدوام (زوجتي) التي أقبلت مؤخرًا فأقبل السَّعد بين يديها فكانت خير مُعين فيما بقي من البحث، وقسمت للبحث من لحظاتها؛ لتضع لَبِنة ترسم بها الطريق، فجزاها الله عني خير الجزاء!.

ومن ثَمّ فهذا عملي وما كتبه يدي، وحسبي أني لم أدخر وسعًا، وأني بذلت جهدي ما استطعت، فما كان من صواب فبتوفيق وفضل من الله، وما كان من تقصير فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه الطالب

فيصل بن عبد الله الصقعبي

التمهيد

من الصوت إلى اللفظ

في المشهد الكوني الذي لا يلفه الصمت أبدًا ، تتماوج الأصوات ؛ لتصل إلى الآذان ، فإما أن تهمس في الأعماق همساتِ معانٍ عميقة خفيفة ، تشرح بها الصدور ، وتُشبِع حاجات الروح والخيال ، وإما أن تكون همهمات لا تبين ، وغمغمات لا تتضح، يلفها الغموض والخفاء، إن كانت سرًّا أو جهرًا.

إنّ ما يهم اللغويين هنا هو ذلك الصوت الذي تُدرَك به حقيقة الأشياء ، وتكثر فيه التلازمات، الذي تربط بعضه ببعض. هذا "التلازم يتجلى أحيانًا فيدركه ذوو النظر المتأني، ويتخفى بتستر بالغ في أحيان كثيرة أخرى"[١] مع أنّ "قوة السمع واحدة ولها فعل واحد"[٢] " وهذه القوة مرتبة في العصبة المنبسطة في السطح الباطن من صماخ الأذن، من شأنها أن تدرك الصوت المحرك للهواء الراكد في مقعر صماخ الأذن عند الوصول إليه بسبب ما"[٣] فبحاسة السمع تُدرك هذه الظاهرة، أعني ظاهرة الصوت؛ إذ إنّ الصوت كما جاء في اللسان هو "الجرس"[٤] وسماعه "يأتي نتيجة لاهتزاز جسم ما في الهواء"[٥] ، والتمايز في هذا الاهتزاز الذي تولده المادة الفيزيائية، يجعل للصوت حضورًا قويًّا في حياة الإنسان، بل في حياة جميع الحيوانات، بوصفه إشارات دالة تؤدي رسائل ذات مضامين متنوعة بتنوع المواقف الحياتية.

هذا الجرس أو نغمة الصوت الإنساني مما شغل أذهان اللغويين، فراحوا يفتشون في ماهيته، والبحث عن مخرجه، وصفاته وكيفية تكونه، والعناصر التي تلحظ في أدائه عند اتصال الكلام[٦] .

---

(١) من تقديم د: عبدالسلام المسدي لكتاب اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية . د: عبدالعلي الودغيري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ ١٤٣٤هـ ، ص١١.

(٢) الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ١٤١٩هـ، ص٤٩٥

(٣) المصدر نفسه ص ٤٩٥

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة (صوت)

(٥) دراسة السمع والكلام، د" سعد مصلوح، عالم الكتب ،القاهرة، ط٢ ١٤٢٦هـ ص ١٧

(٦) أصوات اللغة العربية والأداء القرآني ، د: عيد محمد الطيب، دار البشرى ، مصر،ط ٣ ١٤٢٠هـ ص٣

مفهوم الصوت الإنساني

لقد "هيأ الله لكل إنسان جهازًا نطقيًّا يمكنه من القدرة على الكلام، كما أودع فيه جهازًا سمعيًّا له أثره في ضبط الكلام الصادر منه؛ واستقبال الكلام الوارد إليه"[١]، وما لهذين الجهازين من وثاق قد أُحكم قيده، ووشائج قربى وطيدة، جعلت اللغويين يتعمقون في وصف أعضاء جهازي النطق والسمع لفهم أسرار الصوت الإنساني، ولا يُقصد من أنهم يحتاجون إلى الإلمام بكل مكوناتها وتفصيلاتها، وكيفية عملها نظريًّا دون تطبيق " بل المقصود أنّ على دارس الأصوات أن ينتقل من هذا إلى أن تكون له ، بعد طول مران ، قدرة على إحداث أصوات أيّ لغة"[٢] وليصير الدارس هو المتكلم والسامع في آنٍ سواء، عليه " أن يقف أمام مرآة ويضرِّس بقوة ثم ببطء، ويراقب وقع الفك على الفك، منصتًا بانتباهٍ إلى ما يفرُق سمعه من أصوات، وناظرًا إلى الحركات المولِّدة لتلك الأصوات"[٣] فعند التأمل العميق بمكونات آلة النطق وعملها، وطول المران في إحداث الأصوات، تتضح للدارس آليَّة إنتاج الأصوات الإنسانية .

ومبلغ القول: إنّ مادة الصوت الإنساني هو تيار الهواء عند الزفير الخارج من الداخل ، مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ثم الفم أو الأنف[٤] لحدوث صوت نتفوه به ، وليس إنتاج الصوت هو وظيفة هذه الأعضاء الأساسية ، وإنما تؤدِّي وظيفة حيوية بالعمل على جعل الحياة أمرًا ممكنًا ؛ غير أنّ حاجة الإنسان في مراحل لاحقة جعلته يستثمر هذه الأعضاء المعقدة لإنتاج الأصوات[٥]، إن كانتْ لغويةً أو غيرَ لغويةٍ،

---

(١) السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين د: صادق عبد الله أبي سليمان، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ٩٧

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران،دار النهضة العربية ، مصر، د ط و ت ، ص ١٣٢

(٣) نحو الصوت ونحو المعنى، نعيم علوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١ ١٩٩٢م ، ص ١٩

(٤) أفاض الدارسون في وصف أعضاء النطق الإنساني بما يغني عن تكراره . انظر : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ١٩-٢٢ و علم اللغة، محمود السعران، ١٣٠-١٤٠ ودراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر ٩٨-١١٠ و دراسة السمع الكلام، سعد مصلوح،٦٣-١٤٦ و الأصوات اللغوية ، سمير إستستية ١١-٧٤ .

(٥) يُنظر مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، د ط ت ١٤٠٠، ص٧٣ .

ويبقى "الصوت ظاهرة ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها"[1].

الصوت اللغوي

علاقة الإنسان بمثيله إنما هي حركة تحقيق للوجود الإنساني ؛ لذا فإنّ رصد مظاهر الأثر بينهما الناتج عن التأثير المتبادل بين بني الإنسان لن تتجلى دلالتها إلا من خلال الرابط بين الإنسان ومثيله و" لا يمكن تقصيه إلا بتمثل (الأنت) وما توحي به (الأنا) من وحشة وإيناس "[2]. هذه العلاقة جعلت الإنسان كائنًا فاعلاً ، يمارس أشكالاً عديدة كيما يحاول فهم الآخر المحيط به. ولما كان كائنًا اجتماعيًّا بطبعه ، "يلوذ بمن يأنس به سواء كان بشرًا أو غيره"[3]، أراد أن يكسر حاجز الصمت ، باستخدام أعضاء النطق ؛ لإحداث صوتٍ لغويٍ مُكوِّنٍ للكلام ؛ لتتشكل به حينئذٍ صيرورة الوجود.

هذه الممارسة الفردية المنطوقة ، أو النشاط الصوتي الذي يقوم به الإنسان ، احتلت موقعًا هامًّا عند اللغويين المحدثين في دراسة اللغة ؛ لأنها جعلت الكلام المنطوق موضوعها ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، ولأنه مجموعة أصوات تتألف منه اللغة ، فهي (أي الأصوات) أولُ ما يتناولُه دارس اللغة بالوصف والتحليل، كما يقول السعران:"لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما ، أو لهجة ما ، دراسة علمية مالم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية. فالكلام أولاً ، وقبل كلّ شيء ، سلسلةٌ من الأصوات ؛ فلابد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة ، أو للعناصر الصغيرة، أقصد أصغر وحدات الكلمة"[4]، والغرض من وصف الصوت المنطوق " أن

---

(١) الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤ ٢٠١٠م، ص ٨ .

(٢) عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والكواكب، د: لطفي عبدالبديع، النادي الثقافي،جدة، ط٢، ١٤٠٦، ص٣٩.

(٣) انظر السابق ص ٤١

(٤) علم اللغة، السعران ، ص ١٢٤

يُبيِّن ما في نطقه من حركات عضوية، وما فيه من ظواهر صوتية"[١] أي بيان مخارج الأصوات كما في ألسنة الناطقين بها وما يصحبه من حركات في أعضاء النطق ، ثم توضيح صفات هذه الأصوات وما فيها من ظواهر صوتية.[٢] وما كان لدارس اللغة أن يصف صوت الإنسان اللغوي إلا لأنّ: الكلمة المنطوقة تفرض" نفسها على أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار ، سواء في الشارع ، أو في البيت ، أو في قاعات الدرس ، أو عن طريق الإذاعة المسموعة و المرئية "[٣].

الصوت اللغوي هو المادة الأساسية التي يتشكل منها الجانب اللفظي المنطوق، " ولما كان ... يصدر عن جهاز النطق الإنساني فهو يختلف عن سائر الأصوات التي تحدث عن أسباب أو أدوات أخرى"[٤]، ولمزيد إيضاح فإنّ "الصوت اللغوي أثرٌ سمعيٌّ يصدر طواعية واختيارًا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزًا أعضاء النطق. والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة. ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة. أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضًا"[٥]. هذا الأثر المسموع يصدره المتكلم حينما يحتاج أنْ يُبِين عن المعاني التي يريد نقلها للسامع.

ويمكننا القول من خلال هذا الوصف: إنّ العمليات التي حدثت في جهاز النطق الإنساني لأجل إنتاج الصوت اللغوي ، هي التي وصفها علماء اللغة العرب القدامى حينما " تنبهوا إلى أنه لا يوجد الكلام، أصلاً ، إلاّ منطوقًا في سياق تواصليّ اجتماعيّ"[٦]، ولعل إحساسهم بصوتية اللغة ، هو ما جعلهم يتعرضون في دراساتهم

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، د: تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ،ط٤ ٢٠٠٠م، ص ١١٩.

(٢) يُنظر منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ،د: علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ١٩٨٦م، ص ٦١

(٣) الكلمة دراسة لغوية معجمية، د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، د ط ، ١٩٨٨م، ص ١٥.

(٤) علم اللغة، السعران ، ص ٩٩ .

(٥) علم الأصوات، د: كمال بشر ، دار غريب، القاهرة، د ط ٢٠٠٠م، ص ١١٩

(٦) استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، ط١ ٢٠٠٤، ص٦.

اللغوية لما يُسمّى حديثًا بالصوت اللغوي، وإنْ اختلفت مصطلحاتهم بين (الصوت والحرف). فقد بنوا دراساتهم على أنّ الحروف هي اللبِنات الأُولى للكلمات، وذلك بالبحث عن مخارجها، والحديث عن صفاتها ، فالصوت عند ابن جني :" عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا "[1]، ويتضح من كلام ابن جني قدرة الجهاز الصوتي للإنسان"وليس هناك من آلة موسيقية تساوي الجهاز الإنساني في تنوع الأصوات التي يصدرها"[2].

هذه المعرفة التصورية لحقيقة الصوت اللغوي، والتمييز له، جعلت اللغويين القدامى يدركون أهمية تصنيف الأصوات الكلامية المنطوقة حسب مخارجها، وصفاتها.

اللغة والكلام

ينظر اللغويون المحدثون في دراساتهم للغة، من حيث هي، إلى أنها " نظام من العلامات"[3] أومجموعة من الرموز الصوتية التي تكوِّن نظامًا متكاملاً[4]، ومن خلال هذا المفهوم للغة، الذي يتجسد في الإطار المادي، يُدرك أنّ اللغة في حقيقتها،كما يراها اللغويون المحدثون، "ليست أصواتًا ينطِق بها المتكلم هكذا دون علاقة بينها، بل هي سلسلة من أصوات مرتبطة بعلاقات"[5] تؤلف" نظامًا يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات إذ إنّ هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظامًا متزامنًا، إذ إنّ

---

(١) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق، د: حسن محمود هنداوي، دار القلم، دمشق،ط٢، ١٤١٣، ص٦.

(٢) اللغة، ج.فندريس، تعريب عبدالحميد الدواخلي و محمدا القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط ١٩٥٠، ص ٦٢.

(٣) اللغة، ج.فندريس ، ص ٣١

(٤) يُنظر ، مدخل إلى علم اللغة، د: محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٩٩٢م ، ص١٠

(٥) المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، د:محمد محمد يونس علي ، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧،ص٣٢.

هذه العلاقات مترابطة"[١] فهي حينئذٍ نظامٌ ثابتٌ، وأنماطٌ من العادات والقواعد اللغوية العرفية التي استقرت في أذهان الجماعة اللغوية، فليس في اللغة المعينة (اللسان)[٢] " أصوات لغوية مادية حقيقة، وإنما تحتوي على وحدات صوتية ذهنية...، وليس بها كلمات أو جُمَل منطوقة بالفعل ، وإنما بها أجناس صرفية ونحوية".[٣]

أما " ما يلفظه أفراد المجتمع المعين، أي ما يختارونه من مفردات أو تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة"[٤] فهو الكلام ، وهو النشاط المترجم في وحدات صوتية لتلك القواعد والأنماط المستقرة في أذهان الجماعة اللغوية؛ ليُحوِّل الكلام تلك القواعد المذكورة إلى رموز مادية حقيقة ؛ ولتكون اللغة حينئذٍ حقيقة مادية فعلية.[٥]

وللتفريق بين اللغة والكلام يرى تمّام حسان أنّ " الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل. والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة والكلام يحس بالسمع نطقًا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام. فالذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها. والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فرديًّا

---

(١) البنيوية، جان بياجيه، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٥، ص٦٤.

(٢) يفرق دي سوسير بين اللسان LaLangue واللغة Langage ، إذ يقول: فليس اللسان إلا جزءا محددا من اللغة، وهو جزء أساسي لا شك فيه . وبهذا الاعتبار يكون اللسان في ذات الوقت إنتاجا مجتمعيا حادثا عن ملكة اللغة وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضرورية التي أقرها المجتمع وسنها لكي تتأتى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد. محاضرات في علم اللسان العام ، فرديناند دي سوسير، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب ، ط٢، ٢٠٠٨، ص٢٣.

(٣) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص ٩٩.

(٤) سوسير رائد علم اللغة الحديث، د: محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط ، د ت ، ص٢٠.

(٥) يُنظر دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٢، د ت، ص ٣٧.

ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية"[١].

وبهذا يتضح أنّ للغة جانبين يُغذيانها، يرجع الفضل لإنتاج الرموز المنطوقة المفهومة معنى بقدرة الإنسان على التكلم أولاً، ثم التواطؤ الاجتماعي الذي يقره عليها، ويمنحها شرعيتها ثانيا ، فكل تغيير يُنشئه فردٌ ما لا يكتسي أهمية إلا إذا تبنَّته المجموعة واستقر في استعمالها؛ لأنه " خاضعٌ .. لما يحدده العرف من معايير اللغة. فالمتكلم الذي يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه يستعمل أصواتها، وصيغها، ومفرداتها، وتراكيبها، حسب أصول[٢] استعمالية معينة، يحذقها بالمشاركة في التخاطب، ويمرن عليها، ويطابقها دون تفكير في جملتها أو تفصيلها"[٣].

فهذه الأصول، والعادات، تتطابق وحاجات المجتمع المستعمل للغة؛ لتصبح حينئذٍ، كما يرى فندريس، "واحدة من أقوى العُرى التي تربط الجماعات"[٤]، وعقدًا اجتماعيًّا لا مناص من الخضوع لسلطته.

فاللغة سلطة تشريعية بذاتها،كما يقول ر.بارت، واللسان قانونها؛" لأننا لا ننسى أنّ كلّ لسان تصنيف، وأنّ كلّ تصنيف ينطوي على نوع من القهر"[٥]؛ غير أنّ شِدة وطأة اللغة على المتكلم بقوانينها، وأنظمتها، التي تشدّ أوصالها بحبل متين، لا تراه العيون المجردة، تجعل اللسان يقاوم"كلَّ التغييرات التي يحاول الفرد وحده إدخالها عليه، فهو بالتالي مؤسسة اجتماعية"[٦]، ووسيلة الأمان والبلوغ المعرفي ، والتواصل الاجتماعي.

اللغة مؤسسة اجتماعية

اللغة ظاهرة اجتماعية، لها عمومية، وقوة جبرية على أفراد المجتمع، ولا يسعُ أيّ

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، د: تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٤٣٠، ص٣١.

(٢) في الأصل (أطول)

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية، د: تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م، ص ١٨.

(٤) اللغة ، ص ٣٥.

(٥) اللغة دفاتر فلسفية (نصوص مختارة) ، إعداد وترجمة، محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبدالعالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م، ص١٠٤.

(٦) السابق، ص ٤٣.

فردٍ أن يخالف، أو يحاول أنْ يخرج عما يرسمه المجتمع من معايير عرفية للغة المستعملة، ومن ثَمّ فلها نماذج وأنماط تظهر في صورة واحدة إلى حد ما فترة طويلة من الزمن، وهذا يتفق كثيرًا مع ما يقوله سايبر:"كلّ سلوك ثقافي فهو سلوك ذو نماذج"[١]، وعلى هذا فتحليل نماذج لغة ما، إنما هو تحليل لحقائق اجتماعية، إذ يرى اللغويون المحدثون"أنّ علم اللغة لا يدرس مجموعات ضخمة من السياقات الصوتية، بل يدرس نظامًا من الأعراف الاجتماعية. وأنّ المرء ليحاول أن يحدد عناصر التأليف وقواعده التي تشكل ذلك النظام، والتي تجعل الاتصال اللغوي بين أفراد المجتمع ممكنًا. ومن فضائل نظرية سوسير في اللغة أنها وضعت الأعراف والوقائع الاجتماعية في قلب الحدث اللغوي"[٢].

اللغة ابنة المجتمع، وهي أمّ المنظومة الثقافية فيه، والمجتمع بالنسبة للغة "كالتربة بالنسبة للزهرة أو الحبة. فالحبة تكمن فيها جرثومة الحياة ولكنها لا تنبت إلا في التربة. وكذلك اللغة في الإنسان"[٣]؛ ولذا فعلاقة اللغة بالمجتمع علاقة متينة متداخلة، وحركة متشابهة، كثيرة الأوجه والتعقيد، ولا يُستسهل رصد هذه العلاقة بينهما دون معايير ثابتة؛ لأنّ المجتمع في حركة دائبة وتحوّل مستمر، واللغة توازي حركته، وتسايره، وهي صورة صادقة لحضارته ونُظُمِه، "وهي انعكاس للشعب، وهي الذاكرة الجماعية حيث يودع الشعب الخبرة الواجب نقلها للأجيال"[٤]؛ إذ من الثابت " الجليّ أنَّ اللغة مكون للثقافة، ولكنها تَكُون أساسًا لمجموعة الظواهر الثقافية، وقاعدتها ووسيطها الكليّ".[٥]ومن هنا فإنّ ما يمس المجتمع يمس اللغة كذلك، لأنها" ليست واقعًا ذهنيًّا

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص١٧١.

(٢) فرديناند دى سوسير(أصول اللسانيات الحديثة والعلامات)، جوناثان كلر، ترجمة د: عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د ط، ٢٠٠٠م، ص ١١١.

(٣) اللغة بين القومية والعالمية، د: إبراهيم أنيس، دار المعارف، مصر، د ط، د ت ، ص ٢٩.

(٤) اللسانة الاجتماعية، جولييت غارمادي، عرّبه د: خليل أحمد خليل ، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ٢٨.

(٥) الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، رومان ياكوبسون، ترجمة على حاكم صالح و د: حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠١١م، ص ٦٣.

مجردًا لا رابطَ يربطه بالواقع الاجتماعي"[1]، بل إنّ السلوك اللغويّ والسلوك الاجتماعي في تفاعل دائم؛ لأنّ لكلّ مجتمع عاداتِه، وتقاليدَه الاجتماعية، وأفكارَه التي يمارسها من خلال اللغة، واتّباعًا لهذه العادات والتقاليد اللغوية، فإنّ أفرادَ المجتمع يتمكّنون من التواصل فيما بينهم، والتعبير عن حاجاتهم بواسطتها.

(١) علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د: هادي نهر، دار الغصون، بيروت، ط ١، ١٤٠٨، ص ٦٧.

الباب الأول:

النظرية اللغوية لدراسة اللهجات المحكية

وفيه فصلان:

الفصل الأول:

منزلة اللهجة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث.

الفصل الثاني :

صورة اللهجات (اللغة المنطوقة) في كتب علم اللغة الحديث

الفصل الأول

منزلة اللهجة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث

من خلال:

- المبحث الأول: التسوية بين اللغات والمستويات اللغويّة .
- المبحث الثاني: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة .
- المبحث الثالث: سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث .
- المبحث الرابع: دلالات الذوق اللغوي .
- المبحث الخامس: معيار الصواب اللغوي .

التسوية بين اللغات والمستويات اللغوية

طالما أنّ اللغة ذات أهمية للإنسان، تتغلغل في أوردته ، وتشاطره حياته ، فلا محالة حينئذٍ أنْ ينشط باحثٌ لغويّ يبحث عن حقيقتها وماهيتها، سواء أكانتْ مجردَ صورةٍ ذهنية، أم أقرّ بحقيقة أنّها وسيلة اتصال بمحيطه ومجتمعه.

ولولا أنّ الله اختص بني آدم باللغة لعاش في تِيهٍ من الزمن والنسيان، إذ هي الأصل الذي يحتضن الحياة، وتضمن ديمومة الوجود في الزمن المُعاش، وسيرورة المعرفة الإنسانية، وبها يربط الإنسان ذاته الداخلية بواقعه الخارجي، عند إحساسه بحركة الزمان والمكان، راغبًا بإظهار ذاته وإعلان وجوده.

وبقدر ما يظهر أنّ اللغة تُعدُّ أمرًا يسيرًا في حياة الإنسان اليومية، إلا أنّها في حقيقة الأمر بالغة التعقيد؛ لذا يجد المتأمل في تأريخ النظرية اللغوية أنّ البحث في اللغة قديمٌ قِدَم اللغة الإنسانية لما احتلته من مكانة مرموقة في العلم والفكر.

إنّ اهتمامَ اللغويين القدامى بالظاهرة اللغوية نابعٌ من "تصورات البشر للغة، آخذة من نوع مجتمعهم، وتراثهم الثقافي، وخاصة من دينهم"[1] محاولين الكشف عن المخزون اللغوي، الكامن في أحشاء هذا التراث، محافظين عليه بالتسجيل والتدوين، واصطناع الرموز الكتابية والتقعيد.

علم اللغة الحديث، كما يذكر دافيد كريستل،"مدينٌ بصورة مؤكدَّة لتلك الأعمال المبكرة، بل إنّه اقتبس منها"[2]، إذ إنّ المطلع على الأعمال المبكرة عند علماء العربية القدماء يجد أنّ ما توصلوا إليه من "نتائج لا يختلف كثيرًا عما توصل إليه علماء الغرب بمناهجهم ومعداتهم الحديثة بعد تلك العصور بقرون. بل إنه من الثابت أن الدراسات اللغوية العربية الخاصة بعلم الأصوات التي وصلت إلى أوروبا وتُرجمت إلى اللغات المختلفة كانت ن العوامل المساعدة على ما توصل إليه الغرب من النتائج في

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٣١٧.

(٢) التعريف بعلم اللغة، دافيد كريستل، ترجمة وتعليق،د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ ، د ت، ص٧٥.

العصر الحاضر"[1]

وعلى الرغم ما نجد من تأثير الدراسات اللغوية القديمة في الدراسات اللغوية الحديثة إلا أنّ دافيد كريستل يرى أنّ هناك "اختلافات متعددة وحاسمة بين المنهج الحديث والدراسة القديمة للغة، وحجر الزاوية في هذا الخلاف تلخصه كلمة واحدة هي(العلمية)"[2]، وإن هذا الحكم قد يصدق على الدراسات اللغوية الغربية القديمة ، فإنه لا يصدق الدراسات اللغوية العربية القديمة ، ومع ذلك فإن الفرق " بين الدراسات القديمة والحديثة هو فرق في المدخل أو في معالجة اللغة . وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن جميع الدراسات القديمة عديمة القيمة بل أنّ الواقع أنّ لبعضها قيمة كبيرة للغاية لا زلنا نفيد منها ونعتمد عليها حتى الآن"[3]

ولكي تكون دراسة اللغة عند اللغويين المحدثين ،أيًّا كان موضوعها، دراسةً علمية، لابد أنْ تتوفر فيها سمتا التفكير العلمي المنضبط المنظم، وهما الموضوعية والشمول، حتى يسيرَ البحثُ إلى سبيل النجاة؛ وكي تكون النتائج التي يتوصل إليها الباحث متسمة بالعلمية والموضوعية، وليست انطباعًا ذاتيًّا.

لعلم اللغة الحديث مناهج لغوية عديدة تناول من خلالها الظواهر اللغوية، أشار حلمي خليل إلى اتفاق علماء اللغة أو أغلبهم إلى فرعين كبيرين هما: ١- علم اللغة العام أو علم اللغة النظري وأهم فروعه : علم اللغة التأريخي، وعلم اللغة المقارن، وعلم اللغة الوصفي، وغير ذلك.

٢- علم اللغة التطبيقي، وهو يمثل الفرع الثاني من فروع علم اللغة، ويقوم هذا العلم على استغلال نتائج ودراسات علم اللغة العام أو النظري وتطبيقها في مجالات لغوية معينة[4].

---

(١) أضواء على الدراسات اللغوية، د: نايف الخرما، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م ص ٢١٧.

(٢) التعريف بعلم اللغة، ص٧٥.

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية، ص ٨٧.

(٤) يُنظر مقدمة لدراسة علم اللغة، د:حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية، د ط،٢٠١٤، ص٣٣٠-٣٣١

وتُشير كتب علم اللغة الحديث إلى أنّ "علم اللغة العام هو العلم الذي يقدم لنا النظرية التي تفسر اللغة الإنسانية، ويقدم إلينا المناهج التي ندرسها"[١] وهو مُعتمِدٌ في وضع نظرياته اللغوية على ما تصل إليه علوم اللغة الأخرى، وهي كذلك مُعتمِدة عليه، فكلاهما مؤَثِّر ومتأثِّر بالآخر؛ غير أنّ أساس نظريات علم اللغة العام ظواهر اللغة الإنسانية، واستخدام المجتمعات لها لأداء وظائف محددة.

إنّ اتجاه أصحاب علم اللغة الحديث لدراسة اللغة دراسة علمية، أدّاهم إلى عدم التفكير بتفسير أسبابها، بل اكتفوا بوصفها، واهتموا بمعرفة القوانين التي تخضع لها عن طريق الملاحظة والتجربة؛ لأنّ اللغة كما يقول تمّام حسان "وعاء التجارب ودليل النشاط الإنساني ومظهر السلوك اليومي الذي تقوم به الجماعة"[٢]، والهدف من وراء ذلك أنْ يستبدلَ علم اللغة الحديث العلاقات المطردة بين الظواهر اللغوية بالعلل التي تستنتجها المناهج التقليدية للدراسات اللغوية، فتصبح مَهمة العلم حينئذٍ الإجابة عن سؤال(كيف)، لا عن سؤال (لماذا)[٣]، وما يطلقه أصحاب هذا العلم من أحكام حينئذٍ" ما هي في الحقيقة إلا أحكام اجتماعية – وليست أحكامًا لغوية"[٤]، ولا ينبغي أنْ تؤثر في الأحكام ذاتها عباراتُ الاستحسان، والاستهجان، والتصويب، والتخطئة، وإنّما " مدار الأمر إلى الجماعة التي تستخدم هذه اللغة"[٥]، وإنْ كان ثمة اختلاف في مسألةٍ ما كان الرجوع إلى واقع اللغة المدروسة وإجراء التجارب مرة أخرى هو الحكم، والفيصل في هذه المسألة.

وبما أنّ اللغة مؤسسة اجتماعية و"عادات متشابهة في النطق، وعلاقات تقوم بين أصوات معينة وبين معان معينة"[٦]فلا يمكن فهمها بشكل ملائم إلا بكونها ظاهرة

---

(١) مدخل إلى علم اللغة ، د: محمد حسن عبدالعزيز ، دار النمر للطباعة، د ط، د ت، ص ١٦٩.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٥.

(٣) يُنظر السابق، ص ٥٠.

(٤) مدخل إلى علم اللغة ، محمد حسن عبدالعزيز، ص ١٣٨.

(٥) السابق، ص ١٣٧.

(٦) علم اللسان، أنطوان ماييه، ترجمة د: محمد مندور في النقد المنهجي عن العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٣م، ص ٤٤٩.

اجتماعية، ونظام مستقل بذاته عن الأفراد، وما فيها من تواطؤ واتفاق وتواضع " إنّما هي حقائق ووقائع ... ذات صفة محسوسة ملموسة"[١] وهذا ممَّا دعا سوسير أنْ يقلب واقع الدراسات اللغوية، ويُغيِّر مجراها، إذ جعل اللغة مجرّدَ أشياء واقعيةٍ قابلةٍ لأنْ يدرسَها علم اللغة، وخاضعةٍ لمحك التجربة؛ لكي يكشف خواصها الذاتية وعلاقاتها من خلال الملاحظة الداخلية، وتبعًا لذلك، فإنّ موضوع الدراسة العلمية للغة في علم اللغة الحديث هو :" اللغة منظور إليها من ذاتها ولذاتها"[٢].

اعتمد علم اللغة الحديث في دراسته للغة على ما يستطيع أن يضعه الباحث أمامه ويسمعه أو يراه؛ لذلك فهو ينادي بالوقوف عند حدودها؛ لمعرفة القوانين التي تخضع لها اللغة، واستبعد جميع النظريات حول أصل اللغة ونشأتها، ورأى أنّ كلّ ما يقال فيها "هو من قبيل الفروض التي لا تستند على أُسسٍ سليمة...ومن هنا كانت (النظريات) أو (الفروض) التي قدمها الباحثون في نشأة اللغة ضربًا من الميتافيزيقا"[٣] وحين التأمل في كتب اللغويين العرب القدامى، وبعد أن بيَّن جلال الدين السيوطي الآراء في نشأة اللغة أشار إلى" أنّه لا فائدة من ذكر هذه المسألة ... ولذلك قيل : ذكرها في الأصول فضول"[٤] في حين أنّ الجمعية اللغوية الفرنسية ترى أن تترك البحث في هذا الجانب للفلاسفة فهم أحرى بالتأمل والخيال. وهذا يوافق ما قررته الجمعية اللغوية بباريس من عدم نشر أيّ بحثٍ يتناول هذا الموضوع[٥] ويبدو أنّ صبحي الصالح تأثر بهذا القرار إذ يقول: "لقد بات لزامًا علينا تحديد البحث في فقه اللغة فليس يعنينا أنْ نتقصى أصل اللغة الغامض المجهول...بل يعنينا أن نتابع التطور

---

(١) محاضرات في علم اللسان العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،د ط، د ت ، ص ٣٠.

(٢) مشكلات فلسفية مشكلة البنية، د:زكريا إبراهيم، مكتبة مصر ، د ط، د ت ، ص ٤٤. وانظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٤٩.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٥٣.

(٤) المزهر في علوم اللغة، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط ٣، د ت، ص ٢١.

(٥) يُنظر لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها، ماريوي باي ، ترجمة صلاح العربي، د ط ١٩٧٠، ص٢٠.

اللغوي كيف حدث؟ بعد إحصائه واستقرائه وملاحظته ومقارنة بعض مظاهره ببعض، وعلينا أنْ نبدأ بجمع ما يمكننا من المعلومات عن اللغات الإنسانية المختلفة لنخرج أخيرًا بالسنن العامة والقوانين الثابتة في علم اللغة العام"[١].

وحين أقصى علم اللغة الحديث البحث في أصل اللغة ونشأتها من اهتمامه، أبرز الاهتمام باللغة المنطوقة، وأصبح " يُعطِي اهتمامًا كبيرًا للغات المُتكلَّمة، ويقلِّلُ من الاهتمامِ بالشواهد المكتوبة"[٢]؛ لأنّ مُعظمَ علماءِ اللغةِ "يَرونَ أنّ من البديهيّ أن يأتي الكلام أولاً، وأما اللغة المكتوبة فتأتي في المرتبة التالية لأنها مشتقة منه"[٣]؛ ويرون أنّ"كلّ اللغات بدأت أولاً كلغة منطوقة، وهناك آلآف من اللغات، لم تكن مكتوبة من قبل البتة، ثم خضعت للكتابة في عهد قريب جدًا "[٤].

ومهما بلغت الكتابة في تمثيلها للنطق، فإنها لا تستطيع نقل حركات الجسم، وتعبيرات الوجه، ولا" تمثل تمثيلاً صحيحًا حالة الحياة اللغوية في الأمة"[٥]،ونتيجةً لنزعة المحافظة على تقاليد الكتابة، فلا غرابة أن"تعجز بطبيعتها عن تسجيل جملة من الظواهر، والوظائف النطقية العامة،كالنبر و التنغيم في حالات الاستفهام و النفي، و الإنكار، و التعجب، و التحسر و هي وظائف ذات دلالة مباشرة في الحدث اللغوي "[٦]، ومع ذلك تسير كلتا اللغتين متوازيتين بحيطة، وحذر.

ومع اختلاف مناحي التطور في ظروف الإنسان الاجتماعية والبيئية والسكانية، تتسع مسافة الاختلاف بين اللغتين المكتوبة والمنطوقة إلا أنّ هذه "الأخيرة في تطور مطرد، ولا تستطيع أي قوة إلى تعويق تطورها سبيْلاً، فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة

---

(١) دراسات في فقه اللغة، د: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص ٣٥.

(٢) أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق د: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٨، ١٤١٩، ص٢٣٥.

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة وتعليق د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، ٢٠١١، ص ٣٣.

(٤) نفسه ص ٣٣.

(٥) علم اللغة ، علي عبدالواحد وافي، ص ٢٥١.

(٦) المنهج الصوتي للبنية العربية، د: عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، ١٤٠٠، ص ١٠.

الجامدة حتى تصبح كلّ منهما غريبة عن الأخرى أو بعيدة عنها"[1]، وفي أشدّ ما يصيبهما من تباين، مع ما بينها من علاقات، يبني علي وافي تصوره بتغلب لغة المحادثة على لغة الكتابة حين أشار إلى ذوبانها في لغة المحادثة، وطغيانها عليها بقوله:" فما أشبه لغة الكتابة الجامدة في حالات كهذه بجبل ثلج ثابت على سطح البحر، ولغات المحادثة المتطورة بالتيارات المائية التي تموج تحته. فمهما طال بقاء هذا الثلج، فإن مصيره إلى التحطيم والذوبان، وحينئذٍ تطفو تلك التيارات إلى سطح البحر، وتعيده إليه ما كان مستورا تحت هذا الجبل الجامد من مظاهر النشاط والحياة"[2].

وحمأة الصراع هذه تولد أمام اللغويين لغات ميِّتة وأخرى حيِّة، مُتكلَّمة ومكتوبة، بدائية وحضرية، كلّ هذه تمثل موضوع علم اللغة كما أوضح سوسير بقوله:"كلّ النشاط اللغوي للإنسان يستوي في الماضي والحاضر، يستوي في هذا الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، أو جودة أو رداءة، أو غير ذلك"[3].

إنّ علم اللغة الحديث كما يرى جون ليونز" لا يقيم وزنًا لهؤلاء الذين يؤمنون بوجود فرق ما يسمى باللغات المتحضرة واللغات البدائية "[4] مادام أنّه لا يُمايز ولا يُفاضل بين لغة وأخرى، ويساوي بين اللغات لتمتعها بذات المشاهد والوقائع، فلا تفاضل بين لغة وأخرى ولا تمايز.

وكذا يرى أنّ اللغة " نظام من العلامات"[5]، أو" نسق لا يعرف سوى نظامه الخاص"[6]؛ لذا فإنّ الدراسة العلمية لها عند أصحاب علم اللغة الحديث قائمة على دراسة مكونات هذا النظام المترابط و المتماسك، مُعطيةً الأهمية الكبرى للتنظيم

---

(١) علم اللغة ، علي عبدالواحد وافي، ص ٢٥١.

(٢) السابق، ص ٢٥٢.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط ٢، ١٤٠٥،ص٧. وكذلك يُنظر محاضرات في علم اللسان العام، ص١٨.

(٤) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ٣٧.

(٥) اللغة، ج.فندريس ، ص ٣١.

(٦) مشكلة البنية، ص ٤٦.

الداخلي للنظام اللغوي، دون اعتبار للمؤثرات الخارجية.

ويتضح ذلك من خلال تشبيه سوسير للغة بلعبة الشطرنج" فكون هذا النوع من اللعب قد انتقل من الفرس إلى أوربا يعتبر أمرًا خارجيًّا. أمّا ما يخص نظام اللعب ذاته وقواعده، فهو على خلاف ذلك، أمر داخلي فلو أنّني استبدلت قطع الخشب بقطع العاج، فإنّ هذا التغيير لا يؤثر في النظام، ولكنْ إنْ زدت أو نقصت من عدد القطع، فإنّ هذا التغيير عينه يؤثر تأثيرًا بالغًا على (قواعد نحو) هذه اللعبة إن صح التعبير"[1].

ويبين هايدرون بلتس بعد ذكر مثال لعبة الشطرنج أنّ سوسير استخدمه لإيضاح مبدأ التزامن علم اللغة الحديث ، وأنّ " الوضع المعين أنْ يصفه مُشاهِد، يحضر متأخرًا، وصفًا تامًّا في هذه اللحظة مثلما يصفه شخص ما، حضر من البداية. فليس بذي أهمية كليةً للوصف معرفةُ ما التاريخ السابق الذي من خلاله تُدرك الحالة الراهنة"[2]وليتضح من خلال هذه الصورة رفض سوسير لعلم اللغة التأريخي، وأنّ اللغات على حدّ سواء، فلا فضل للغة على أخرى من حيث المبدأ؛ لذا سيصبح اللغويون المحدثون وصَّافين للغة في كل زمن ومكان فلا نهاية لتطور اللغة، ولا نهاية حينئذٍ للبحث بها؛ إذ التطوّر مبني على التغيّر والتعدد والاختلاف، والدخول في تبعية علم اللغة التأريخي والمنهج المعياري إنما هو تقييد لحرية المتكلم وإبداعه في اللغة، لكن ظهور هذه المؤشرات أدّت إلى ردة فعل قوي في الحركة اللغوية العربية؛ لتظهر جهود علماء العربية القدماء في التوجيه اللغوي الذي يماثل النموذج القرآني، وكلام العرب شعرًا ونثرًا، ولتصبح تلك التوجيهات والقواعد من المسلمات التي اكتسبت سلطة لا يستطيع المتكلم بالنموذجية الفكاك منها، ولتصبح العربية بهذا المنهج ثابتة الأسس والقواعد نحوا وصرفا، متطورة من داخلها معجمًا ودلالة.

النظام اللغوي قائم على أساس المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية والدلالية، فأيّ" لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات ، أو أية صورة من صور الكلام

---

(١) محاضرات في علم اللسان العام ، ص ٤٠.

(٢) مدخل إلى علم اللغة، هايدرون بلتس، نقله إلى العربية د: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٧٨.

الذي تستعمله جماعة من الجماعات (منظمة) بطبعها، تحتوي على قواعد خاصة بها"[1] وعلم اللغة العام حين يدرسها دراسة علمية ، إنما يتناول ظواهر اللغات جميعًا "التي تظهر و تتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني...وهو يحاول أنْ يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعا في عقد واحد"[2]، ويريد أنْ يبني نظريةً لغويةً لبِنيَتِها ووظائفها التي تصدق على جميع اللغات؛ أو العلاقات التي تربطها ببعض، أو أسباب تغيرها، عن طريق التحليل بعد التسجيل والرصد، والملاحظة، والاستقراء والمقارنة "لا تعرض سوى الواقع اللغوي مصنفًا دون تدخل من الباحث بتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوي هنا أو هناك"[3]؛ ولأجل ذا يقرر علم اللغة الحديث،كما يذكر جون ليونز، تساوي جميع اللهجات باللغة الفصحى بالدرس اللغوي ؛ إذ يقول:"ومما هو جدير بالذكر هنا أنّ اللهجات الاجتماعية أو الإقليمية لأيّ لغة... ليست أقل انتظامًا من اللغة الفصحى، بل لا ينبغي وصفها بأنها صورة مشوهة منها ... لأنّ كثيرًا من الناس يعتقدون أنّ اللغة الفصحى التي تُعلَّم في المدارس هي وحدها الخليقة بالدراسة العلمية والمنهجية ولكنّ الحقيقة غير ذلك؛ لأنّ جميع (اللهجات) تتساوى في علم اللغة من هذه الناحية"[4].

وكون إنّ القول بأفضلية لغة على لغة بالاستناد على نصوص دينية، أو باشتراط أصالة مرفوض في علم اللغة الحديث؛ لأنه لا يقوم على أساس علميّ ، فإن ابن حزم قد قرر هذا قبل في كتابه الإحكام في أصول الأحكام فقال:" وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصاص ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٤٤.

(٢) السابق، ص ٥٠.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص ١٨٢.

(٤) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ٣٦(بتصرف).

ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[2]، فأخبر تعالى أنه لم يتزّل القران بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومَه عليه السلام، لا لغير ذلك. وقد غلط في ذلك جالينوس فقال: إنّ لغة اليونانيين أفضل اللغات؛ لأنّ سائر اللغات إنما هي تشبه إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع . قال علي : وهذا جهل شديد؛ لأنّ كلّ سامعِ لغةٍ ليست لغتَه ولا يفهمُها، فهي عنده في النّصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق، وقد قال قوم: العربية أفضل اللغات؛ لأنّه بها كلام الله تعالى . قال علي: وهذا لا معنى له، لأنّ الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[4]، فبكلّ لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه وقد أنزل التوراة، والإنجيل، والزَّبُور وكَلَّم، موسى عليه السلام بالعبرانية. وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويًا واحدًا"[5]

وعندئذٍ فليس" للغة فضل في ذاتها وإنما تتباين اللغات في منازل الفضل بمحمولاتها ؛ فإذا كانت اللغة لسانًا لنص مُقَدَّس أو مُقَدَّم احتملت الفضيلة من هذه الجهة وهذا بعض شأن العربية، مثلاً. وإذا كانت لسانًا لإبداع معرفي احتملت الفضيلة من هذه الجهة أيضًا وهذا شأن كثير من اللغات في حقب متعاقبة"[6]

ومن ثَمّ فحين اعترفت اللغويات الحديثة باللهجة، ومهّدت السُّبل لدراستها دراسة علمية، فلا يعنيها ،حينئذٍ، أن يُنظر نظرة فوقية للغة، ونظرة دونية للهجة[7]، بل

---

(١) إبراهيم (٤)

(٢) الدخان (٥٨)

(٣) فاطر (٢٤)

(٤) الشعراء (١٩٦)

(٥) الإحكام في أصول الأحكام، أبي محمد علي بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د ط د ت، ص ٣٣.

(٦) اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقُوى التحوُّل، د: نهاد الموسى، دار الشروق، عمّان، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٢٨.

(٧) يُنظر علم اللغة الاجتماعي مدخل، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ص ٢٢٤.

لا ينبغي من وجهة نظرها أنْ يُفاضَل بينهما؛ إذ إنهما في المنزلة سواء و"من واجب الباحث أن يُلزم نفسَه تركَ تفضيلِ لغةٍ على أخرى، أو فصحى على لهجة، أو ذكرِ أحكامِ الاستحسان أو الاستهجان على المادة اللغوية التي يدرسها"[1].

ويتبين مما سبق أنّ كلّ اللغات واللهجات في منزلة واحدة، وعلى قدرٍ واحدٍ من المساواة في علم اللغة الحديث؛ غير أنّ ماريوباي يستدرك، ويبين افتقاد عنصر الانسجام بين فروع الدراسات اللغوية الحديثة، مما يعيق من تقدمها وازدهارها فيقول:" من وجهة النظر الوصفية البحتة فإن علماء اللغة الوصفيين على حق في اعتبارهم كل اللغة واللغات على قدر واحد من المساواة، ولكن هناك ثلاث وجهات نظر أخرى، لابد من أخذها في الاعتبار، وكلها مبنية على الحقيقة والواقع، وهي قائمة على أساس العوامل التاريخية، والجغرافية، والاجتماعية. فمن وجهة نظر عالم اللغة التاريخي لا يمكن وضع اللغات كلها على قدم المساواة. فإنّ بعضها تحيط به أحداث تاريخية أهم من بعضها الآخر. ومن وجهة نظر عالم اللغة الجغرافي يجب أنْ نأخذ في الاعتبار تفاوتَ اللغات من ناحية الأهمية العملية، وكذلك تفاوت أنماطها. ومن وجهة النظر الاجتماعية ــ كما هو من وجهة نظر الشخص العادي يوجد ــ في مقابل أنماط غير المثقفين في كل لغة ــ نمط يتمتع بالمكانة والهيبة دون الأنماط اللغوية الأخرى، وهو ما يمكن أن يسمى بالنمط اللغوي للمثقفين. ونتيجة لذلك يظهر نفوذ بعض الأنماط اللغوية دون بعض حين يفاضل بينها في مجال الوظيفة والاختيار، والمركز الاجتماعي. إنّ الشخص لا يمكن أن يغمض عينيه عن هذه الحقائق على أساس نظرية المساواة؛ لأن هذه النظرية قد قامت على نظام مختلف"[2].

وعلى أساس رأي المساواة وعدم التفاضل بين اللغات، ولا بين مستوياتها، يقرر سليمان العايد أنّ" علم اللغة العام ليس إلا قناعًا للدعوة إلى العامية بحسب أُسسِه وما يدعو إليه؛ لأنه لا يفاضل بين اللغات، ولا بين مستوياتها؛ لأنّ اللغة في نظر علم اللغة الحديث " ما يتكلمه الناس لا ما ينبغي أن يتكلموه" فاللغة عند أصحابه مجرد وسيلة

---

(١) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات للنشر والشعر، ص٩٦.

(٢) أسس علم اللغة ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

اتصال.ثم إنهم بتأكيدهم العناية باللغة المنطوقة وإعلاء شانها، والتقليل من شأن اللغة المكتوبة يدعون إلى العامية؛ إذ معنى كلامهم بالنسبة للعربية دعوة إلى دراسة العامية؛ لأنها اللغة المنطوقة التي يتفاهم بها الناس في شئونهم اليومية وحياتهم المعتادة"[1]. فهل من متأمل ؟!.

اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

سبقت الإشارة إلى أنّ دائرة اهتمام علم اللغة الحديث هي الكلمة المنطوقة، التي تُشكِّل النظام اللغوي، وهذا سببه أنّ للغة خصيصةً تميزها عن غيرها، وهي الخاصية الصوتية، المشكلة للمعيار الأساسي في تعريف اللغة، مما جعل ابن جني عندئذٍ أن يحدّ اللغة بأنها:"أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[2]

إنّ هذه الرؤيةَ للغة وقيمتها عند ابن جني وغيره من اللغويين القدامى والمحدثين"تكمُن في أنّ اللغة تُعدُّ وسيطًا لإنجاز أفعالٍ اجتماعية علمية؛ أي أنّها وسيلةٌ لتشكيل الواقع الاجتماعي"[3] فمن غير اللائق عندئذٍ أن تُغيَّب اللغة عن الواقع الحيّ، كما لو كانت ميتة، فتُؤخذ أنظمتها، وقواعدها، وأحكامها عن طريق اللغة المكتوبة؛ ولهذا نجد أنّ النصوص اللغوية المبثوثة في كتب علماء العربية العرب تدل على أنهم لم يكتفوا بتقرير أحكامهم على اللغة المكتوبة فقط، بل تطرقوا إلى اللغة المنطوقة، و يُشير يوهان فك إلى شيءٍ من هذا في قوله: إنّ" كتاب سيبويه يرينا كيف أنّ القواعد

---

(١) أسس علم اللغة العام وتطبيقاته على اللغة العربية، ضمن كتاب محاضرات في اللغة العربية (الجزء الأول)، مكتبة الرشد، الرياض ، د ط، د ت ، ص٨١-٨٢.

(٢) الخصائص، ص٣٣ .

(٣) الإثنوميثودولوجيا: ملاحظات حول التحيل الاجتماعي للغة، محمد حافظ دياب، مجلة فصول ، مج ٤،ع ٣ (١٩٨٤) ص١٦١.

العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوي عند عرب البادية دون استثناء، فهو يرجع دائمًا في شئون الاستعمال اللغوي إلى العرب"[1] وإذا رجعنا إلى تلك النصوص نجد أنهم لم يُغفلوا النظام الصوتي في هذه اللغة، وآثارَه الممكنة على التركيب والمعاني؛ مما دعاهم إلى أنْ يستثمروا هذا النظام الصوتي، وأداءه؛ لفهم خصوصية اللغة المنطوقة، وتوجيهها للغة المكتوبة، وكونه دالاً على معانٍ مخصوصة، سنتطرق إليها، بإذن الله، في كلامنا عن سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث.

وعلى الرغم من تبعية اللغة المكتوبة للغة المنطوقة، فإنّ اللغة قد تظهر أنّها كتلة جامدة دون الصورة المحسوسة التي تمثلها الكتابة، غير أنّ اللغويات الحديثة باهتمامها باللغة غير المُعدَّة تحاول" الكشف عن النظم التي تتبعها كلّ لغة في نسج الكلام من الأصوات. ومن المعروف أنّ اللغة لا تعيش على ألسن الناس عناصر صوتية مبعثرة، بل كلامًا حيًّا، تأتلف عناصره في كلِّ لغةٍ من اللغات وفق نواميسها الصوتية الخاصة بها. فما ائتلف من العناصر الصوتية أُخذ، وما اختلف نُبذ، والمأخوذ تتشكل منه نسج الألفاظ، والمنبوذ يبقى أمشاجا مقطعة غير مستعملة، كما تُلقى نكاثة الخيوط غير الصالحة للنسج"[2] ويُفهم من هذا أنَّنَا نستطيع الاحتكام إلى الذوق، والتعويل عليه؛ لإدراك وفهم أسرار الكلام، ومعرفة خواصّة الجميلة والذميمة، و" أن لدينا عقولاً معقدة ذات حياة خاصة بها نستطيع التوصل إليها بفضل حدسنا."[3] وكذلك نستنتج منه أنّ علم اللغة الحديث لا يرى بأسًا من استعمال الذوق و" الحدس كدليل في وضع التنظير العلمي".[4]

---

(١) العربية دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له د: عبدالحليم النجار، الدار المصرية السعودية، القاهرة، د ط، ٢٠٠٦م، ص ٧٧.

(٢) في علم اللغة ، د: غازي مختار طليمات، دار طلاس، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ١٥٦.

(٣) مدارس اللسانيات ، جفري سامسون، ترجمة د: محمد زياد كبة، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، د ط ، ١٤١٧هـ، ص١٦١.

(٤) نفسه ص١٦١.

للغة جانبان وشكلان أساسيّان في عملية التواصل، يُشير إليهما مازن الوعر بقوله:"كلّ لغة من لغات العالم لها شكلان متميزان : الشكل المنطوق، والشكل المكتوب، وقد كان يُظن قديمًا وحتى إلى حين بأنّ اللغة المكتوبة هي انعكاسٌ للغة المنطوقة، ولكنّ الدراسات اللسانية الاجتماعية المعاصرة كشفت بأنّ لكلّ لغةٍ من تينك اللغتين مكوناتها وشخصيتها ومميزاتها وعواملها التي تميزها عن مثيلتها"[١]

ولما كانت عملية التواصل تقوم على الصلة القائمة بين الرمز ودلالته في ذهن كلٍّ من المتكلم والمستمع والكاتب والقارئ، فإنّ للشكل المنطوق رمزًا لغويًّا مسموعًا، للأغراض والأفكار والمشاعر والانفعالات، على شكل "موجاتٍ صوتية مسموعة، متعارَفٌ عليها بين أبناء مجتمع لغويٍّ، أو بين عدد من المجتمعات ذات اللغة المشتركة"[٢] ، وللشكل المكتوب "مجموعة من الرموز البصرية التي تدل موزعة على الحروف، ومجموعة على الكلمات، ومنسقة على السياق"[٣] ، وعلى هذا أصبح للغة جانبان رمزيّان: رمز صوتيّ سمعيّ، ورمز بصريّ كتابيّ وكلّ من هذين الجانبين للغة جدير أن يُهْتَمَّ به" فالكلمة المنطوقة تفرض نفسها على أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار، سواء في الشارع ، أو في البيت ، أو في في قاعات الدرس، أو عن طريق الإذاعة المسموعة والمرئية، كذلك تلُحّ الكلمة المكتوبة على أعيننا أينما ذهبنا، في الكتب والصحف والمجلات، وفي الشارع على شكل لافتاتٍ وإعلاناتٍ، وللكلمات كيان مستقل في الكتابة والطباعة. كما تتمتع بذاتية ومكانة مستقلة في المعاجم "[٤]

الحديثُ عن اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة، إنّما هو حديث عن المتحوِّل والثابت، عن السابق واللاحق؛ ولتمييز الفارق بينهما، يُنظر لأول وهلة إلى اللغة العربية الفصيحة وحالها مع لهجاتها المعاصرة وعامياتها.

---

(١) قضايا أساسية في علم اللغة الحديث، د: مازن الوعر ، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٨، ص٤٨١.

(٢) الكلمة، د:حلمي خليل، ص ٧٥.

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية، د: تمام حسان، ص ١٠٩.

(٤) الكلمة، د: حلمي خليل، ص١٥.

فيبدو للوهلة الأولى، وهي غير مُضلِّلة بالضرورة، أنّ اللغة المكتوبة هي التي تُضارِع العربية النموذجية (الفصحى) في بنائها الائتلافي المُقام من عدة لهجات، تلك"التي وُضعت أو وُصفت على مثال لغة القرآن بقراءاته وبعض الحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي والأُموي وخطب البلغاء، وكلام العرب وأمثالهم، بمحددات النقاء في إطار عصور الاحتجاج."[1]ويظهر أنّ نسج هذه اللغة، إنما هو غاية نفعية لأجل التواصل بين المنشئ والمتلقي، بينا أنها في الحقيقة غايةٌ نفعيةٌ وجمالية، قد تخلق انحرافات لغوية، وقد تخرج عن مقتضى الظاهر، وتهدف إلى التأثير الشعوري على المتلقي، وتتسامى عن اللغة العادية في أنظمتها وتراكيبها، وللدخول في عالمها يُحتاج إلى وعي بطبيعتها لاستنطاق كلّ طاقة كامنة تحت ظلالها الوارفة، وذلك بمراودة الخاطر، والتأمل الحصيف، والتفكير في بناء الكلام.

وتلك اللغة هي التي يُشير إليها عبدالقاهر الجرجاني بالنمط العالي من الكلام. وهو ما تتحد أجزاؤه، ويدخل بعضه ببعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منه بأول. وأن تحتاج في الجملة أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكون حالُك حالَ الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع في يساره هناك [2]كبيت امرئ القيس[3] :

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا * لدى وكرها العنابُ والحَشف البالي**

وبيت بشار بن بُرد[4] :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا * وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه**

يقول عبدالقاهر الجرجاني:"وإذا عرفت هذا النمط من الكلام وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعًا واحدًا ، فاعلم أنّه النمط العالي والباب الأعظم، الذي لا

---

(١) اللغة العربية في العصر الحديث ، د: نهاد الموسى ،ص ٢٩.

(٢) يُنظر دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط ٣، ١٤١٣هـ ص ٩٣-٩٦.

(٣) ديوانه ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ،ط ٥، د ت ص ٣٨.

(٤) ديوانه، جمعه وعلق عليه الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية، د ط، ٢٠٠٧م، الجزء الأول ص ٣٣٥.

تَرى سلطان المزيَّة يعظم في شيء كعِظَمِه فيه"[1] والغرض الأساسي فيها الإيحاء بالحقائق لا شرح المسائل وتقريبها إلى الأذهان، ويقرر صالح الزهراني" طبيعة هذه اللغة أنها لغة تُسمّى فيها الأشياء بغير مسمياتها، وتتخطى فيها الكلمات دوائر المعجم إلى دوائر الفن من خلال ما تكتسبه في رحلتها الجديدة في سياق الشعر من ظلال فنّية، وإيحاءات شعورية يضيفها المبدع من روحه. فتغدو لغة خاصة بعد أن كانت ملكًا مشاعًا بين الناس"[2].

هذه اللغة أصبح لها طابعٌ خاصٌّ تتجلى به عبقرية الإنسان، وتتجاوز فيه اللغةَ العاديةَ بُغيةَ الإفهام إلى تحقيق قِيَمٍ جمالية بصور شعرية؛ ليمنح اللغةَ ،عندئذٍ، قوةً ثانية"وطاقةَ سحرٍ وافتتان"[3]، وتستمد هذه اللغة الأدبية الخاصة ،أعني اللغة الشعرية الإثرائية، القوة في بناءها من اللغة المجازية، كما قال تودوروف، و" هي ضرب من المخزون الكامن داخل اللغة"[4]، ولتصبح ذات خطاب شديد الكثافة، عميق التخفي، ليس للكلمات فيها" مرجع تقريري بل إحالة وهي مُتخيلة"[5]، ومن أميز صفاتها أنَّها "تمثل مستوى فرديًّا خاصًا، لاحقًا على المستوى العادي، ومنحرفًا عنه إذا ما قيس إلى القواعد التي تحكم هذا المستوى"[6]

إنّ هذا النمط من اللغة كما يقول شوقي ضيف:"لم يعد يوجه إلى الشعب جميعه كما كان الشأن أيام الجاهليين، إنما أخذ يوجَّه إلى طبقة بعينها هي الطبقة المثقفة أو قُلْ

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٩٥.

(٢) اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة، د: صالح الزهراني، منشورات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٣هـ، ص ١٤.

(٣) اللغة العليا النظرية الشعرية، جون كوين، تحقيق د: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٩.

(٤) الأدب والدلالة، ترفيان تـ.ودوروف، ترجمة د: محنمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦م، ص ١١٤.

(٥) السابق، ص ١١٦.

(٦) نظرية اللغة في النقد الأدبي، د: عبدالحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٤٧٥.

الطبقة الممتازة في الأمة بثقافتها وفلسفتها وفكرها العميق ومُثُلها الرفيعة"[١]. ، مادام أنه لم يعُد مستخدمًا، و لم يكن كثير يفهمه أو يتخاطب به

ولا يمكن تصوُّر أن يُتحدث بهذه اللغة في البيع والشراء والجِدِّ والهزل مثل ما هي في مستواها الإبداعي الإثرائي، كما يشير عبده الراجحي، [٢]، بل إنها أصبحت تلك اللغة " التي اصطُنِعَت في الأمور الجديّة من القول"[٣]، تلك التي حازت السيادة، ونزلت منزلا مرموقًا، واكتسبت الغنى والقداسة بنزول القران الكريم بها[٤].

وليس من السهل افتراض وجود فوارق بين المستوى الأدبي والمستوى الاتصالي العام في اللغة المشتركة إبّان العصر الجاهلي وعصور الاحتجاج، إلا أنّ فئامًا من الدارسين يرون أنّ اللغة الأدبية هي تلك اللغة المستخدمة في الأعمال الأدبية عبر الأزمنة بعد انتشار الإسلام[٥].

وإنْ كان من الجائز وجود ظواهر وفوارق بين أساليب اللغة الأدبية، وبين طرائق الكلام ولغة الاستعمال العادي عند ذوي الثقافة والفلسفة وأصحاب الطبقة الممتازة، ذلك أنها لغة ذات خطاب شفّاف لا " تسود فيها الوظيفة الجمالية ذات التوجيه

---

(١) في التراث والشعر واللغة، د: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص ٢٦٥.

(٢) يُنظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د: عبده الراجحي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠، ص٥٧.

(٣) في اللهجات العربية ،د: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، ٢٠١٠م، ص١٨٨.

(٤) ينظر العرب " إلى القرآن الكريم ، وإلى أسلوبه نظرة أسمى حتى من آثارهم الأدبية الأخرى؛ ذلك لأنه تحدّاهم وأعجزهم ، و لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله"، فصول في فقه العربية، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٧هـ، ص٨١.

(٥) يُنظر : في اللهجات العربية ،د: إبراهيم أنيس، ص١٨٨. فصول في فقه العربية، ص ٧٧. اللغة بين المعيارية والوصفية، ص٦٣-٦٤. أسس علم اللغة العربية، د: محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، ٢٠٠٥، ص٢٣٧.

الذاتي"[١]، لكنها تتسم باختيار المفردات والتنظيم[٢]؛ مما يجعل أنّ اللغة الأدبية لم تكن مقتصرة على تلك اللغة ذات النصوص الإثرائية "بل كانت أيضًا لغة التعامل الراقي ولغة التعامل بين أبناء القبائل المختلفة".[٣]

فإذا صح اقتصارها على التعامل الراقي، فأين اللغة المشتركة التي يتفاهم بها جميع الناس في المجتمع الواحد ذي اللهجات المتعددة من المشهد؟.

قد يبدو أنّ مصطلح اللغة المشتركة متداخل مع المكتوبة في الإرث اللغوي العربي، وهو تداخل بارز في حدود مصادر اللغة، ونصوصها المتناثرة في الكتب اللغوية، وقد يُعد هذا التداخل أمرًا ممكنًا في زمن الاحتجاج؛ لأنّ العرب" كانوا ينطقون لغتهم فصيحة معربة بسهولة من غير تكلف إعراب ولا تصنّع فصاحة"[٤] بل كانوا ينطقونها عن سليقة وطبع، "وأنّ ذلك قد كان قائمًا عند الناس بالمهارة المكتسبة عن طريق الأمومة"[٥] لا عن طريق تعلّم قوانين وأنظمة؛ غير أنّ وجود الخطأ في عصر ما قبل الإسلام، قد أدّى إبراهيم أنيس إلى نفي سليقية[٦] اللغة النموذجية الأدبية واللغة المعيارية، في قوله:"إنّ صاحب اللغة التي يتكلمها بالسليقة يستحيل عليه الخطأ في

---

(١) اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان موكاروفسكي، ترجمة إلفت كمال الروبي، مجلة فصول النقد الأدبي، مج٥، ع١، ص ٣٩.

(٢) يُبيّن فندريس أن اللغة " الانفعالية تُعبر عن نفسها على وجه العموم بصورتين: اختيار الكلمات، وبالمكان الذي يُخصَّص لها في الجملة، يعني أنّ معنَييْ الانفعالية الأساسيين هما: المفردات والتنظيم" اللغة ص ١٨٦، ولكن تبقى الإحالة هي المُحتكم إليه في كونها لغة أدبية ذات سمات خاصة، أو بسبب الاختيار والتنظيم تندرج تحت اللغة الأدبية، على الرّغم من الإحالة فيها إحالة مباشرة إلى المعجم اللغوي.

(٣) أسس علم اللغة العربية، د: محمود فهمي حجازي، ص٢٣٨.

(٤) مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، د: أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، د ط، ١٩٩٦م، ص٣٦.

(٥) العربية والإعراب، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م، ص ٧٦.

(٦) (السليقية) على النسبة إلى (السليقة) والسليقي من الكلام مالا يتعاهد المرء إعرابه، وهو فصيح بليغ في السمع، عثور في النحو، وذلك حين يسترسل في المتكلم على سليقته، أي سجيته وطبيعته، من غير تعمد إعراب، ولا تجنب لحن . لسان العرب مادة (سلق)

ظواهر تلك اللغة، دون أن يدرك أنه أخطأ "[1]، فهو يسترسل في كلامه على سجيته دون تعثر أو تعمد، مطبِّقًا قواعدَ لغته، وكذا يظهر هذا النفي في قول رمضان عبدالتواب: أنّ اللغة المشتركة[2] ليست لغة سليقية؛ لأنّ معنى السليقة " هو أن تتكلم لغة من اللغات، بغير شعور بما لها من الخصائص"[3]؛ غير أنّ ما حدث، فيما يظهر، من احتكاك في المواسم الدينية، والأسواق الأدبية، إنما هو تحسين للغتهم المكتسبة[4]، ولا يعني ذلك تعلمها كما سيحدث في الأزمنة التي تلي عصور الاحتجاج، واتساع رقعة البلاد بسبب الفتوحات الإسلامية ومخالطة العرب للأعاجم، حين تغدو العربية لغة معيارية تُتقن بصناعة النحو والصرف وما إلى ذلك.

وحين خامر العربية شيء من التطور إبّان الفتوحات الإسلامية، وزاغت الألسن عن سننها، وذلك بمخالطة العرب غيرهم من الأعاجم في البلاد المفتوحة، قامت في نفوس علماء اللغة رغبةٌ صادقةٌ في المحافظة عليها، وَرَدّ الألسن إلى الاستعمال الصحيح، وإلى تلك "الضوابط التي يستنبطها النحوي من استعمالات الناس للغتهم بحصر الثوابت فيها وغض الطرف عما هو عَرَضي ظرفي ليس ضامنًا للتبليغ في كل الحالات؛ ومن هنا كان التقعيد رهين الاستعمال، صادرًا عنه موفرًا لأسباب الكلام ومقاييسه، ممكِّنًا المتكلم من دليل يقتدي به ومرجعًا يحتكم إليه ونموذج منظر يقيس

---

(١) من أسرار اللغة، د: إبرهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، دت، ص ٢٠٣.

(٢) على أن هذا البحث يُفرق بين اللغة المشتركة وهي: تلك التي تتسامى عن الاختلافات والتباينات اللهجية المحلية للغة بعينها، وبين اللغة المعيارية أو ما تُسمى بعربية النحاة وهي التي يسميها رمضان عبدالتواب(اللغة المشتركة).

(٣) فصول في فقه العربية، ص ٩١.

(٤) يتفق معظم الباحثين على القول بأن:" الاكتساب يحدث في الطفولة...، أما تعلم اللغة فيحدث في مرحلة متأخرة حين يكون الأداء اللغوي قد تكوّن، وحين تكون العمليات العقلية قد نضجت أو قاربت للنضج، معنى ذلك أن الذي يتعلم اللغة هو غير ذلك الطفل الذي كان يكتسب اللغة؛ إذ يحدث تغير كيفي في وظائف الأعضاء وفي النشاط النفسي" علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة العربية، د: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، ١٩٩٥، ص٢٢.

عليه عن وعي أو عن غير وعي"[١]، وأضحى هذا التقعيد موجِّهًا للمعيار الصوابي، ومؤكِّدًا قِيَمه، وفارضًا هيمنته على المتكلم بوعي أو دون وعي؛ لترتسم عندئذٍ اللغة المعيارية "التي وُضعت أو وُصفت على مثال لغة القرآن بقراءاته وبعض الحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي والأُموي وخطب البلغاء، وكلام العرب وأمثالهم، بمحددات النقاء في إطار عصور الاحتجاج."[٢] وهي عربية ذات طبيعة جمالية نفعية، يصعب أن نجعلها اللغة المشتركة ببين الناس فيما يلي عصور الاحتجاج؛ لأنّ الفرقَ كما يقول تمام حسان:"واضحٌ بين استخدام الفرد للغة في ظروف عامة مشتركة بين أفراد المجتمع اللغوي وبين استخدام الشاعر أو القصاص أو الخطيب للغة."[٣]

أما اللغة المشتركة، فيما يبدو، أنها تلك التي تتسامى عن الاختلافات والتباينات اللهجية المحلية للغة بعينها. وباستطاعتها استيعاب موروث الجماعة اللغوية، وقدرتها على إيصال العمليات التبليغية بين أفرادها مهما تعددت العمليات الاتصالية، واختلفت طبقات المجتمع، كما أنها لا تحتاج إلى كثيرٍ مما يوجد في مَظان الكتب النحوية من قواعد فرعية وخلافات، وليست بحاجة إلى توظيف ما يخالف القياس المطرد؛ لأنها تقتضي عنصري الوضوح والمطابقة اللَّذين أشار إليهما تمّام حسّان ومحمد عيد بأنهما "عنصران هامان لا يستغنى عنهما:

عنصر الوضوح الذي يَسُدّ الحاجة اللغوية أو المعنى الوظيفي.

عنصر المطابقة الذي يَسُدّ الحاجة الاجتماعية أو المعنى الاجتماعي.

وحاصل مراعاة الحاجتين اللغوية والاجتماعية هو مراعاة المستوى الصوابي"[٤] وكلٌّ من اللغتين المعيارية والمشتركة مرتبطتان أساسًا بالمعيار، إلا أنّ المشتركة تمتلك

---

(١) نظرات في التراث اللغوي العربي، د: عبدالقادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٣١.

(٢) اللغة العربية في العصر الحديث ، د: نهاد الموسى ،ص ٢٩.

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٦٤.

(٤) السابق، ص ٦٣، ويُنظر المستوى اللغوي الفصحى واللهجات النثر والشعر، ص٢٢.

أكثر من مستوى لغوي، وتتفاوت هذه المستويات بقربها من المعيار وابتعادها عنه، وتكتسب ميزة الشيوع أكثر مما تكتسبه المعيارية، بيد أنّ كلتا اللغتين تمتازان باستخدام الشكل المكتوب والمنطوق في آنٍ معًا.

ويُستخلص مما سبق أنّ كلّ لغة مشتركة أو معيارية هي لغة مكتوبة بالضرورة؛ لأنّ الكتابة طابع مميز للغات المشتركة، وليست كلُّ لغةٍ مكتوبة بطبيعة الحال لغةً مشتركة، وكذا ينبغي لنا،كما يقول فندريس:" ألا نخلط بين (لغة مكتوبة) و(لغة أدبية). فقد يجتمع المعنيان أحيانًا في لغة واحدة، ولكنهما قد يتعارضان ويتضاربان. اللغة المكتوبة في غالب الأمر عبارة عن اللغة المشتركة، أما اللغات الأدبية فتتميز عن هذه الأخيرة في غالب الأحيان. لأنّ رجال الأدب في كثير من الأقطار، من شعراء وقصاص يكوّنون طبقة منعزلة لها تقاليدها وعوائدها وامتيازاتها"[١]

إذا كانت النصوص اللغوية المتناثرة في مظان التراث اللغوي العربي قد استندت على اللغة المكتوبة، فإنّ ثمة إشارات إلى ظواهر كلامية خاصة، تُلمِح إلى ما يتعرض المتكلم في هيئة كلامه وسياقه، وتغيراته في حال النطق، يطلق عليها عند اللغويين باللغة كقولهم لغة تميم ولغة الحجاز وغيرهم ، وهو ما يُسمى في البحث اللغوي المعاصر باللهجة؛ غير أنّ المقابلة في البحث اللغوي الحديث بين المكتوبة والمنطوقة، إنما هو مقابلة تضاد بين المُعدَّة وغير المُعدَّة، وهو ما افترضته اللسانية الأمريكية أوكس " بأن هناك فرقًا بين الخطاب المُعَدّ أو المحضّر (Planned) وبين الخطاب غيرِ المُعَدّ أو المحضّر (Unplanned)، واقترحت بأن ما كان يُعتبر قديمًا لغة مكتوبة هي في الحقيقة مكتوبة ومُعدّة وأنّ ما يعتبر لغة منطوقة محكية هي منطوقة غير معدة"[٢]

الثابت مبدئيًا أنّ الشكلَ المكتوب للغة مستقلٌ عن الشكل المنطوق منها؛ ولذا يعيش الشكلان في انعزال بعضهما عن البعض الآخر، إلا ما كان يُفيده المكتوب من نظيره المنطوق في تفسير ملامح غير واضحة في استعمالات اللسان، وبسبب هذا الانعزال والاستقلال، وكون اللغة المكتوبة تمثل القديم، صرح سوسير أنّ" ما نعرفه

---

(١) اللغة، ص ٣٤٠.

(٢) دراسات لسانية تطبيقية، د:مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م، ص٨٠.

بوجه عام من هذه الألسنة لا يكون إلا عن طريق الكتابة"[1]

وإذا كان من الحتمي أن قوانين التطور التي تتعرض لها اللغة في مستوياتها المختلفة، تتغير وتتحوّل في نظامها النحوي، أو في منزلتها بين اللغات، فلابد حينئذٍ أن تحافظ اللغة المكتوبة على صورتها المثلى؛ بما يضمن لها الثبوت والبقاء المستمر، الذي يجسد التواصل المنفتح على تعاقب العصور، فإذا كان هذا النظام يقبل التقديم والتأخير والحذف والاستبدال، بما يُهيئ لها حفظ نظامها اللغوي بمستوياتها المختلفة على تعاقب الأزمنة، فإن اللغة المنطوقة "لا تستعمل سوى جزء من الإمكانات التي تمتلكها المنظومة اللغوية"[2]

وهي تأتلف من جُمَل وأجزاء جُمَل، يتبع بعضُها بعضًا، وفقًا لانطباعات وانفعالات المتكلم، وتأثيرها على السامع، ودون روابط تربطها ببعض، كما يظهر في اللغة المكتوبة. وقد يعمد المتكلم إلى الأداء الصوتي المصاحب للكلام كالنبر والتنغيم إلى استكمال أجزاء الجمل المحذوفة، ومَردُّ ذلك " إلى أنّ موقف المشافهة موقف مشخص تقوم فيه الحال المشاهدة مقام المادة اللغوية الخالصة فيتّسع لصور كثيرة من الاختصار والاجتزاء"[3]؛ ولأجل ذا أورد مازن الوعر، ما أسماه، اقتراح تشيف " بأنّ اللغة المكتوبة تتميز بالدرجة العالية من الوحدة العضوية (Intgration) ... أمّا اللغة المنطوقة فإنها تتميز بالدرجة العالية من التفكيك المشظى (Fragmented) وتعود هذه الصفة إلى طبيعة الكلام المنطوق الذي هو على رأس لسان المتكلم ... وتتصف اللغة المنطوقة على حد تعبير تشيف بالدرجة العالية من الاستغراق أو الانغماس أو العفوية (Involvement) في حين تتصف اللغة المكتوبة بالدرجة العالية من الانفصال أو القصدية (detacned) أي انفصال المتكلم عن الموضوع المكتوب"[4].

---

(١) محاضرات في علم اللسان العام، ص٤١.

(٢) اللسانة الاجتماعية، ص ٨٧.

(٣) قضية التحول إلى الفصحى، في العالم العربي، د: نهاد الموسى، دار الفكر، عمّان ،ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٤٢.

(٤) دراسات لسانية تطبيقية، ص ٨١.

ويقتضي استخدام اللغة المنطوقة للإشارة إلى وقائع في العالم الخارجي ألاّ يزيد عن وصف الوقائع؛ لأنّ المتكلم يعمَد في منطوقه على مبدأ الاقتصاد اللغوي، والسعي في بذل أقلّ جهدٍ ممكن في الكلام، تاركًا للمتلقي أن يُعمل خياله في كلّ أمرٍ ممكن، مراعيًا عنصري الوضوح والمطابقة، بحيث لا يختلّ المعنى ولا يفسد، وهذا ما ذكره فندريس بأنّ اللغة المنطوقة " تقتصر على الاهتمام بإبراز رؤوس الفكرة، فهي وحدها التي تطفو وتسود الجملة"(١) وإلى جانب ذلك فثمة إشارات وظواهر ترافق الكلام المنطوق، تغنيه دلالة وتبين مقصده كتلك الظواهر الصوتية الأدائية التي ترافق التعبير اللفظي كالتنغيم، والنبر والوقف، وقد أكّد هذا فندريس بقوله:" أما الروابط المنطقية التي تربط الكلمات بعضها ببعض وأجزاء الجملة بعضها ببعض فإما ألاّ يدل عليها إلاّ دلالة جزئية بالاستعانة بالتنغيم والإشارة إذا اقتضى الحال، وإما ألا يُدل عليها مطلقًا وترك للذهن عناء استنتاجها"(٢)، وقد يؤدي سوء توزيع الأداء الصوتي للنبر والتنغيم الذي يصاحب اللغة المنطوقة إلى غموض فيها ،كما أشار إلى ذلك حلمي خليل.(٣)

ومما يميز اللغة المنطوقة أنها تستوجب أن يصاحبها أساليبُ لغوية تناسب المخاطَب، فلكلّ مقام،كما قيل، مقالٌ، فالمقام" ليس مجرد مكان يُلقى فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجز البعض. فهناك الموقف كلّه بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض، وهناك كذلك ما في الموقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه. وهناك كذلك الكلام نفسه، وهذا الكلام في حقيقة الأمر ليس إلا عنصرًا واحدًا من عناصر المسرح اللغوي بأكمله، ولا يتم فهمه إلا في هذا الإطار العام"(٤).

وطالما أنّ السمات الأساسية للغة المنطوقة تُنبئ عن كفاءة الفرد، ومقدرته اللغوية، وما يملكه من فرضيات ونماذج، يطبقها على معطيات لغوية يتعرض لها،

---

(١) اللغة، ص ١٩٤.

(٢) نفسه ص١٩٤.

(٣) العربية والغموض...، د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ٢٠١٣م، ص ٣١.

(٤) دراسات في علم اللغة، د: كمال بشر، دار المعارف، مصر، ط٩، ١٩٨٦م، ص ٥٨.

فكذلك ثمة عادات كلامية تظهر في الكلام المنطوق وتؤثر فيه، تُكسب الفرد سلوكًا اجتماعيًّا؛ لأنّ الكلام ،كما أشار هدسون " لا يستخدم عادة كوسيلة لنقل المعرفة بل كنموذج يصلح للاحتذاء"[1] ويظهر هذا الاحتذاء من خلال اختياره للكلمات بدقة؛ ليحدد علاقته الاجتماعية بمخاطب ذي منزلة اجتماعية حسب موقعه وثقافته.

وملاحظة تجاذب هاتين الظاهرتين اللغوية والاجتماعية يُفهم منه أنّ ثمة علاقات متينة دائمة بين العلوم، وكلّ علاقة يؤلفها نظام، ولا يمكن فهم هذا النظام إلا من خلال انعكاساته على أنظمة علوم أخر.

وعلى كلٍّ فإنّ الفارق الأساسي بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة " يكمن في طبيعة القنوات المستخدمة في كل من هاتين اللغتين، ففي حين تتعدد الأقنية المستخدمة خلال اللغة المنطوقة وجهًا لوجه وتشمل الأمور اللفظية والصوتية المتلائمة مع الحركة الإيمائية، فإن اللغة المكتوبة تنحصر فقط بالقناة اللفظية أو اللغوية"[2].

ولعل إجمال التمايز بين الشكلين المنطوق والمكتوب يظهر فيما افترضته اللسانية الأمريكية أوكس بين ما هو مُعدٌ ومُحضّرٌ، وبين ما هو صادر بعفوية دون إعداد أو تحضير.[3]

سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث

لعلّ المتأمل في الظواهر اللغوية المهيمنة على اللغة المنطوقة غير المعدَّة، يجدها متسمة بالعدول عن اللغة المعيارية، وكسر المستوى القواعدي لها، وخلوها من الإعراب والعلامة الإعرابية الهادف إلى تبيان المعاني. ذلك أنّ مستعمل اللغة المنطوقة الطبيعية يمتلك قدرتين : قدرة نحوية طبيعية، وأخرى تداولية، تجتمعان، كما يُشير أحمد

(١) علم اللغة الاجتماعي، د: هدسون، ترجمة د: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ١٥٧.

(٢) دراسات لسانية تطبيقية، ص ٧٩.

(٣) يُنظر السابق، ص ٨٠.

المتوكل، فيما يُسمى بـــ(القدرة اللغوية) أو (القدرة التواصلية) التي تُمكِّن المستعمل للغة من التفاهم والتواصل مع الآخرين بواسطة العبارات اللغوية؛ لأن إفادة المقصود من الكلام متحققة بذلك، وبما تكوّن لديه من مَلَكَات.[1]

القدرة اللغوية لدى المتكلم تجعل اللغة الحية المنطوقة وَحدَةً متلاحمة بين صورة مفرداتها والنظام الذي يحكمها، فالمتكلم يختار الكلمات"من حقول دلالية يمكن أن تكون بينها علاقات نحوية في سياقها بأن تستعمل الكلمة في حقيقتها اللغوية، أي تستعمل فيما وضعت له في اصطلاح البيئة اللغوية المعينة"[2] فعناية المتكلم تظهر بالربط بين الفكرة ودلالة الكلمة، وفق معطيات الأداء اللغوي الحيّ، والقواعد التي تملَّكها من بيئته اللغوية، وورثها عن أسلافه، إلا أنّ هذه النمط اللغوي الحي متعرض إلى التحوّل السريع والتغيّر، ليس في دلالة ألفاظه فقط، بل من حيث المستوى الصوتي والنحوي والصرفي.

وقد تفتقر اللغة المنطوقة إلى نظام نحوي معياري نهائي، إلا أنّ أوكس أوضحت ملامح هذا النظام للكلام الحي المنطوق وللغة المنطوقة، حين اقترحت أنّ صفاتها يمكن "أن تكون كالتالي :

تعتمد على التراكيب النحوية والصرفية التي يتعلمها المرء عادةً في المراحل المبكرة من حياته والتي من المفترض أن تُستبدل بالتراكيب اللغوية التي يستخدمها الكبار الراشدون.

تتكئ على السياق المباشر(Immediat Contex) النابع من عملية المحادثة بين المتكلم والمستمع لتعبِّر عن العلاقات القائمة بين الجمل المنطوقة.

تستخدم أدوات لغوية إشارية دقيقة.

تبتعد عن التراكيب المعقّدة التي تربط فيما بينها أدوات الصلة.

---

(١) يُنظر قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، منشورات دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٤هـــ، ص ٢٤.

(٢) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، د: محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠ ،ص٩٧.

تستخدم مكنة التصحيح الفورية على نحو دائم."[١]

في حين تُطوِّر اللغة المنطوقة نمطًا لغويًا، أو مستوى مفارقًا للغة الأدبية؛ كون الاستعمال اللغوي مرتهنًا بالحياة اليومية، وما يُمارس فيها من كلام، وهذا ما يجعلها تميل إلى" الاختزال اللغوي وهي حريصة على ذلك؛ حين تستبعد كمًّا من الأصوات محققةً مطلبَ الشارع والحياة؛ أي مطلب الوفرة في المجهود اللغوي؛ وحين تسلم نفسها إلى نظام أداء وتلوين نطقي يناسب موقع بيئتها وتفاعلاتها؛ فإنّ العلامات تمثل في حركتها عبئًا لا تطيقه تاركة أمر الإحساس بالوظيفة والموقع والرمز للثابت الذي يحرك مسرحها وهو الموقف والمقام والسياق".[٢]

تتخذ الدراسات اللغوية الحديثة في نظرتها للغة تيّاران رئيسان : أحدهما ينظر إلى اللغة بأنها مجردُ بِنية مكونة من علاقات صرفية تركيبة دلالية، تُدرس لذاتها ومن أجل ذاتها، فتحوَّلَ الدرسُ اللغويُّ مع البنيويين إلى درس مغلق ذي إجراءاتٍ داخلية خاصة، لا ينظر إلى التواصل اللغوي وعناصره بالحسبان، وأمّا الآخر وهو مَن رأى أنّ اللغة أداة " تُسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية. من هذا المنظور تعد العبارات اللغوية مفردات كانت أم جملاً وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معينة وتُقارب خصائصها البنيوية على هذا الأساس"[٣]

وعلى الرغم من أنّ المدرسة البنيوية بفرعيها الأوربي(دي سوسير) والأمريكي (بلومفيد) تتجاهل العناصر الاجتماعية في عملية التواصل اللغوي، إلا أنّ المدرسة الاجتماعية الإنجليزية (فيرث وأتباعه) اعتمدت اعتمادًا كبيرًا، كما يقول السعران، على آراء مالينوفسكي التي "قد أدّت به إلى نظرات قيِّمة في اللغة فيما يتعلق بدراسة الكلام الحي ... كما يمارسها المتكلمون "[٤]، في أحوال تخاطبهم، وعلى اختلاف

---

(١) دراسات لسانية تطبيقية، ص٨٠.

(٢) اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب، د: أحمد كشك، دار غريب ، القاهرة ، د ط، ٢٠٠٤، ص١٧٩.

(٣) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، د: أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص ٢٠.

(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٣١٠.

طبقاتهم، وسدّت تلك اللاآراء بذلك ثغرة حينما جعلت المنهج والفكرة المركزية التي تسير عليه هي سياق الحال، وهي كما يقول تمّام حسان:" تدل بأحد معانيها على مجموعة عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي، والتاريخ الثقافي للشخص، ويدخل في حسابها الماضي، والحاضر، والمستقبل. وهذا الاصطلاح – بالنسبة لعلم اللغة – قصد به دائما سياق النص، أمّا في الكلام العادي، فكل وضع – مَهمَا كان – يعتبر عنصرًا من عناصر الماجريات".(١)

على حين أنّ التطورات التي لحقت الدراسات اللغوية انبثق منها التيار التداولي(٢)، المعنِي بعلاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، والسياقات المقامية والتخاطبية، الذي ظهر بسبب عمق الخلاف ببين المدرستين البنيوية والتواصلية، وظهوره كذلك، كما أشار عبدالهادي الشهري"كان بمثابة ردة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئًا تجريديًّا، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، غفلاً من اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها"(٣) ويقرر الشهري أنّ" الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأنّ اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست وظائف مجردة، وبما أنّ الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز"(٤) حينئذٍ يظهر أنّ التداولية تحاول أن تفسر الاستعمالات الفعلية للكلام الحي من خلال سياقات الموقف.

الموقف والمقام هما الدافعان إلى اختيار نوع الأسلوب الذي يعمد إليه المتكلم، فهو يوازن بين أقدار المعاني وأقدار الحالات وأقدار المستمعين؛ لأنّ المستمعين ليسوا على

---

(١) مناهج البحث في اللغة، ص٢٨٦.

(٢) التداولية علم ينتمي إلى " حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال" ومن ثَمّ فهي " علم استعمال اللغة (وهي) نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحواله التخاطبية" التداولية عند العلماء العرب، د: مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ١٤٢٩، ص٢٥.

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢١.

(٤) السابق، ص ٢٣

درجة واحدة من الثقافة، ومقامات الخطاب ليست نفسها، كما أنّ الناس طبقات، فإنّ الكلام نفسه طبقات[1] وهذا ما يؤكده كمال بشر حين عدّ المقام" ليس مجرد مكان يُلقى فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجز البعض. فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض، وهناك كذلك ما في الموقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه. وهناك كذلك الكلام نفسه، وهذا الكلام في حقيقة الأمر ليس إلا عنصرًا واحدًا من عناصر المسرح اللغوي بأكمله، ولا يتم فهمه إلا في هذا الإطار العام"[2].

ولعل الدافع إلى اعتماد اللغويين المحدثين لفكرة السياق والمقام في فهم اللغة المنطوقة هو إزالة الغموض الذي تُضيفه الجمل والأنماط اللغوية المتشابهة الصادرة في ظروف مختلفة، فالبنية الأساسية للمنطوقة لا تختلف، لكنّما سيختلف هو التحليل؛ لأنّ الذي سيمده بما يجعله متطابقًا مع مراد المتكلم هو السياق؛ لذلك يرى جون لاينـــز " أن نحسب حسابًا لحقيقة أنّ الجمل تنطق ضمن سياقات معينة، وأنّ جزءًا من محصلة معنى نقش الكلام يُستمَد من السياق الذي يُنتج فيه"[3]ويبعد مالينوفسكي أبعد من هذا، إذ جعل اللغة " في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كلّ جماعة؛ ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع الدائم إلى المحيط الأوسع وهو الظروف التي يتم النطق بها"[4]

وهكذا فإنّ ديمومة النظر في سياق اللغة المنطوقة ومقامها يُعد مصدر ثراء، يُعوِّض النقص الكمي الذي أصابها بسبب العدول عن الأصل في اللغة النموذجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يَهَبُها القدرة على تِبيان غرض المتكلم ومراده، ويوجه المعنى

---

(١) يُنظر، البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، ١٤١٠، ج١، ص١٣٨.

(٢) دراسات في علم اللغة، ص ٥٨.

(٣) اللغة والمعنى والسياق، جون لايتز، ترجمة د: عباس صادق الوهاب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٠٠.

(٤) اللغة في المجتمع، م.م.لويس، ترجمة د: تمّام حسان،عالم الكتب، القاهرة، د ط، ١٤٢٣هـــ، ص٤٤.

حسب وقائع الكلمات في سياقاتها؛ لأنّ اطّراح السياق من الحدث الكلامي الذي قيل فيه كما يُشير مهدي عرار " مدعاة إلى خلق اللبس والاحتمال".[١]

ولّما كان الهدف من اللغة الإفهام والإفادة والتواصل، وأصبحت أداة لنقل المعاني والأفكار بين الناس، وتبيان الأغراض والمقاصد التي يرومونها، وجب الابتعاد عن اللبس؛ لأنّ المتكلم حينما يريد إفهام المخاطَب مراده فإنه يرتبه وفق قوانين وقواعد لا تدع للبس مجالاً؛ ليدرك المخاطَب مقصده تمام الإدراك، ومتى مازالت الفائدة، أو ألبست صار الكلام ركامًا من الألفاظ؛ لذا أشار تمّام حسان إلى أنّ كلّ لغة في الوجود" تنظر إلى أمن اللَّبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للفهم والإفهام"[٢]

وقد تتبين المعاني، و يتبين مراد المتكلم ومقصده في اللغة المنطوقة بطرق بديلة متكونة من عناصر لغوية خاصة و" عناصر أخرى من العالم الخارجي نراها، أو نسمعها أو نمسُّها، أو نشمها، أو نذوقها"[٣] ضمن تراكيب لغوية محتكمة إلى أنماط متعارف عليها في الاستعمال، ممتزجة امتزاجًا وثيقًا بين عناصر النظام اللغوي الداخلي للغة المنطوقة غير المعدَّة و"معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي"[٤]؛ إذ تستلزم المنطوقة أن تستند على أشكال من المفاهيم والعلاقات التي تطابق الصيغة المعتمدة لدى العالم الواقعي، وما يعدّه المجتمع صحيحًا في إطار التعبيرات التي تضمن استمرارية المعرفة والإفادة في أذهان المخاطَبين.

يحُيل الحديث عن سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث إلى الحديث عن تلك الملامح الصوتية التي تقع خارج البنية اللغوية، لتكشف عن مجمل العلاقات داخل التركيب اللغوي، إن عجزت اللغةُ عن إبانة كل المعاني التي تمور داخل النفس، فلا

---

(١) ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصل، د: مهدي أسعد عرار، دار وائل، عمّان، ط١، ٢٠٠٣م، ص٧٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٣٣.

(٣) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، د: نهاد الموسى ، نُشرت في جامعة شيراز ضمن ١٦مقالة عن سيبويه في كتاب خاص، ١٣٥٣، ص ٣١٩.

(٤) السابق، ص ٣٢٤.

شيء كما يقول محمد البنّا:" غير الأداء المنغم المعبر عن كل علاقة"[1] فهو الذي سيأتي ليَسُد هذا العجز ويُظهِر ما عجزت عنه اللغة من إظهاره، وكأنّ المعوّل عليه في فهم المعنى هو الأداء السليم ومراعاة الجانب الإيقاعي للكلام،؛ إذ إنّ أول ما تعتمد عليه اللغة هو الأداء الصوتي، الذي يصِفه سليمان العايد بقوله:"أجمل مقطوعة موسيقية في الكون يصنعها الإنسان، وأعلاها قيمة هي الصوت الإنساني، لما هو مهيأ له من إمكان حمل المعنى والفكر من خلال القيمة الجمالية"[2].

وحين يبرز الاستخدام الفعلي للغة، وبناء الكلام وفق اتجاه عملية الاتصال اللغوي بين المتكلم والمتلقي؛ ليكُوْن للمتكلم دورٌ في تحديد المعنى باستخدام الأداء الصوتي الملائم، وللتفريق بين المعاني حين يخلو الكلام من الأدوات، فالفيصل، حينئذٍ، في إبراز المعنى، وإظهاره"يتمثل بظاهرتين معروفتين، الأولى هي ما يعرف بالتنغيم،... أما الظاهرة الثانية التي ينعكس بها الأداء فهي الوصل والوقف "[3] أو ما يمكن نعتهما بالتلوين الموسيقي للكلام.

أمّا التنغيم فيرى إبراهيم أنيس أنّه هو موسيقى الكلام، حيث إنّ "الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها ... معاني الكلمات تبعًا لاختلاف درجة الصوت حين النّطق بها ... ويتوقف كلّ معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة. ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية"[4] ويعرِّف التنغيم تمّام حسان " بأنّه ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"[5] وعنده في موضع آخر أنه" هو الإطار

---

(١) الإعراب سمة العربية الفصحى، د: محمد إبراهيم البنّا، دار الإصلاح للطبع والنشر، د ط، د ت، ص٦٤.

(٢) القراء الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ، د: سليمان بن إبراهيم العايد، ضمن كتاب مقالات في اللغة العربية، ج١، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ص٢٠٢.

(٣) المعنى والقاعدة النحوية، د: محمود حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، ج١٧، ع٣٢، ذو الحجة ١٤٢٥هـ ص٥١٢.

(٤) الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، ص ١٦٣.

(٥) مناهج البحث في اللغة، ص١٩٨.

الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"[١] ويمكن الجمع بين هذه التعريفات ليقال:" بأنه تنوع الأصوات الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين، تنوعٌ يتراوح بين الارتفاع والانخفاض في أثناء النطق، وينظم علاقة الوحدات اللغوية المتتابعة في السياق ليشكل الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة".[٢]

فالتنغيم إذن جانب من الظواهر الصوتية الوظيفية التي تؤثر على الأصوات الكلامية[٣]، وهو مع كونه ملمحًا صوتيًّا مصاحبًا للكلام إلا أنه "عنصر مكمل للمنطوق، لا ينفك عنه، وأمارة صحته، ووفائه بالمعنى المقصود، وفقًا لنوعيات التركيب ونوعيات المقام"[٤]، ويمكن القول : إن آثاره بادية في الكتابة، ذلك بقيامه بوظيفة علامات الترقيم إلا أنه، كما يقول تمّام حسان، أوضح منها "في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة"[٥].

وربما أسهمت طبيعة الأداء في أنّ يرتبط النبر بالتنغيم ارتباطًا شديدًا، ذلك أنه يساهم في إبراز المعنى وإيضاحه الذي يريده المتكلم عند علو الصوت وهبوطه، وشدة الضغط على المقطع، ومن يتأمل موقعه في الكلام يجد أنه هو ميدان الظواهر الموقعية[٦] فكأنه، كما يصفه فندريس،" ينفث الحياة في هيكل الأصوات العظمي ... النبر روح الكلمة. فهو الذي يعطي للكلمة طابعها وشخصيتها سواء أكان نبر علو أم نبر شدة"[٧] ويضيف محمدُ العمري إلى التنغيم النبرَ والتلوينَ والتزمينَ حيث يرى " أنّ التنغيم يشمل كلّ هذه العناصر، فالنبر والتلوين والتزمين ما هي إلا عناصر لتنغيم الكلام؛ تنغيمة عن طريق التركيز على كلمة ما أو بعض حروفها ومقاطعها وهذا هو النبر، وتنغيمة عن طريق إعطاء كلّ حرف ما يستحقه من المدة الزمنية وهذا هو

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٢٦.

(٢) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د: نوزاد حسن أحمد، جامعة قار يونس، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٦١.

(٣) يُنظر أسس علم اللغة، ص٩٢.

(٤) يُنظر علم الأصوات، كمال بشر، ص٥٤٧.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٢٦.

(٦) يُنظر السابق، ص١٧٠.

(٧) اللغة، ص ٨٧.

التزمين، وتنغيمة عن طريق تردد الصوت ببين ارتفاع وانخفض وهذا هو التلوين. فالتنغيم هو أشمل هذه المصطلحات بل ربما شمل التنغيم الوقف والسكت فكاد أن يكون مقاربًا عندي لمصطلح(أداء الكلام) نفسه."[١]

ولم يكتف اللغويون المحدثون بالكلام عن عناصر الأداء الكلامي ودوره في التواصل اللساني بين المتكلم والمخاطب، وكونه دليلاً على الدلالات والمقاصد، رافعًا اللبس الدلالي بين الجمل، بل تطرقوا إلى ما تستخدمه المنطوقة من تشكيل صوتيّ لفهم بعض الدلالات، حين تحول أداء الكلام إلى دفعات كلامية منفصل بعضها عن بعضها الآخر، وتقطع لفظًا ما عما بعده، ثم تبدأ بلفظٍ جديد، وهذا القطع هو ما يسمى بالوقف.[٢]

"ولعل ظاهرة الوقف باعتبارها موقعية من موقعيات السياق"[٣] لا تقلّ أثرًا في أداء معنى الكلام، فلئن زال أثره في المعنى بتمام الكلام ومعناه، فسيصير الإجراء المستخدم عند الوقف دليلاً على ظواهر لهجية، وطرائق صوتية للوقف، مختلفة باختلاف اللهجات المحكية في مجتمعاتها.[٤]

ومن ثَمّ فسمات اللغة المنطوقة قائمة على معطيات عناصرها الداخلية في بنائها التركيبي، مفردات وتراكيب، وقد تستغني عن مجملها حينما يبرز مفهوم الكلام اللغوي، الذي يكون السياق دالاً عليه؛ إذ إنه "يتألف من عناصر تفيد معاني معينة تتكون من المفردات والصيغ الصرفية والقضايا التركيبية، يكتسب كلّ منها معناه الدقيق من خلال الاستخدام الحقيقي للغة، وذلك بفضل تفاعل بعض هذه العناصر مع

---

(١) أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب ، د: محمد العمري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ٣ محرم ١٤٣٠، ص ٤٠. ويُنظر التنغيم في التراث العربي ،د: عليان الحازمي ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد١٤، العدد٢٣، الجزء الثاني١٤٢٢هـ.

(٢) يُنظر اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٧٠.

(٣) نفسه، ص٢٧٠.

(٤) يُنظر اللهجات العربية في التراث ، د: أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، د ط ، ١٩٨٣م، ص٤٧٩-٥٢٤.

بعض، كما أنه لا يمكن الفصل بينها في الاستخدام اللغوي الحي"[١].

وقد يبدو أنّ ارتباطًا وثيقًا بين العناصر الداخلية للكلام المنطوق وبين العناصر الخارجية الملابسة له، ومحور الربط بينهما هو الأداء الصوتي حيث يصبح هذا الأداء جزءًا لا يتجزأ من بنية اللغة وتراكيبها؛ لأنه يَسُدّ مَسَدّ ألفاظ محذوفة، بل إنه ليؤثر في التمييز بين المعاني ودلالاتها المختلفة " فالتنغيم عامل مهم في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من إثباتية واستفهامية وتعجبية ...الخ حيث يكون لكلٍّ منها لون موسيقي معين"[٢] ، وحينئذٍ فإنّ مطلبَ الوفرة في المجهود اللغوي للغة المنطوقة معتمدٌ على نظام أداء وتلوين نطقي يناسب موقع بيئتها وتفاعلاتها، كما أنّ الفواصل الصوتية، أو ما يُعرَف بالوقفات والسكتات، ذات اعتبار هام في التوجيه والإعراب[٣]، وفي تحديد العناصر المحذوفة.

تلكم السمات التي اعتدت بها المدارس اللغوية الحديثة في دراستها للغة المنطوقة، فهي لا تقف عند الشكل والعلامات والإشارات، بل تستثمر ذلك كله، وتتجاوزه بهدف الوصول إلى التواصل الإنساني، وكل أنماط اللغة واستعمالاتها، شاذّها وعاديّها، ليصبح علم اللغة الحديث في نظر هنري سويت بدراسته للأصوات " أساس كلّ دراسة لغوية سواء أكانت هذه الدراسة دراسة نظرية أو علمية"[٤].

إنّ اهتمام علم اللغة الحديث منصبٌّ على الأصوات، وعلى الصيغ النحوية للغة المتكلمة، وينحّي جانبًا اللغة المكتوبة هذا من جهة، واقتفاء أثر القواعد التقليدية من جهة أخرى، ذلك أنّ الوصف ينبغي أن يبدأ من الصورة المنطوقة كما يشير إلى ذلك تمام حسان:" ولقد أصبحت الدراسة الوصفية للغات قائمة على دراسة اللهجات الحية من أفواه متكلميها "[٥]

---

(١) المعنى والقاعدة النحوية، ص ٥١٦.

(٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، د ط ، ١٩٩٨م ، ص١١٨.

(٣) يُنظر علم الأصوات ، د: كمال بشر ، ص ٥٥٣-٥٦٠.

(٤) السابق، ص ٦٠٥.

(٥) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص١٢٧.

ولئن كان مدار البحث اللغوي الحديث هو الصوت اللغوي، فإنّ الناظر في النظام اللغوي والاستعمال السياقي في اللغة المنطوقة يجدهما يستخدمان التشكيل الصوتي في التمييز بين المعاني؛ لذا كان معظم الدارسين يقف عند النغمات النهائية للمنطوق. ويشير فيرث إلى أهمية دراسة التنغيم بقوله:" لا يمكن أن تتم دراسة جادة لعلم المعنى الوصفي لأيّة لغة منطوقة؛ ما لم تعتمد هذه الدراسة على قواعد صوتية وأنماط تنغيمية موثوق بها... أمّا النحو بالذات فلا تكتمل دراسته بحال دون دراسة الأنماط التنغيمية أو النماذج الموسيقية"(١)

فإذا علمنا أنّ التنغيم عامل رئيس في إيضاح تمام معنى المنطوقة، فإنّ أحمد مختار عمر يرى أنّ التنغيم " في العربية ولهجاتها من النّوع غير التمييزي الذي يعكس إمّا خاصّية لهجيّة، أو عادة نطقية للأفراد"(٢) ؛ لذلك يرى تمّام حسان أن " تخضع دراستنا إيّاه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتمادِ على العاداتِ النّطقية في اللهجات العامية".(٣)

النظام الصوتي يقدم للنظام النحوي العلامة الإعرابية إلا أن المنطوقة غير المُعدَّة طرحت ذلك العبء الذي لا تطيقه؛ إذ يفضي تحريك أواخر الكلم إعرابًا إلى السخرية عند العامة، على أنّ اللهجات العربية الحديثة لم تتجرد كلّها من الإعراب(٤)، غير أنّ إبراهيم أنيس يرى أنّ ترك الإعراب سمة من سمات العربية ولهجاتها القديمة، وأنّ هذا الرأي "منسجم مع ما يراه في اللهجات العربية الحديثة التي ليست إلا تطورًا للهجات القديمة"(٥)؛ ولأجل ذا فقد رأى في الوقف مفتاح السرّ لقصة الإعراب(٦)، ثم يفصّل القول في ظاهرة الوقف في العربية ولهجاتها؛ ليستقر رأيه في أنّ ظاهرة"الوقف بالسكون... لم تكن أمرًا عابرًا أو عارضًا يمثل ناحية متواضعة من نواحي اللغة، بل كانت صفة من الصفات التي انتظمت معظم القبائل العربية وجرت على ألسنتهم

---

(١) علم الأصوات ، د: كمال بشر ، ص ٦٠٥.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ص٣٦٦.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٢٨.

(٤) يُنظر دراسات في فقه اللغة، ص ١٢٥.

(٥) من أسرار اللغة، ص ٢١٩.

(٦) يُنظر السابق ، ص ٢٢٠-٢٣٦.

جميعًا، ولم تكن تقلّ أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات في حالة الوصل، بل لم تكن أقلّ شيوعًا ودورانًا في أفواه الناس من ظاهرة الوصل"[1] ولعل ظاهرة الوقف كما يشير إلى ذلك فندريس من المظاهر التي تؤدي إلى اختزال طول الكلمات وهدم الإعراب[2]، حتى عُدّت هذه الظاهرة مدخلاً لدراسة اللهجات المحكية والعاميات في كتب علم اللغة الحديث.

وعلى أيّة حال فإنّ السمات التي تتميز بها المنطوقة غير المُعدَّة تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية نطقها، ونسج الكلمة وبنيتها، واختلاف معاني التركيب الواحد وفقًا لاختلاف المقاصد، والمقامات والظروف المحيطة بالكلام[3]، حيث يتخيّر المتكلم التراكيب ويميزها تمييزًا وظيفيًّا بحسب علاقته بالمخاطب.

دلالات الذوق اللغوي

أنظمة اللهجة لا تُتعلم، وإنما تُكتسب بالسماع، والممارسة الشفهية، والدليل على ذلك أنّ المتكلم يلتزم قواعد لهجته وأنظمتها دون خطأ، ودون أن يكون قادرًا على وصفها وتحليلها لغويًّا؛ مما أدّى إلى أن تتكون لديه ملكة تهديه إلى خصائصها الذاتية، وطاقاتها التعبيرية؛ ليستغل بذلك تلك الخصائص، ويستثمر هذه الطاقات، ليأتي كلامه عندئذٍ مُطابقًا لأغراضه، ومعبرًا عن حاجاته وانفعالاته ومشاعره[4]. يساير كلامه حس اللغة واللهجة، ويطابق ذوقها، والمسألة بين العربية الفصحى ولهجاتها المحكية في

---

(١) السابق، ص ٢٣٦.

(٢) يُنظر اللغة، ص٤٢٣.

(٣) يُنظر في اللهجات العربية، ص١٦-١٧.

(٤) يُنظر العربية المعاصرة والحس اللغوي، د: نعمة رحيم العزاوي، مجلة الذخائر، ع ٤، خريف ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٧.

هذا لا تختلف.

ومن هنا كان حدُّ اللغة عند ابن خلدون" عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان. وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها "[١]

والمفهوم أن مقصد ابن خلدون بالملكة اللسانية هي : معرفة المتكلم الضمنية لقواعد لغته، التي توجه استعماله للغة، مكتسبًا مهاراتها من خلال السماع، وجودة محفوظه، وكثرة استعماله.[٢]

ومما يجدر تبيانه وأشار إليه ابن خلدون أنّ القواعد الإعرابية والنحوية ليست هي الملكة، وإنّما هي قوانين هذه الملكة، وليست الملكة ذاتها، وإليه يشير الخليل بن أحمد ،من قبل، عندما" سُئل عن العلل التي يعتلُّ بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها، أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعَرَفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنّه علة لما عللته منه"[٣].

ويبين نهاد الموسى أنّ الخليل "لم يفته الاحتراس بأنّ معرفة العرب بمواقع كلامها وقيام علل ذلك في عقولها (لم يُنقل ... عنها) ذلك أنّ هناك برزخًا مقررًا بين المعرفة الضمنية وصورة التصريح النظري"[٤].

وقريب من هذا التصور عند دي سوسير لمفهوم الملكة، حيث يرى أنها " مَلكَة تظهر عندما لا يتعلق الأمر فقط بمجرد الرموز والدلالات المبعثرة المفككة، بل إنّ هذه

---

(١) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق د: علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، ط٦، ٢٠١٢م، ج٣، ص١١٢٨.

(٢) يُنظر السابق، ج٣ ص ١١٢٩، ١١٤٠، ١١٤٦، ١١٤٧.

(٣) الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق د: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ، ص٦٦.

(٤) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د: نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ، ص٥٥.

القدرة هي التي تقوم بدور أساسي في تنظيم اللسان باعتباره نظامًا ونَسَقًا"[1].

وفي بيان هدف علم اللغة يشير سوسير إلى الملكة عندما أراد أن يفرق بين اللسانLaLangue واللغة Langage، إذ يقول: "فليس اللسان إلا جزءًا محددًا من اللغة، وهو جزءٌ أساسيّ لا شك فيه. وبهذا الاعتبار يكون اللسان في ذات الوقت إنتاجًا مجتمعيًّا حادثًا عن ملكة اللغة وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضرورية التي أقرها المجتمع وسنَّها لكي تتأتى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد"[2]

اجتماعية اللغة في نظر سوسير يجعل لها معايير عرفية، ومن ثَمّ فلها نماذج وأنماط استقرت في أذهان الجماعة اللغوية تظهر في صورة " واحدة من أقوى العُرى التي تربط الجماعات"[3]، وعقدًا اجتماعيًّا لا مناص من الخضوع لسلطته.

وفي إطار هذا العَقدِ، وتحت مظلته، تُنتخب وتُختار "أنظمة اللغة الذهنية أصواتًا وأبنية وكلمات وجُمَلا"[4]، بما يتلاءم مع حاجات الجماعة اللغوية، تفعيلاً وإهمالاً، استعمالاً وتَرْكًا.[5]

ويقترب تشومسكي في نظرته للظاهرة اللغوية عند نسقها الثابت، ونشاطها المتحول من مفهوم ثنائية دي سوسير (اللسان- الكلام) ، إلا أنّ نظرته لا تطابقها، فالفرق "بينهما أنّ دي سوسير يرى أنّ اللغة هي قدر مشترك بين أعضاء الجماعة اللغوية"[6] على حين أنّ مفهوم المَلَكة عند تشومسكي يقارب مفهومها عند ابن خلدون، فهي تتمثل "في المعرفة الضمنية للمتكلم، فهو لا علاقة له بالجماعة، وإنما يهتم بملكة المتكلم كفرد، ولا تشترك فيها الجماعة اللغوية بالضرورة"[7]، وهذه

---

(١) محاضرات في علم اللسان العام، ص٢٧.

(٢) السابق، ص٢٣.

(٣) اللغة ، ص ٣٥.

(٤) العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، رسالة دكتوراه مسجلة برقم ١٤٣١١ في جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، من إعداد خالد بن أحمد الغامدي ص١٤٢.

(٥) يُنظر السابق، ص ١٥٣.

(٦) المدارس اللسانية المعاصرة، د: نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، دت، ص١٥٥.

(٧) نفسه ص١٥٥.

القواعد الكامنة في ذهن متكلم اللغة، جعلها تشومسكي أحد مستويي نظريته اللغوية وهي ما يعرف عنده بـــ(competence) أي (الكفاية اللغوية).

أما المستوى الآخر في نظريته (performance) أي (الأداء الكلامي) ما هو "سوى الممارسة الفعلية والآنية لهذه الملَكة، وإخراج لنظامها اللغوي الضمني من حيزه اللاشعوري إلى الحيز الإدراكي الفعال في ظروف مادية متنوعة"(١)

و"ينجم عن التمييز بين الكفاية اللغوية أو المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، وبين الأداء الكلامي أو الاستعمال الآني للغة، اعتبار الأداء الكلامي بمنزلة الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية"(٢)

ومن هنا فإنّ اللغة المنطوقة عند التوليديين عملية عقلية عميقة، كامنة وراء الأداء الكلامي، وتختفي في اللاشعور. فدراسة الأداء الكلامي (بنية السطح) يقدم التفسير الصوتي لها، ودراسة الكفاءة اللغوية (البنية العميقة) يقدم التفسير الدلالي لها(٣).

وبمعرفة المتكلم للغته وأنظمتها، يكون قادرًا على إنتاج الكلمات والجُمل، وتوظيف كلّ مستوياتها في أدائه الكلامي، فلا ينتج المتكلم كلامًا إلا باختيار وانتقاء أمثلةٍ وتنوعاتٍ لغوية، وليس المقصود بالاختيار اختيارًا شكليًّا" بل هو محكوم من جهة بإمكانات المقال، ومن جهة أخرى بمقتضيات المقام"(٤)، متلائم مع " قوانين اللغة وإمكاناتها المنمطة من خلال الاستعمال الجمعي للكلام"(٥)، وما يُظهره هذا الاختيار

---

(١) محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص٤٤.

(٢) قضايا ألسنية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)،د: ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ٦١.

(٣) يُنظر الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص ١٥. ويُنظر في علم اللغة التقابلي دراسة تطبيقية، د: أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، اللإسكندرية، د ط، ١٩٨٥م، ص ٣٨.

(٤) في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، د: سعد مصلوح، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١، ١٤١٤هـــ، ص٢٤.

(٥) العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، ص١٢٥.

لدى السامع من أنه جبلة وطبع، هو ما أسماه ابن خلدون في مقدمته بـــ (الذوق).

وتتجلى دلالات الذوق اللغوي عندما جعل تمام حسان مستعمل اللغة خاضعًا لمعايير ومقاييس العرف في بيئته اللغوية" فالمتكلم الذي يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه يستعمل أصواتها، وصيغها، ومفرداتها، وتراكيبها، حسب أصول استعمالية معينة، يحذقها بالمشاركة في التخاطب، ويمرن عليها، ويطابقها دون تفكير في جملتها أو تفصيلها"[١]، منتبهًا لما يطابق حس لغته ولهجته وذوقها في بناء المفردات، وفي صياغة الجمل والتراكيب.

ولما كانت اللهجات تبحث عن الخِفَّة و" الوصول بالقليل من الوسائل اللغوية إلى الكثير من الغايات والمعاني"[٢]، فإنّ متكلميها لاعتبارات ذوقية وعرفية، وكذلك مراعاة لأمن اللبس "يكرهون توالي الأمثال وتوالي الأضداد ويألفون توالي الأشتات"[٣] ويلجئون إلى التأليف والوقف والمناسبة والإعلال والإبدال والتوصل والإدغام والتخلص والحذف والإسكان والكمية والإشباع والإضعاف والنبر والتنغيم[٤].

وقد يسير المتكلم في أدائه اللغوي على مقاييس الفصيحة، إلا أنه قد يلجأ إلى قوانين متوارثة، وأنظمة استقرت في أذهان الجماعة اللغوية، كأنها حقائق ثابتة معتادة، تلغي مقاييس وأنظمة الفصيحة، حتى لو اطّردت؛ لأنه لا يألفها ولا يقبلها، طلبًا للخفة، وتقليلاً للجهد، وبهذا فإنه يحتكم إلى الذوق في تكوين كثيرٍ من الظواهر السياقية" فقد تكون هناك قاعدة أصلية: صوتية أو صرفية أو نحوية يرد عليها من المواقع ما يجعلُ الالتزامَ بتطبيقها في النطق منافيًا للذوق العربي، فالأصل الفكّ ولكن توالي المثلين يؤدي إلى إيجاد قواعد فرعية للإدغام ومثل ذلك يقال في حركة الإعراب والعدول عنها إلى سكون الوقف أو إلى حركة المناسبة. والأصل أن تبدأ الكلمة من

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٨.

(٢) الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره في العربية، رسالة ماجستير مسجلة برقم ٤٠٩٤ومقدمة في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى من إعداد الطالب : ليث محمد لال محمد ، ص ٢١.

(٣) الأصول، ص١٢٧.

(٤) يُنظر اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٦٣-٢٦٤. والأصول ١٢٨-١٣٠.

حيث نظام اللغة – أي من الناحية النظرية البحتة – بالساكن في بعض الحالات ويعدل عن هذا الأصل بقاعدة التوصل. والأصل أن يتجاور ساكنان نظريًّا ولكن يعدل عن هذا الأصل إلى التخلص وهكذا الحال مع ظواهر الحذف والإسكان والطول والقصر والإفراد والتشديد والإشباع، والإضعاف"[١]

وعلى أنّ ذوق المتكلم يكمُن في كراهة توالي الأمثال، وتوالي الأضداد، وإلف توالي الأشتات، إنما يمثل في ذلك بيئته اللغوية المتعصبة لبعض صفات كلامهم، والاستمساك بها، ولا يحيدون عنها[٢]، على حين أنّ هناك بيئة لغوية أخرى يتجلى ذوقهم اللغوي إضافة إلى ذلك، في حرصهم " على تجويد نطقهم، وتحسين عباراتهم، وتَخَيُّر ألفاظهم"[٣].

هذه القواعد الاختيارية يمتلكها المتكلم بصورة عفوية. فاختيار المفردات وإيقاع العلاقات النحوية بين المفردات المختارة، محكوم بقواعد وأنماط في أذهان المتكلمين؛ لتكوّن بينها علاقات ملائمة، تُمد المنطوق بالمعنى الأساسي، وتُبنى منها الجملة.

أمّا إنْ أدّى الكلام إلى اختيار مفردات لا تتلاءم ولا تنسجم مع بعضها، فإنّ النظام ليس معدًّا للكلمات الهرائية، على " أنّ كسر قانون اختيار المفردات على ضربين أولهما: تكون الجملة معه صحيحة نحويًّا ودلاليًّا وينتقل مستوى الكلام من الحقيقة إلى المجاز. وثانيهما : لا تكون الجملة معه صحيحة دلاليًّا ـــ ومن هنا لا تصح نحويًّا، حيث إنّ الصحة النحوية ليست مجردة، أو تتم في فراغ ـــ وتخرج عن أن تكون ذات دلالة مفيدة أصلاً"[٤].

إنّ السمة الإنتاجية للغة التي بها يستطيع المتكلم أن يؤلف جُملاً جديدة يفهم بها، هي الركيزة الأساسية التي تتكئ عليها المدرسة التوليدية بمصطلحي البنية السطحية والبنية العميقة، وهما اللذان يعكسان النظام اللغوي لدى المتكلم لا المفردات؛ لأنّ "

---

(١) الأصول، ص١٣٦.

(٢) يُنظر في اللهجات العربية، ص٧٩.

(٣) السابق، ص٨٠

(٤) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، ص ٨٥.

واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضع المفردات؛ بل ترك الجمل إلى اختيار المتكلم"[1]حين يرتِّب المعاني في النفس، ثم يرتب ألفاظها في النطق؛ ليقدم المعنى بطرق مختلفة من الوضوح والخفاء، والزيادة والنقصان، بخلق أنماط تركيبية تظهر المعني وتدل عليه.

فالمعنى عند تشومسكي هو محصلة لتفاعل العلاقات المقبولة نحويًّا بين المفردات في الحدث الكلامي، وليس في معنى الكلمات المعجمي، فلا مزية حينئذٍ للكلمات "في نفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"[2]، كما أنه لا يمكن الحكم على صحة تلك التراكيب واستقامتها في بنيها السطحية إلا من خلال صحة التأويل الدلالي لها.[3]

على أنّ عبدالقاهر الجرجاني سبق تشومسكي في" ربط النحو بالدلالة، وبين أهمية هذا الربط، وضرورة اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها، ومعرفة أهميتها، إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني مظاهر النظرية النحوية والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات . حيث أدرك تشومسكي ضرورة إدخال المكون الدلالي باعتباره مكونا تفسيريا".[4]

إنّ علاقة التركيب مع المفردات إنما هي علاقة تفاعل وحيوية، ليُدرك المتلقي معاني الكلام، وينفذ إلى أسراره ؛ بمطابقة النظام اللغوي، و مسايرة الكلام حس اللهجة وذوقها، والمسألة بين العربية الفصحى ولهجاتها المحكية في هذا لا يختلف.

---

(١) المزهر في علوم اللغة، ص٤٠.

(٢) دلائل الإعجاز ، ص٨٧.

(٣) يُنظر مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص١٣٠.

(٤) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د: حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، ١٤١٤هـ، ص٣٧.

معيار الصواب اللغوي

مرّ بنا كيف أن الذوق اللغوي يُعَدّ دليلاً على إدراك التنافر والانسجام بين الحروف داخل الكلمة، وعلى إدراك وفهم أسرار التركيب حين تترابط الكلمات بعلاقات نحوية بين بعضها[١]، وذلك ينبئ عن أنّ مسيره قائم على معايير ثابتة لا يجوز تجاوزها، إلا أن أوتو جسبرس لا يعد اللجوء إلى الذوق أساسًا سليمًا، وعلميًّا دقيقًا، يطمئن إليه الباحث اللغوي للحكم بالصواب أو الخطأ اللغوي[٢]، غير أنّ الذوق اللغوي يبين " قدرة الفرد على لَحْظِ توافق الوحدات اللغوية وانتقائها"[٣].

وقد يصدر عن المتكلم عندما يتكلم بصورة عفوية خروجٌ عن قوانين اللغة، قصدًا أو عن غير قصد، بما يتلاءم مع مقتضات التواصل في المجتمع، ثم ما يلبث هذا الخروج عن النظام، والخطأ في القياس، وفي ترتيب الأصوات، أن يصبح صورةً جديدةً في اللهجة، وكلمةً ذات وضع مختلف[٤]، وقاعدةً يسير عليها المتكلمون حتى " قال بعض اللغويين: إن تاريخ اللغة ليس سوى تاريخ الأخطاء اللغوية فيها"[٥].

ويشير محمود تيمور في كتابه مشكلات اللغة العربية إلى شيء من ذلك؛ إذ يقول:"فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته، وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه. بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة، خليقة بالتقدير والاعتبار... لنتدبر المثل القائل : (خطأ مشهور ، خير من صواب مهجور). ما أصدق انطباعه على اللغة، لولا أنه يسمي المشهور خطأً، ويسمي المهجور صوابًا، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح، فليت شعري : أيُّ خطأ شُهر؟

---

(١) يُنظر مبحث دلالات الذوق اللغوي ،ص ٦٢و ٦٣.

(٢) يُنظر اللغة بين الفرد والمجتمع، ص ١٣٠-١٣٢ .

(٣) الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية،د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص ١٣٠.

(٤) يُنظر في اللهجات العربية، ص١٤١.

(٥) اللغة بين الفرد والمجتمع، ص١٥٦.

وليت شعري: أيُّ صوابٍ في لفظ هُجِر؟ "[1] ويفهم منه أن ما قد يعد صوابًا في عصر، قد يُخطَّؤ في عصر آخر، والغلبة حينئذٍ للاستعمال، الذي ينحو إلى التطور والارتقاء الطبيعيين، ولا سبيل ،عندئذٍ، إلى الوقوف بوجه تطور لغة ما، وجعلها جامدة على وضع خاص[2]؛ إذ الألسن البشرية لن تتوقف عن التغيّر والتطوّر مادامت خاضعة للاستعمال، فإنْ انقطع هذا الاستعمال، أصبحت هذه الألسن من الشواهد التأريخية على حِقَبٍ معينةٍ خاضعةً للدرس وفق المنهج التأريخي.

كينونية اللغة وحيويتها، وقابليتها للنمو والتطور في نظر الداروين، هو ما حمل اللغويون المحدثون أنْ يدرسوا اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، قاصرين عمَلَهم على وصف اللغة المستعملة في زمان ومكان محدَّدَين، وتحليلها بطريقة علمية موضوعية، لا أن يدرسوها من أجل تصحيحها وترقيتها وتعديل شيء منها، بل دورهم الوصف فقط دون تمييز الصواب من الخطأ، أو أي شيء زائد على نظام اللغة.

وفي ظل رفض الوصفيين للمعيارية في اللغة، ورفعهم شعار " أنّ علم اللغة يجب أن يكون وصفيًّا وليس توجيهيًّا"[3] يتساءل عبدالسلام المسدي : " كيف السبيل إلى أن نتفاهم بواسطة اللغة لو لم يستقر أمرها على معيار يرضخ له الاستعمال ؟. فإنْ جعلنا الاستعمال قَيِّمًا على المعيار أفلا ينتفي مبدأ الانتظام المطرد داخل جهاز اللغة؟."[4]، فلا يمكن حينئذٍ ألا يكون هناك معيارٌ يُحتَكَم إليه، ومقياس يُعتمد عليه في البيئة اللغوية تصويبًا وتخطئة.

خير من عالج مفهوم ومقاييس الصواب اللغوي من اللغويين المحدثين ،فيما يظهر، هو أوتو جسبرسن، وقد بيّن أنّ العالم اللغوي أدولف نورين Odolf Noreen قال بوجود ثلاثةِ مذاهب حول موضوع الصواب والخطأ اللغوي: هي المذهب الأدبي

---

(١) مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب ومطبعتها، الخماسين(مصر)، د ط، د ت، ص ٢٦.

(٢) يُنظر اللغة والمجتمع، علي عبدالواحد وافي، ص ٧٧.

(٣) علم اللغة الاجتماعي، د: هدسون، ص٢٩٦.

(٤) مباحث تأسيسة في اللسانيات، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص١١٧.

التأريخي، والمذهب الطبيعي التأريخي، والمذهب المنطقي لكنّ جسبرسن أخذ عليه أنه" تعلق ببعض المثل الذهنية، كالأدبية التاريخية، والطبيعية التاريخية وقد صرفته هذه المثل الذهنية البحتة، عن علاج الوقائع اللغوية المادية"[١].

ومقياس الصواب اللغوي عنده يتبين عندما يلجأ الرجل العادي في كلامه باعتبار وصول الكلام إلى أحد " المستويات الآتية:

مستوى جهات الاختصاص اللغوي .

مستوى المناطق الجغرافية المتميزة .

المستوى الأدبي .

المستوى الارستقراطي .

المستوى الديمقراطي .

المستوى المنطقي .

المستوى الذوقي ."[٢]

ويعني بمستوى جهات الاختصاص اللغوي " الهيئات الرسمية وشبه الرسمية التي تعنى بالدراسات اللغوية عناية خاصة ... ولهذا يمكن أن نقول: إنّ ما تقرره جهات الاختصاص... لا يلبث أن يشيع حتى يَعمّ كلّ أطراف الجماعة اللغوية وزواياها"[٣]

وأما في مستوى المناطق الجغرافية المتميزة يشير أوتوجسبرسن إلى تساؤلات كثير من الناس عن وجود لغة مثالية في مكانٍ ما؛ إلا أنّ أصحاب علم اللغة الحديث لا يُقرّون بوجود لغة تفضل أخرى أو مستوى يفضل مستوى فكلها عندهم في الميزان والدرس سواء[٤]؛ لذا يرى أوتوجسبرسن أنّ "أصح إجابة لمثل هذا النوع من التساؤل أن نقول: (إنّ خير الأماكن التي توجد فيها الإنجليزية الأسكتلندية هو أسكتلاندا، وإن خير مكان توجد فيه الإنجليزية الأمريكية، هو الولايات المتحدة الأمريكية، وإنّ

---

(١) اللغة بين الفرد والمجتمع، ص ١٠٧.

(٢) السابق، ص ١٠٨.

(٣) نفسه ص١٠٨.

(٤) يُنظر مبحث التسوية ببين اللغات والمستويات اللغوية ص٢٨.

خير مكان توجد فيه المصرية الصعيدية، هو صعيد مصر، وإنّ خير مكان توجد فيه المصرية كما يتحدثها أهل طوخ طنبشا، هو قرية طوخ طنبشا)"[1].

أما المستوى الأدبي، فعلى الرغم من أنّ النتاج الأدبي غير داخل في الدراسات اللغوية؛ إذ كيف يتأتى للغوي أنْ يُعَين " أعاظم الكتاب وأسلمهم تعبيرًا، دون أن يكون هناك مقياس للصواب والخطأ؟! أوليس من الممكن، بل من المؤكد، أن تختلف الآراء اختلافًا كبيرًا في تعيين من هم أعظم الكُتّاب؟!؟."[2]، إذ لا يمكن الاستعانة بنصوصهم وجعلها معيارًا للصواب والخطأ، ذك أنّ تأثريهم " أعمق بكثير من تأثير المتكلم العادي في توجيه اللغة "[3] في مستواها الإبداعي أو المستوى التداولي، وليس المستوى الاتصالي العام.

وحين تحدث عن المستوى الارستقراطي أشار إلى الطبقة الراقية " ممن اكتسبوا ثقافة عالية ترتفع بمستواهم العقلي واللغوي"[4] فستكون هذه الطبقة ،عندئذٍ، مكونة من الأمراء وذوي المال والثراء العريض وكبار موظفي الدولة وأمثالهم.

وينقل أوتوجسبرسن ما قاله مليبه حول عرض وتلخيص برونوت الآراء التي قيلت في هذا المستوى الارستقراطي ،ثم يبين أوتوجسبرسن " أنّ الكاتب يفترض:

أولاً- وجود طبقة ممتازة امتيازًا اجتماعيًّا، هي محل تقليد من سواها من الطبقات.

ثانيًا- اختلاط لغة هذه الطبقة بلغة من سواها من الطبقات.

ثالثًا- تَخَيُّر الأدباء لأحسن وأنقى أساليب الطبقة الممتازة واستعمالها في إنتاجهم الفني، وبذلك تكتسب هذه الألفاظ والتعابير، مركزًا ثابتًا، حيث إنها لا تقتصر على كونها مجرد ألفاظ تقال وتنسى ومن هذه الدورة كلها نخرج بالألفاظ والتعبيرات التي يمكن الحكم بأن استعماله قد تدوول، إلى درجة صارت معها من التعبيرات المستحسنة

---

(١) اللغة بين الفرد والمجتمع ، ص ١١٤.

(٢) السابق، ص١١٥.

(٣) السابق، ص ١١٧.

(٤) السابق، ص ١١٨.

المرضية."[1].

وعلى النقيض من ذلك فإنّ المستوى الديمقراطي يقول:" باتخاذ لغة الشعب التي هي أكثر شيوعًا وانتشارًا، مقياسًا له. ويعتمد هؤلاء الديمقراطيون في رأيهم، على أنه ليس هناك فرقٌ بين فرد وآخر في النشاط اللغوي، يبرر تميز أيهما"[2]

أما المستوى المنطقي فهو "اتخاذ المنطق المجرد مقياسًا للسلوك اللغوي" وهو ما يجد معارضة من علماء اللغة الوصفيين ورفضهم للقياس العقلي المنطقي في النحو العربي.

وأخيرًا المستوى الذوقي يقوم على أنّ" اللغة السليمة، هي التي تصل إلى المستوى الذي يمليه علينا إحساسنا الفنيّ باللغة، وبهذا تكون اللغة السليمة هي لغة الشعر أو النثر الفني فحسب "[3]،

وبعد أن عرض جسبرسن مقاييس الصواب اللغوي وناقش الآراء فيها، خَلَصَ إلى أنّ الصواب اللغوي هو الذي يتطابق فيه" الكلام مع ما يتطلبه العرف اللغوي للجماعة التي ينتمي إليها المتكلم"[4]

ومن هنا يتبين أن ما توصل إليه جسبرسن من مقاييس للصواب اللغوي ليست لغوية، بل اجتماعية خالصة، خاضعة لسلطة العرف على اللغة؛ لأنّ العرفَ كما يقول تمام حسان:"هو الذي يحدد معايير الاستعمال في اللغة، وإذا كان الفرد خاضعًا دائمًا لما يحدده العرف من المقاييس الاجتماعية، فهو خاضع أيضًا لما يحدده العرف من معايير اللغة"[5]؛ لذا "يراعي المتكلم في استعماله أصولاً محددةً بالعرف"[6] الذي ارتضته الجماعة اللغوية، ومنها مقاييس الصواب اللغوي الاجتماعي وليست المعايير التي يفرضها النحوي؛ ولذا عاب تمام حسان على اللغويين القدامى حينما "فكروا في اللغة تفكير من يخضع الصواب والخطأ في استعمالها لا لمقياس اجتماعي، بل لمجموعة من

---

(١) السابق، ص ١٢١.

(٢) السابق ، ص١٢٢.

(٣) السابق، ص ١٣٠.

(٤) السابق، ص١٣٣.

(٥) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٨.

(٦) السابق، ص١٩.

القواعد يفرضها عليها فرضًا، ويجعل كلّ ما لا تنطبق عليه هذه القواعد إما شاذًا أو خطأ ينبغي ألاّ يدخل في دائرة الاستعمال العام، ولو كان أشيع على الألسنة"[1]؛ إذ لا ينبغي في نظر تمام حسان وأصحاب المنهج الوصفي "أن يقطع الباحث الصلة بين اللغة والمجتمع"[2]، وألاّ يفكر كمثل موقف المتكلم من استعمال اللغة بمطابقة معايير العرف اللغوي لجماعته اللغوية، بل عليه أن يصف ويسجل الواقع اللغوي دون الدخول لمسائل الصواب والخطأ.[3]

على أن المدرسة التوليدية في نظريتها اللغوية، ترى أنّ المستوى الصوابي نابعٌ من افتراض وجود متكلِّم ومستمع مثاليَّين "في مجتمع لغوي متجانس يعرف لغته معرفة كاملة"[4] بإنتاج الجمل وفهمها فهمًا صحيحًا، وباستطاعتهما أنْ يُدلِيا "بأحكام حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث هي تؤلف جملةً صحيحةً أو جملةً غير صحيحةٍ من جُمَلِ لغتِه. نسمِّي الجملة الصحيحة بالجملة الأصولية أي الجملة الموافقة قواعد اللغة"[5] ومتى ما انحرفت عن تلك القواعد والأنظمة سواءً كان الانحرافُ صوتيًّا أم تركيبيًّا أم دلاليًا تكون الجملة غير الصحيحة جملة غير أصولية.

هذه القدرة على إطلاق الأحكام على أصولية الجمل وصحتها وقبولها، هي ما يُسمى بـــ(الحدس اللغوي) و"هو جزء من كفاية الإنسان اللغوية أي جزء من

---

(١) السابق، ص٢٦.

(٢) السابق، ص٢٣.

(٣) هذا ما قرره تمام حسان وغيره ممن ساروا على خُطا المنهج الوصفي ، إلا أن نهاد الموسى قرر في بحثه (الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه) أن سيبويه قد استشرف هذين البُعدين: اللغوي والاجتماعي في وصفه لنحو العربية، مزج بينهما مزجًا متناسبًا متكاملاً. ففي كتابه صور متوافرة من التحليل اللغوي الداخلي، وفي كتابه، كذلك صور معجبة من تجاوز الدائرة اللغوية الذاتية، تتمثل في التفاته إلى المعنى، وتنبهه إلى السياق وما يلابسه من الظروف، والمتغيرات والمعطيات الخارجية التي تكتنف الموقف الكلامي، من حال المخاطب، وحال المتكلم، وموقف الخطاب... وفيه... وعي عملي عميق على دور اللغة في صياغة المجتمع.

(٤) النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، ص ١١٤.

(٥) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـــ، ص١٠٨.

معرفته الضمنية بقواعد اللغة"[١].

يعتدّ التوليديون بالحدس اللغوي ويجعلونه ركيزة من الركائز الأساسية في الدراسة اللغوية؛ لأن مقدرة المتكلم اللغوية تتمثل بالحدس، فيرى تشومسكي أنّ " الجُمَل التي تولدها القواعد النحوية لابد أن تكون مقبولة من أبناء اللغة"[٢]؛ لتآلف عناصرها الصوتية والتركيبية والدلالية، فإنْ كانتْ على "درجاتٍ متباينةٍ من حيث الجُمَل وذلك لأنّ الجُمَلَ غيرِ الأصولية تتباين بالنسبة على درجة انحرافها عن قواعد اللغة"[٣]، أو اختَلّ معناها، وانفرط عقدُ نظامِها، أصبحت هذه الجمل جُمَلاً غير أصولية، وليست مقبولةً نحويًّا، وإن صح تركيبها النحوي. وهذا ما يذكره عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز بقوله: " وإن أردت أن ترى ذلك عِيانًا فَاعْمِد إلى أيِّ كلام شئت، وأَزِلْ أجزاءه عن موضعها، وضَعْها وضعًا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، فقل في : *قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل * (من نبك قفا حبيب ذكرى مترل) ثم انظر هل يتعلَّق منك فكر بمعنى كلمة منها؟" [٤]

على أنّ تشومسكي يُمَيِّز بين أصولية الجملة وتركيبها الجيد، وبين قبولها بقوله:"إنَّ الجملة التي يقبلها المتكلم أكثرَ مما يقبل غيرها هي الجملة التي يُحتمَل ورودُها أكثر من غيرها، وبسهوله أكثر، والتي هي أقل خشونة من غيرها وبمعنى آخر التي هي طبيعية أكثر من غيرها ويتجنب المتكلم استعمال الجمل التي لا يقبلها ويستبدلها في كلامه بجمل معادلة قدر الإمكان...لا يجب أن نخلط بين مفهوم قبول الجملة وبين مفهوم أصولية الجملة فمفهوم قبول الجملة عائد إلى مجال دراسة الأداء الكلامي في حين أن مفهوم أصولية الجملة يرتد على مجال دراسة الكفاية اللغوية.

---

(١) الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ،ص١٥٧. ويُنظر الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص ٩.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، ص٦١.

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، ص ٩.

(٤) ص ٤١٠

فالأصولية هي عامل من عوامل متعددة تترابط لتحديد قبول الجمل"[1].

وما من شك أنَّ أيّ فردٍ في البيئة اللغوية قادرٌ على التمييز بين الخطأ والصواب في لهجته ولغته؛ إذ" إنّ الإنسان الذي يتكلم لغةً معينةً يستطيع أن يفهم جمل لغته هذه، كما أنه يستطيع أن يحكم على الجمل الجديدة من حيث الخطأ والصواب في التركيب"[2] والمفردات والأصوات.

وطالما أنّ المتكلم يستعمل كفاءته، ومقدرته اللغوية، وما يملكه من فرضيات ونماذج، يطبقها على معطيات لغوية يتعرض لها، فسيلتزم التقيّد بأنظمة لهجته وقوانينها في صياغة الكلام وتركيب الجمل، إذ لا يمكن اختراق ما للغةِ من قواعد وأنظمة إلا في حدود ما يسمح به العرف اللغوي؛ لأنه يمكِّن لها الحماية والرقابة[3]، ويُعطيها غطاءً أمنيًّا في حال التجاوزات " الخارجة عن نظام اللغة أو قياسها النظري ...، وكان يمكن إعدامها... لولا غطاء متين من عرف اللغة يحميها من هذا المصير"[4].

على أن التَّهكُمَ والسُّخريَةَ هي مَصيرُ مَن يُخَالِفُ المستوى الصّوَابيّ لأيَّةِ لهجةٍ[5]؛ مما يتسبب بالضغط الاجتماعي (Social pressure) الذي يستهدف تعديل السلوك للوصول إلى هدفٍ محددٍ.[6]

ويخلص تمام حسان إلى أن المستوى الصّوَابيّ ليس خاصًّا في اللغة وحسب، بل هو "معيار لغوي يرضى عن الصواب ويرفض الخطأ في الاستعمال: وهو كالصَّوغ القياسِيّ لا يمكنُ النَّظرُ إليه باعتبارِه فكرة يستعين الباحث بواسطتها في تحديدَ الصّوابِ والخطأ اللغويَّين، وإنما هو مقياسٌ اجتماعيٌّ يفرضه المجتمعُ اللُّغَويّ على الأفراد، ويرجع

---

(١) نقلاً عن الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص١١٣.

(٢) الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص١٥٦.

(٣) يُنظر العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، ص١٤٤.

(٤) السابق، ص ١٧٣.

(٥) يُنظر علم اللسان، أنطوان ماييه، ترجمة د: محمد مندور ضمن كتاب النقد المنهجي عن العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، ص٤٤٢.

(٦) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د: أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٩٣. اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٦٦. ويُنظر العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، ص ١٤٤.

الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال ... ومن ثَمّ لا يمكن أن يقال: إنّ المستوى الصّوَابِيّ فكرةٌ من منهج اللغة، ولكن يقال: إنه مقياسٌ اجتماعي عامّ يرمُقُه الفردُ بشيء من المَهَابةِ والاحترامِ، ويحرُسُه المجتمع بأسلحةٍ أقلُّهَا النّقد الاجتماعي اللاذع"[1]

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٧٢.

الفصل الثانى :

صورة اللهجات (اللغة المنطوقة) في كتب علم اللغة الحديث :

- المبحث الأول: الظواهر اللهجية بين المنطوقة والنموذجية في ضوء الموروث الشفوي.
- المبحث الثاني: العلاقة بين الفصحى (النموذجية) والعامية (المنطوقة) .
- المبحث الثالث: الازدواج اللغوي .

لكل حقيقة في الوجود صورة في اللغة، فإذا انعدمت الحقيقة صار للصورة رمز لغوي مجموع من " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[١]، أو كما يعبر عنه اللغويون المحدثون " نظام من العلامات"[٢] أو مجموعة من الرموز الصوتية التي تكوِّن نظامًا متكاملا[٣].

الناتج اللغوي من ارتباط الصورة الصوتية بالصورة الذهنية إنما مرجعه إلى العلامة اللغوية التي بنى سوسير نظريته اللغوية عليها، واصفا إياها بأنها نظام من الرموز والدلالات والعلامات[٤] و" فكرة العلامة هي التي كان يبحث عنها لوضع منهج علمي وصفي، لأنها هي الشيء الذي يمكن تحديده وتعيينه، وهي تتسع عنده لتشمل كلّ ما يمكن تمييزه كالجمل والعبارات والكلمات "[٥] والوحدات الصرفية .

تَمَثُّل الصورة الذهنية للحدث الكلامي، واختلاف زاوية التصوير، يُنبئ عن عدد كبير من الألفاظ، وعددٍ كبير من الجمل، وأشكال من التعبير تربطها علاقات دائمة، وكلّ علاقة ينظمها نظام، ولا يفهم ذلك النظام إلا من خلال علاقاته وانعكاساته على أنظمة أخر[٦].

فالمتكلم يرتّب المعاني في ذهنه، ثم يترجم هذه المعاني إلى ألفاظ دالة عليها نطقًا، أما السامع فهو يتلقى الألفاظ في سمعه، ثم يفككها ويؤولها في ذهنه[٧]، وفق جملة من القواعد التي تمثل نظام اللغة المتواضَع عليها : الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية،

---

(١) الخصائص، ص٣٣ .

(٢) اللغة، ج.فندريس ، ص ٣١.

(٣) يُنظر ، مدخل إلى علم اللغة، د: محمود فهمي حجازي، ص١٠

(٤) يُنظر محاضرات في علم اللسان العام، ص ٣٠.

(٥) النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، د: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، ١٩٧٩م، ص٣١.

(٦) يُنظر اللغة والحضارة، د: مصطفى مندور، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، ١٩٧٤م،ص٢١٨.

(٧) يُنظر محاضرات في علم اللسان العام، ص ٢٦.

وجملة من الأعراف اللغوية[1].

ولأنّ اللهجات المحكية هي الواقع اللغوي الآنيّ الذي يحبذه أصحاب علم اللغة الحديث؛ لاستقرارها في بيئة وزمان محددين؛ ولذلك وُصف علم اللغة الحديث " بأنه علم ساكن، ففيه توصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة ليس ضروريا أن تكون في الزمن الحاضر"[2].

فبالمنهج الوصفي تتبدى صورة اللهجات المحكية من واقعها، المستقى من موروثها وأعرافها اللغوية والاجتماعية؛ ليلقي بظلاله على الممارسات الإجرائية، والمقاصد النفعية لتقعيد اللهجات المحكية.

ولعل تبيان هذه الصورة يتجلى فيما يلي:-

- **الظواهر اللهجية بين المنطوقة والنموذجية في ضوء الموروث الشفوي.**
- **العلاقة بين الفصحى(النموذجية) والعامية(المنطوقة).**
- **الازدواج اللغوي.**

الظواهر اللهجية بين المنطوقة والنموذجية في ضوء الموروث الشفوي

اللغة هي الجسر الذي يصل بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والمستقبل، الرابط بين الأجيال المتعاقبة تأريخيًّا، وبين الفئات المتباينة ثقافيًّا، واجتماعيًّا. تتفاوت باختلاف

---

(١) يُقصد بالعرف اللغوي،كما حدده خالد الغامدي، بأنه:" قوانين اللغة وإمكاناتها المنمطة من خلال الاستعمال الجمعي للكلام" وجعل الغامدي تنميط قوانين اللغة " عن طريق العقد اللغوي الاجتماعي والتكرار والترسيخ والحماية والرقابة" . العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، رسالة دكتوراه مسجلة برقم ١٤٣١١ في جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، من إعداد خالد بن أحمد الغامدي، ص١٢٥.

(٢) أسس علم اللغة، ص١٣٧.

مستعملها في نفس الحقبة الزمنية.

ومع مرور الزمن، تأخذ اللغة رحلتها عبر التأريخ، وتتداولها الأجيال جيلاً إثر جيل؛ لتعجز السلائق ويستحيل حينئذٍ الإلمام والاحتفاظ بها بشكل كامل ؛ إذ يستلزم من تلك الرحلة حدوث ظواهر لغوية تُسمى باللهجات ،أيًّا كان زمنها ، على الرغم من استقرار وتحصّن كثير من ظواهر اللغة الأم فيها.

ومادامت اللغة مختلفة باختلاف المتكلم وسياقها الاجتماعي والحضاري ، فهل ستخضع لقانون أو تتحكم فيها حرية الاختيار؟ ولأجل ذا يتساءل ماريوباي " هل يمكننا التوصل إلى طريقة لتقنين قواعد اللغة بحيث يصير استعمالها خاضعًا لنظم معينة، أم يتعين علينا أن نلاحظ ظواهر استعمال اللغة مهما تكن شاذة غير مألوفة ونتقبلها كما هي ونرضى عنها؟"[١].

بالمعيارية استمر ثبات اللغة العربية في صورتها النموذجية، حين أرست دعائمَ النظامِ النحوي على نحو لا يقبل التبديل ولا التغيير، وجعلت الالتزامَ بالمعايير " باعتباره ذا حرمة، ومثلاً يحتذى به، هو الذي يميز المثقفين وغير المثقفين"[٢]، أما الوصفية فقد ألغت التقنين واكتفت بملاحظة الاستعمال وخروجه عن المألوف والرضى عنه، وقالوا: دع لغتك وشأنها؛ لذا كانوا يتحررون من التأثر بقواعد المعياريين، ويؤثرون المنطوقة على المكتوبة؛ لأنها تمارَس بحرية أكبر. وتطورُها مرتهنٌ بتطور جانبها الصوتي، وإلى "هذا يرجع بعض السبب في اختلاف اللغة الواحدة في تطورها الصوتي، باختلاف الشعوب الناطقة بها، وذلك أنها تسلك في تطورها الصوتي عند كل شعب منها مسلكًا يتفق مع ما فطرت عليه أعضاء نطقه في طبيعتها واستعدادها ومنهج ارتقائها"[٣] وعلى هذا تقاس مسافة الخلف بين اللغة ولهجاتها.

يشير رمضان عبدالتواب إلى أنّ معظم مظاهر التطور الصوتي والتغييرات الصوتية

---

(١) لغات البشر، ص ٣٧.

(٢) المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى، فولف ديتريش فيشر ، ترجمة د: إسماعيل عمايرة ، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، عمّان، ط١، ١٤١٧هـ، ص٤٣٢.

(٣) اللغة والمجتمع، د:علي عبدالواحد وافي، ص٥٧.

التي تطرأ على اللغة تنقسم "إلى قسمين كبيرين، أولهما: التغيرات التاريخية، والثاني التركيبية. ونعني بالتغييرات التاريخية، تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتًا آخر، أما التغييرات التركيبية، فهي التي تصيب الأصوات، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات، بعضها ببعض في كلمة واحدة"[1]وهذا مرتبط بما عليه تصور النظام اللغوي، فالنموذجية (الفصحى) والمنطوقة (اللهجة المحكية) وهما تضمّان تحت جناحيهما قواعدَ اللغة كلّها، قد تختلفان في الفروع، وليس بما عليه الأصل، ومع هذا فليس شيء مما تختلفان فيه إلا وله وجه يؤخذ به.[2]

العلاقة بين الأصل والفرع كالعلاقة بين الجد والحفيد " فالجد مثلاً، يشعر أنّ لغة الحفيد تتغير، فيسمي هذا التغير خروجًا عن العرف اللغوي، أو مخالفًا للمعيار ... أما الحفيد فيغلب أنّ يعد هذا الخروج تطورًا وأخذًا بالأسباب، نحو معايشة لمتغيرات العصر"[3] على أنّ التقدم والتطور قد يبدو بطيئًا، لكنّه، كما يرى أولمان، مختلفٌ"من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة"[4].

وعلى الرغم من التطور اللغوي الذي لحق اللغة في الفترات الزمنية المختلفة، توجد كلماتٌ وألفاظٌ مشتركة بين اللغة ولهجاتها المحكية المعاصرة مع اختلاف في التركيب والاستخدام، وهو دليل على أنّ ثمة بقايا وظواهر لغوية لهجية تجري على خلاف قواعد اللغة النموذجية؛ غير أنّ النموذجية(الفصحى) لا تمحو تلك الظواهر اللهجية "بين يومٍ وليلة، بل تسير معها جنبًا إلى جنب مدّة من الزمن قد تطول وقد تقصر، وهي حين تتغلّب عليها لا تقضي على كلّ أفرادها قضاءً مُبرمًا، بل يتبقى منها

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٣، ١٤١٧، ص٢٤.

(٢) يُنظر الخصائص، ج١ ص٢٤٤.

(٣) المعيارية هذا المنهج الذي حفظ وِحدة العربية، د: إسماعيل عمايرة، ضمن أبحاث مؤتمر اللغة ومواكبة العصر (الأول) المحور الخامس، ص٩.

(٤) دور الكلمة في اللغة، ص١٧٨.

بعض الأمثلة التي تصارع الدهر وتبقى على مرِّ الزمن "[1].

وأثناء تناول هذه البقايا والظواهر اللهجية ينطلق اللغويون المحدثون " جميعًا من فكرة الأصل التاريخي لهذه البقايا التي ظلت ماثلة، وشاهدة على فترات تاريخية كانت تُستعمل فيها هذه الأنماط"[2]

وعند تناول هذه البقايا استخدم اللغويون المحدثون عدة مصطلحات تناولها بالدراسة منصور الكفاوين[3]، واختار بعد عرض المصطلحات مصطلحَ الركام اللغوي، ويستخدِم هذا المصطلح رمضان عبد التواب ومعناه عنده" أنّ الظاهرة اللغوية، قبل أن تموت، تبقى منها أمثلة، تُعين على معرفة الأصل"[4].

الآثار والظواهر من اللغة القديمة المتبقية في اللغة الحية المتكلَّمة، إنما هي دليل على تأثرها، وارتباطها ارتباطًا وثيقًا، وتُنبئ عن أصلها القديم، وإرثها التأريخي، وإلى هذا يشير فندريس بقوله:" كذلك نجد أثر البريتانية في الفرنسية المتكلمة في بريتانيا وأثر الإرلندية في الإنجليزية المتكلمة في إيرلندة، ففضلاً عن كون المفردات مشربة بكلمات وتراكيب مأخوذة من اللغة المحلية، نجد هذه اللغة تفعل فعلها في النظام الصوتي بل في بعض تفاصيل النظام الصرفي أيضًا"[5] وهذا حين تخلُفُ لغةٌ جديدة لغةً قديمة، لكنّ الأمرَ مختلفٌ مع العربية؛ إذ العربية ارتبطت بالقرآن ارتباطًا وثيقًا، وحُفظت بحفظ القرآن لها، ثم بجهود اللغويين والنحاة العرب؛ حينما اجتهدوا في دراستها "وتحديد

---

(١) لحن العامة والتطور اللغوي، د: رمضان عبدالتواب، زهراء الشرق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ٤٤٣.

(٢) ظاهرة الركام اللغوي بين القدماء والمحدثين، أطروحة دكتوراه قدمها الطالب: منصور عبدالكريم الكفاوين إلى قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة مؤتة ، إشراف أ،د: عبدالقادر مرعي الخليل ، عام ٢٠٠٧، ص٦٢.

(٣) يُنظر السابق ص ٦٢-٦٣.

(٤) من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة، د: رمضان عبدالتواب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٥، ج١، ع ٤٧، ص ١٧٨. ويُنظر كتاب التطور اللغوي د: رمضان عبدالتواب ، ص١٧. و كتاب لحن العامة والتطور اللغوي ، ص ٤٤٣. وكتاب المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص٢٩٨. وكتاب بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط١٤٠٣،١هـ، ص ٥٩.

(٥) اللغة، ص٣٥٦.

معالمها، من نواحي الأصوات والصيغ، والأبنية والدلالة، وتركيب الجملة، ووظيفة الكلمة داخل الجملة"[1]؛ لذا وصفوا بعض لغات ولهجات القبائل بالقبح والشذوذ، لأنها تجري على خلاف ما وصفوه بالمطرد في اللغة النموذجية واللغة الأدبية، الـــمُصطلحِ على تسميتِها بالفصحى.

" ومع توحد لهجات العرب تحت لغة عامّة مشتركة، فإنّ بقايا اللهجات كانت تجري على الألسنة في نطاق بيئتها المتعددة"[2]، ومن ثَمّ فإنّ وصف بعض لغات القبائل العربية بالقبح والرداءة أمرٌ يزيغ عن طريق المنهج العلمي من وجهة نظر علم اللغة الحديث؛ لأنّ هذا الوصف كما يقول فوزي الشايب:" لن يغير من حقيقة الأمر شيئًا، من أنها كانت لهجة لبعض العرب قديمًا، وإذا كان ذلك كذلك فلا معنى لوصفها بالقبح أو الرداءة فالإنسان لا يخطئ في لغته التي نشأ عليها، ولا تخونه سليقته التي فُطر عليها، وكلّ ما هنالك أنّ هؤلاء الناس مالوا إلى المماثلة بين الحركات في هذه المواقع، وما نستشعره فيها من قبح ورداءة لا يرى فيه المتكلمون بها إلا غاية الحسن ومنتهى الفصاحة. وهذه الأحكام مبنية على أساس عدّ اللهجات نُسخًا مشوهة أو محرفة عن الفصحى، وليس الأمر كذلك، إذ الفرق بين اللغة الفصحى واللهجات هو فرق اجتماعي وثقافي فقط، فكلٌّ من الفصحى والعامية ينطبق عليه تعريف اللغة بوصفها نظامًا من العلامات."[3]

ومع أنّ النموذجية لَفَظَت استعمالات لغات ولهجات بعض القبائل، إلا أنّ هذه اللغات لم تختفِ من الوجود، ولم تسقط من الاستعمال، وأخذت تجري على الألسنة في بيئاتها المتعددة، بل بقي لها امتداد في بعض اللهجات المعاصرة؛ على الرغم مما وصفت به من القبح والرداءة والشذوذ ومخالفة الأصل المطرد.

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة، د: رمضان عبدالتواب، ص ٢٦٤

(٢) اللهجات العربية نشأة وتطورا، د: عبدالغفار حامد هلال،دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٤٣٢هـــ، ص ٨٢.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د: فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، إربد الأدرن، ط ١، ١٤٢٥هـــ، ص ٢٤٤.

وحين تناول أصحاب علم اللغة الحديث الأصوات دراسة وتحليلاً، عابوا على علماء العربية القدماء تركَهم بعض المظاهر الصوتية والصرفية والتركيبية للغات القبائل؛ لمخالفتها وخروجها عن قواعد النموذجية، لكنّ تلك المخالفة، والخروج عن القاعدة المطردة في النموذجية ،كما يرى اللغويون المحدثون، اكتسبت " في الاستعمال الأسلوبي قدرًا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها"[1]، بل كان من الألزم من وجهة النظر اللغوية الحديثة أن يُقاس على هذه الظواهر؛ لسماعها من عربي سليقي الطبع، وإنْ كانتْ نادرة، وهذا مما يُفهم من كلام غالب فاضل المطلبي حين أشار إلى أنّ ابن سيده قاس كلمة (يار) في (جار) عند كلامه عن قلب الجيم ياء[2]، وجعل ضاحي عبدالباقي شيوع هذه الظاهرة ،ظاهرة إبدال الجيم ياء، في مناطق الجزيرة العربية حجة، حين ناقش رأي ابن جني في أصالة ياء (شَيَرة) من قولهم (شَجَرة)[3].

أبناء العربية في العصر الحديث مختلفون في نطقهم لحرف الجيم، وهذا مما حيّر العلماء حول نطقها القديم،كما يفهم من قول إبراهيم أنيس، إذ يقول:" ليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف كان النطق بالجيم بين فصحاء العرب، لأنها تطورت تطورًا كبيرًا في اللهجات الحديثة. فطورًا نسمعها في ألسنة القاهريين خالية من التعطيش وهي جيم من أقصى الحنك، وحينًا نجدها وقد بولغ في تعطيشها كما هو الحال في سوريا، وأخرى نجدها صوتًا آخر يبعد إلى حد كبير عن الصوت الأصلي مثل نطق بعض أهالي الصعيد حين ينطقون بها دالاً. ويظهر أنّ الجيم التي نسمعها الآن من مجيدي

---

(١) البيان في روائع القرآن، د: تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ص ٣٤٧. ويُنظر التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، د: حسام البهنساوي،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ، ص ١٤٠.

(٢) يُنظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، غالب فاضل المطلبي، وزارة الشؤون الثقافية العراقية، بغداد، د ط، ١٩٧٨م، ص٩٩. ويُنظر المخصص لابن سيدة، دار الكتب العلمية، بيروت ، مُصورة عن طبعة المطبعة الأميرية ببولاق، ط١، ١٣٢٠هـ ،ج١٤ص٣٤.

(٣) يُنظر لغة تميم دراسة تأريخية وصفية، د: ضاحي عبدالباقي، مجمع اللغة العربي، القاهرة، د ط ، ١٤٠٥هـ، ص٨٢. ويُنظر سر صناعة الإعراب، ص ٧٦٤-٧٦٥.

القراءة القرآنية، هي أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية، إن لم تكن هي نفسها"[1] وقد يُفهم من كلام أنيس اضطراب، ذلك أنه نفى في أول كلامه وجود نطقٍ للجيم فصيحة بين أبناء العربية، ثم أثبت وجود هذه الجيم الفصيحة بسماعها من مجيدي القراءات؛ لحرصهم على تلقي القرآن وقراءاته مشافهة، ولكن فيما أرى أن ليس ثمت اضطراب؛ إذ النفي لكلام العامة والإثبات لمجيدي القراءات عند قراءة القرآن فقط، ولكن هذا الحكم من أنيس عام على مَن هم في الجزيرة العربية؛ إذ أزعمُ أن نطق الجيم الفصيحة كما يقرأ بها مجيدو القراءات لازال باقيًا في بعض المناطق الوسطى للجزيرة العربية.

ويكاد يكون صوت القاف هو الأبرز، حيث كثر كلام اللغويين حوله؛ لأنّ التغيرات التي طرأت عليه من القدم، فما بين قاف فصيحة يُقرأ بها القرآن، وقاف تميمية تُنطق بين القاف والكاف[2]، وقاف أخرى تُنطق كالجيم القاهرية.

وطرأ في العصر الحديث على صوت القاف تغيُّر في البلاد العربية، إلى همزة مرة، كما في بلاد الشام وبعض البلاد العربية، وإلى غينٍ، كما هو في بلاد السودان، وإلى صوت مزجيٍّ مزدوج مُكوَّنٍ من الدال والزَّاي (dz) كما هو في بعض مناطق الجزيرة العربية، وإلى كاف، كما هو في نُطق الفلسطينين[3]، بَيد أنّ تأصيل هذه المظاهر اللهجية الطارئة"يمثّل صعيدًا لهجيًا لا يرقى إلى مستوى المعيار، ومن ثَمّ لا يعني التهاون في استعماله في العصر الحديث، وذلك لأنّ الجذور التاريخية لهذه الظاهرة تؤدي إلى لبس في الدلالة"[4]

ومن الظواهر والآثار الباقية من اللهجات القديمة التي لها امتداد في اللهجات المعاصرة ما وصفه ابن فارس في الصاحبي باللغات المذمومة[5]وذكرها السيوطي في

---

(١) الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، ص ٧٥.

(٢) يُنظر الصاحبي لابن فارس، تحقيق : السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د ط، د ت، ص ٣٦.

(٣) يُنظر بحوث ومقالات في اللغة، د: رمضان عبدالتواب،ص ٩-١٠.

(٤) صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث، د: حليمة عمايرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٦٧، ص ١٨٥.

(٥) يُنظر الصاحبي ، ص٣٥.

المزهر تحت باب (معرفة الرديء والمذموم من اللغات)[1] ؛ مما يجعلها ذات أصل في العربية قديم، ولها امتداد في لهجاتها الحديثة المعاصرة. ومن أهم تلك الظواهر اللهجية الباقية فيها ما نجده من المظاهر الصوتية، أو الصرفية، أو التركيبية التي لها ارتباط وثيق باللهجات العربية القديمة.

ومن تلك الظواهر الصوتية ظاهرة (العَنعَنة) " التي تُذكر عن تميم، فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينًا"[2] ويقول عنها الثعالبي:"تعرض في لغة تميم، وهي إبدالهم العين من الهمزة كقولهم: ظننت عنَّكَ ذاهب؛ أي: أنَّك ذاهب."[3] ونسبها السيوطي إلى قيس وتميم.[4]

ومن تلك الظواهر الصوتية ظاهرة (الكَشكَشة) " التي في بني أسد فقال قوم: إنهم يبدلون الكاف شينًا، فيقولون: (عَلَيْش) بمعنى (عليكَ) ... وقال آخرون: بل يصلون بالكاف شينًا، فيقولون: (عَلَيكش)"[5] وجعلها السيوطي في ربيعة ومضر حيث" يجعلون بعد كاف الخطاب شينًا فيقولون: رأيتكش وبكش وعليكش، فمنهم من يُثبتها حال الوقف فقط، وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل أيضًا، ومنهم من يجعلها مكان (الكاف) ويكسرها في الوصل، ويُسكنها في الوقف، فيقول: مِنشِ وعليشِ"[6].

وكذلك (الكَسْكَسة) فإنهم " يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المؤنث سينًا كالكشكة فيقولون: أعطيتكس وأكرمتكس وأبوس و أمّس في (أعطيتك

---

(١) يُنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص٢٢١.

(٢) الصاحبي ، ص٣٥.

(٣) فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي، علّق عليه، د: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ ص ١٥٢.

(٤) يُنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص٢٢١.

(٥) الصاحبي ، ص٣٥.

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص ٢٢١.

وأكرمتك وأبوك وأمّك)"[1] وجعلها ابن جني في هوازن[2]، وابن فارس في ربيعة[3]، والسيوطي في ربيعة ومضر[4] ويرى عبدالغفار هلال بعد أن ساق الأقوال في نسبتها أنها تُنسَب لبكر وأسد وربيعة ومضر وتميم وهوازن[5].

وذكر سيبويه هذه الظاهرة اللهجية وهي إبدال كاف الخطاب للمؤنث سينًا أو شينًا فيقول:" واعلم أنّ ناسًا من العرب يُلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث... وقوم يُلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان. وذلك قولهم أعْطَيْتُكِشْ، وأُكْرِمُكِشْ، فإذا وصلوا تركوها. وإنما يُلحقون السين والشين في التأنيث، لأنهم جعلوا تركها بيان التذكير"[6].

ومن تلك الظواهر الصوتية ظاهرة (التلتلة) وهي كسر أحرف المضارعة، يقول ابن جني :" وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تِعلمون تِفعلون تِصنعون، بكسر أوائل الحروف"[7]، غير أن سيبويه عدّها لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز[8].

ويورد رمضان عبدالتواب " من أنّ اللهجات المعاصرة ليست إلا امتدادًا لشيء من اللهجات العربية القديمة أيضًا، ما يشيع في بعض اللهجات العربية الحديثة ، في مصر وغيرها، من استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على التمام، أي على وزن مفعول، دون إعلال يطرأ عليه؛ فيقول الناس في مصر مثلاً : فلان مديون، أي عليه دين ... كما يقال في بعض البلاد العربية عن الثوب إنه مخيوط... والعربية الفصحى تُعل هذه الأسماء وما يشابهها بما يُسمى الإعلال بالنقل فتقول مثلاً: مَدِين

---

(١) اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص١٢٦.

(٢) الخصائص، ج٢، ص١٢.

(٣) الصاحبي، ص ٣٦.

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص ٢٢١.

(٥) يُنظر اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص١٢٦.

(٦) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص١٩٩.

(٧) الخصائص، ج٢، ص١١

(٨) يُنظر كتاب سيبويه، ج٤، ص ١١٠.

ومَخِيط "[1] وقد نسب بعض علماء العربية القدماء هذه اللغة إلى تميم[2] ولا تزال آثارها باقية في البلاد العربية.

ومادام أنّ تلك الظواهر اللهجية الباقية في اللهجات المعاصرة صوتية وصرفية دليلٌ على ارتباطها باللهجات العربية القديمة، وعلى اختلاف لهجي قديم؛ فإن من " الأصول الوضعية التي استقرت عليها الفصحى أنّ الفعل إذا كان فاعله أو ما ناب عنه اسمًا ظاهرًا يُوحَّد أي يُلازم الإفراد ولا تلحقه علامات التثنية والجمع سواء كان الفاعل مفردًا أم مثنى أم جمعًا ... وعلى هذا الأصل جرت العربية في شعرها ونثرها"[3]، إلا أنّ ثمت بقايا للغة كانت مستعملة في طور من أطوار اللغة، ظهرت في استعمالات لغة من لغات العرب تُسمى (لغة أكلوني البراغيث)[4] وسمّاها ابن مالك (لغة يتعاقبون فيكم ملائكة)[5] ، وعُزيت هذه اللغة إلى قبيلة طيئ، وأزد شنوءة[6]، وبلحارث[7]

ولئن استهجن لغةَ أكلوني البراغيث تعارفُ استعمال اللغة النموذجية، ووَصَفَها بالقلة، على الرغم من أنها ظاهرة تأريخية مؤيدة بنصوص الوحيين، وشعر عصور الاحتجاج، وكلام العرب، إلا أنّ هذه السمة اللهجية القديمة سارت بها الرُّكبان، حتى غدت مستعملة إلى يومنا هذا.

---

(١) من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة، ص ١٧٧.

(٢) يُنظر الخصائص، ج١، ص٢٦٠. والمنصف ، لابن جني ، تحقيق : إبرهيم مصطفى وعبدالله أمين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ، ج١،ص ٢٨٣.

(٣) لغة أكلوني البراغيث، د: محمد أحمد الدالي، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مج٦٨، ج٣ محرم ١٤١٤هـ،ص٣٩٩. وكذا في الحصائل في علوم العربية وتراثها، د: محمد أحمد الدالي، دار النوادر، سوريه، ط٢، ١٤٣٣هـ، السفر الأول، ص٦٣.

(٤) كتاب سيبويه، ج ٣، ص٢٠٩.

(٥) شرح الكافية الشافية، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق د: عبدالمنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١٣٠٢،١هـ، ج٢ ص٥٨١.

(٦) يُنظر المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق د: محمد كامل بركات، منشورات جامعة الملك عبدالعزيز، مركز البحث العلمي وإحياء التراث في مكة المكرمة، د ط، ١٤٠٠، ج١، ص٣٩٤.

(٧) يُنظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠، ج٢، ص٨٠.

ويعرض نهاد الموسى لهذه الظاهرة بقوله:" ومن أمثلة ذلك قول القائلين: استقبلوني زملائي، وشجعوني أساتذتي، ورفضوا النواب المشروع .. بجمع الفعل مع فاعله الجمع، فإنّ الاستعمال الفصيح الراجح قد تعارف على توحيد الفعل مع فاعله: استقبلني زملائي، وشجعني أساتذتي، ورفض النواب المشروع، بل نحن نعتد جمع الفعل مع فاعله على الأنحاء المتقدمة من الأخطاء الشائعة المرفوضة. ولكنّ هذه الطريقة من الوجهة التاريخية في بناء الفصحى، كانت منهجًا في لغة طَيِّئ، وأزد شنوءة. وروى أبو عبيدة عن أبي عمرو الهذلي، أنه قال: أكلوني البراغيث، ونستطيع أن نجد لها نظيرًا في القرآن ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾[1]لأنبياء، وإذن، يستطيع من يتمسك بالمعيار النظري المتقدم أن يحتج بها، أو أن يجد لها وجها"[2].

ويكفي أن أشرنا إلى بعض السمات والظواهر اللهجية، التي لا تزال مستعملة حتى يومنا الحاضر في اللهجات العربية المعاصرة، المتصفة بأصالتها، الباقية من اللهجات القديمة، المرتبطة بالفصحى، ولها سند تأريخي ،كما يرى نهاد الموسى، يجيزها، لا سبيل لدفعه، أو يصبح لها وجه آخر جائز، وتظل المسألة فيها قولان.[3]

ولأجل ذا يقرر فولفديتريش فيشر أنّ اللهجات العربية القديمة" تتضمن مادة قيمة للغاية بالنسبة لتاريخ اللغة العربية، فبعض الظواهر اللهجية المروية تُقرِّب العربية من اللغات المجاورة السامية اقترابًا شديدًا، وبعضها الآخر يوضح أنّ اللهجات العربية الحديثة لها جذورها في اللهجات العربية القديمة"[4] .

ولئلا يتُوهَّم أنّ هذه الظواهر التي تبتعد عن النموذجية استخدامٌ طارئ، وهي بذلك تبتعد عن أصلها الفصيح، ويكتنفها الظلام والغموض، ويكثر فيها مجال الجدل والنقد، وضع إبراهيم أنيس أُسسًا ثلاثة لكي يُعتمد عليها في دراسة اللهجات العربية

---

(١) الأنبياء (٣)

(٢) الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، دار الشروق، عمّان ، ط١، ٢٠٠٣م، ص٤٩.

(٣) يُنظر السابق، ص ٤٧-٥٠.

(٤) دراسات في العربية، فيشر، فولديتريش: ، نقلها إلى العربية وعلق عليها د: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ، ص١١٦.

القديمة، ومن "أهمها دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية"[١]

وينكر محمد عيد على الذين يعارضون دراسة اللهجات خوفًا وإشفاقًا على المُسمّاة بالفصحى من أن تؤدي دراسة اللهجات إلى إضعافها وإهمالها غير أنّ "الأمر على عكس هذا التصور تمامًا، إذا تؤدي دراسة كلّ منهما إلى فوائد محققة بالنسبة للآخر"[٢]

إدراك وجود ظواهر في اللهجات المحكية المعاصرة، لها امتداد في اللهجات العربية القديمة، ولها سند تأريخي في الفصحى، مما يخفف من أوجه الخلاف بينها وبين الفصحى؛ إذ "إنّ التغيرات التي أصابت الكلام العربي الفصيح لم تصب أصول التركيب اللغوي في كثير، فلن يضر رصدُها وتسجيلُها المحافظةَ على كتاب الله العلي القدير، ولا على آثارنا الأدبية والفكرية. بل إنّ رصدها فضلاً عن كونه واجبًا علميًّا، سيوسع آفاق فهمنا للغتنا ولتاريخها. وإنّ الفهم الصحيح للغة وتاريخها، من أولى الخطوات اللازمة عن النظر في صونها أو الارتقاء بها، أو تطويعها لِتُجاري مقتضيات العصر الحديث"[٣]

وليس بالضرورة أن تكون الفصحى هي الأقدم نطقًا، فقد تشتمل اللهجات العربية المعاصرة على صور نطقية هي أقدم منها، يشهد لها ذلك الغريب المرفوض، الذي يُعد أو يقترب من الخطأ فيما عُدّ من القراءات الشاذة.

ولذا يخلص إبراهيم أنيس إلى أنه " كلما زادت دراستنا للهجات العربية الحديثة تكشفت لنا أمور، وأيقنَّا أنّ لهجات الكلام في البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة كانت شائعة في لهجات العرب قبل الإسلام. فاللهجات الحديثة وإنْ كانتْ قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطورًا مستقلاً بَاعَد بينها، وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها، قد استمسكت بكثير من السمات التي عُرفت عن القبائل

(١) في اللهجات العربية، ص١٠.

(٢) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، ص ٩١.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٤٠.

القديمة."[١].

وكذا يجعل إبراهيم أنيس من دراسة للهجات الحديثة " تفسيرًا لبعض الظواهر في اللهجات القديمة"[٢]، ولفهم التطور التأريخي الذي لحق اللغة النموذجية ولهجاتها، وما أفادته كلّ منهما بالأخرى.

وكون أنّ اللهجات المحكية المعاصرة في البلاد العربية احتفظت بظواهر لهجية قديمة لفظتها اللغة النموذجية؛ أخذ إبراهيم أنيس حينئذٍ يُنكر على النموذجية هذا النظام الإعرابي المعقد، الذي لا يجد له أثرًا ،كما يرى، في اللهجات الحديثة حيث يقول:" كيف نتصور أنّ لهجات الكلام في كلّ البيئات العربية ... أقول كيف نتصور أنّ ظاهرة الإعراب لا تترك في كل هذه البيئات أثرًا، ولا تخلف فيها ما يوحي بأنّ الإعراب كان شائعًا على ألسنة الناس في العصور الإسلامية الأولى"[٣].

ولتغلغل المنهج التطوري في كتابات اللغويين المحدثين، وإيمانهم به، ومقارنتهم اللغة العربية بالساميات، واللغة النموذجية باللهجات، أعملوا معاول الهدم في المنهج النحوي العربي القديم؛ حتى غدا الإعراب مبتكرًا من لدن النحاة[٤]، وقصة ما أروعها من قصة![٥]

وليست الغاية أن يُتكلم عن إلغاء الإعراب في هذا المبحث؛ لأنّ انتفاء الإعراب من العامية واللهجات المحكية أمرٌ لا يؤيده الواقع اللغوي؛ إذ كما يذكر وافي " أنه قد بقي في اللهجات العامية الحاضرة كثيرٌ من آثار الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف فيقال: مثلاً في عامية المصريين وغيرهم (أبوك، وأخوك، ولا أبك وأخك،)وينطبق بجمع المذكر السالم مع الياء والنون (الطيبين، المؤمنين..إلخ)، وفي معظم لهجات العراق ونجد والحجاز في العصر الحديث ينطق بالأفعال الخمسة مثبتة فيها نون

---

(١) في اللهجات العربية ، ص٢٠٥.

(٢) السابق، ١٠٩.

(٣) من أسرار اللغة، ص ٢١٥-٢١٦.

(٤) يُنظر السابق، ص٢١٦.

(٥) يُنظر السابق، ص١٩٨.

الإعراب (يمشون تمشين، تمشون..) وروى بعض الباحثين أن آثار الإعراب بالحركات لا تزال باقية في لهجات بعض القبائل الحجازية في العصر الحاضر"[١]

غير أنّ الظواهر اللهجية تظهر في ضوء موروثها الشفوي حينما يتفاعل أفراد المجتمع اللغوي مع نص مكتوب؛ فيختلف نطقُهم، كما يقول تمّام :" بسبب اختلاف عاداتهم الاستعمالية التي اكتسبوها من اللهجات الدارجة ... فإذا جمعت اليوم أفرادًا من بيئات عربية مختلفة وطلبت إلى كل واحد منهم أن ينطق كلمة " يضطجع " فإنّك سترى أمرًا عجبًا من اختلاف عاداتهم في نطق الضاد والطاء والجيم"[٢].

ولن تؤدي هذه الظواهر اللهجية في ضوء موروثها الشفوي إلى قطع الصلة بين العربية المُسماة بالفصحى وبين لهجاتها المعاصرة على نحو ما يؤمن به وبسذاجة أصحاب الدعوة إلى العامية حين آمنوا بنظرية داروين (النشوء والارتقاء)، التي تذهب إلى أنّ الفصحى مصيرها إلى الفناء، شأنها شأن اللغات اللاتينية، وأنّ البقاء للأصلح [٣]، بل إنّ بينهما وشائجَ قربى، ومن الصلة والاتصال ما يجعل العلاقة بينهما كالعلاقة بين الجد والحفيد، بينهما صفات مشتركة، وفوارق في السمات والطبائع، فليس بضار تعايشهما؛ إذ كل منهما يصح في مجاله.

العلاقة بين الفصحى(النموذجية) والعامية (المنطوقة)

المتتبع للظواهر اللهجية التي لفظتها النموذجية، وحَكَم عليها اللغويون بالرداءة والقبح، يستدل بتلك الظواهر على أنّ اللهجات الحديثة منحدرةٌ من اللهجات

---

(١) فقه اللغة، ص١٦٢.

(٢) الأصول ، ص ٧٤.

(٣) يُنظر اللغة بين القومية والعالمية، د: إبراهيم أنيس، دار المعارف ، مصر، د ط ، د ت، ص ٢٨٠-٢٨١. ويُنظر مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، المطبعة النموذجية، د ط، د ت، ص ٥-٨.

القديمة، كما قرر فيشر[١]، وكما فعل إبراهيم أنيس[٢]، ورمضان عبدالتواب[٣]، ومحمد أحمد خاطر[٤]، وأحمد علم الجندي[٥] غير أنّ هذا الرأي مرجوح لكثرة الكلمات في اللهجات المحكية المعاصرة المنحدرة من أصل فصيح، مع أنّ هناك من يظنّ أنها عامية، ولوجود ظواهر لهجية منحدرة من أصول غير عربية.

وهناك مَن يرى مِن اللغويين أنّ اللهجات المحكية المعاصرة منحدرة من الفصحى، أو تشعبت عنها، حين رأى أن العربية قد" تركت آثارًا تنطق بما بينها من صلات قرابة ولحمة نسب لغوي"[٦] تصلها باللهجات المحكية العامية، وعلى رأس أولئك اللغويين، علي عبدالواحد وافي[٧]، وصبحي الصالح[٨]، ومحمد رضا الشبيي[٩]. والمفهوم من رأيهم أنّ المُسماة بالفصحى (النموذجية) كانت هي المحكية ولغة الخطاب اليومي، ومع مرور الزمن انحرفت الفصيحة على الألسن في الأمصار المفتوحة؛ غير أنّ كونها من القواعد التركيبية لعدم اطرادها في اللغة المُسماة بالفصحى فيه قولان، يدحض هذا الرأي.

ويرفض داوود عبده جعل اللغة النموذجية لغة محكية؛ إذ هذا " أمر لا يؤيده الواقع اللغوي، فالفصحى ليست إلا مزيجًا من لهجات متعددة لا يمكن أن تكون في مجموعها لغة محكية، ذلك لأن من الأمر الطبيعي في أية لغة محكية أن تكون قواعدها مطردة، أي أن يلزم متكلموها طريقة واحدة في الكلام لا طرقًا عديدة مختلفة. فالذي

---

(١) يُنظر دراسات في العربية، ص ١١٦.

(٢) يُنظر في اللهجات العربية ص١٩٥-٢٠٨.

(٣) يُنظر من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة، ص ١٧٧.

(٤) في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، د: محمد أحمد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، د ط، ١٩٧٨م، ص١٠٠.

(٥) اللهجات العربية في التراث، ج١ ص١٣٢.

(٦) علم اللغة، علي عبدالواحد وافي، ص١٧٣.

(٧) يُنظر السابق، ص ١٧٤.

(٨) يُنظر دراسات في فقه اللغة، ص ٣٦٠.

(٩) يُنظر توحيد اللهجات، محمد رضا الشبيي، ضمن كتاب اللهجات العربية بحوث ودراسات ، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٤٣٠، ج١، ص٥٥.

يطابق بين الفعل والفاعل مثلا يفعل ذلك في كل كلامه"[١]

ويجعل فرجسون " اللهجات العربية المعاصرة على الإجمال امتدادًا للعربية أو أنها امتدادٌ لنوعية لغوية شديدة الشبه بها"[٢] يُسمّيه اللغة العربية العامية المشتركة، وهو نوع في رأيه "لا يتماثل مع أية لهجة من اللهجات القديمة ويختلف كذلك عن العربية في كثير من المظاهر المهمة لكنه كان يُستخدم جنبًا إلى جنب معها خلال القرون الإسلامية المبكرة"[٣] ويفترض فرجسون "أن اللغة العامية المشتركة نشأت من خلال عملية معقدة للاقتراض المتبادل والتسوية فيما بين اللهجات المتعددة و لم تكن نتيجة للانتشار من مصدر واحد."[٤]

ويبني افتراضه على أنّ هناك خصائص معينة صرفية و معجمية وصوتية مشتركة بين اللهجات العربية المعاصرة في مقابل العربية، وينظر من خلال هذا الافتراض إلى أنّ اللهجات المحكية المعاصرة جاءت من مصدر مشترك يختلف عن العربية، وليست امتدادًا من اللهجات القديمة بصورة مباشرة "وإنما هي مُشتقة من اللغة المشتركة، وأنّ الاختلافات اللهجية المعاصرة ليست في الغالب إلا نتيجة للتجديدات اللغوية التي حدثت بعد انتشار اللغة المشتركة"[٥]، ولربما يمكن القول، في رأي فرجسون، أنّ"عددًا قليلاً من خصائص اللغة العامية المشتركة ليس إلا استمرارًا للخصائص اللغوية القديمة، وأمّا الصيغ المقابلة لها في العربية فهي نتيجة للتطور."[٦] وبذا يرى عدم وجود مركز لغوي مهيمن، تعود له كل من العربية واللهجات العربية المعاصرة.

ويبين عبدالله حمد أنّ هذه الفرضية تعرضت "إلى انتقادات من عدد من اللغويين الذين نسفوا هذه الفرضية من أساسها وخاصة فيما يتعلق بالظواهر التي قدمها

---

(١) أبحاث في اللغة ص٧٩-٨٠.

(٢) اللغة العربية العامية المشتركة، تشارلز فرجسون، من ضمن كتاب دراسات في تاريخ اللغة العربية، ترجمة وتقديم وتعليق د: حمزة المزيني، كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٣٥، ص٩٥.

(٣) نفسه.

(٤) السابق، ص٩٨.

(٥) السابق، ص٩٦.

(٦) السابق، ص٩٧.

فيرجسون."[1] على أنّ عبد الله حمد يخلص إلى أنه " لا يمكن أن تختفي لغة مشتركة وسائدة مثل تلك التي تحدث عنها فرجسون دون أن تترك آثارًا فعلِيَّة في تاريخ العربية بصورة واضحة. علاوة على ذلك فإنّ اللغويين العرب القدامى لم يأتوا على ذكرها إطلاقًا، بل كلّ ما ذكروه هو الفصحى واللهجات القديمة ثم ما سموه بالعاميات الناشئة في الأمصار."[2]

وهناك رأيّ ثالث، نجده عند عائشة عبدالرحمن[3] ونهاد الموسى[4]، وهو أنّ اللهجات المحكية المعاصرة إنما هي نتاج عناصر ثلاث: اللهجات العربية القديمة، والمُسمّاة بالفصحى، ولغة الأمصار المفتوحة، وما حدث ببينهما من تأثر وتأثير، وإليه يطمئن سمر روحي الفيصل حين رأى أنّ اللهجات التي تُستعمل في الوطن العربي " ما هي إلا حصيلة التفاعل اللغوي بين اللهجات العربية الوافدة من الجزيرة صحبة الفاتحين ولغات سكّان البلاد الأصلية، ونتيجة التطور الذي طرأ على هذا التفاعل عبر القرون"[5] وهو ما اختاره عبدالله حمد، لأنه الأكثر قبولاً، ونظرًا لواقعيته ،في رأيه، ولأخذه" في الاعتبار الأدلة التاريخية المتمثلة في وجود العناصر الثلاثة جنبًا إلى جنب

---

(١) في أصل اللهجات العربية الحديثة، د: عبدالله حمد، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، ع٤٢، ١٩٩٦، ص٦٥. وكذا يُنظر إلى رد جاشو بلاو حين رأى أن " نتيجة للأصل المشترك للهجات العربية القديمة، والانتحاء العام والاتصال المتبادل فإنه ليس غريبًا ألا تختلف اللهجات المعاصرة بعضها عن بعض اختلافًا جذريًّا وأن تبين عن قدر كبير من التجانس، ذلك على الرغم من عمل القوى النابذة القوية. ونظرا للخصائص المشتركة بين هذه اللهجات فإنه يمكننا أن نفترض وجود لغة عربية مشتركة(أي الكويني) لكنه يجب أن نعي أن هذا المصطلح لا ينطبق إلا على ما نتج عن تطورها اللغوي وحسب، لكنه لا ينطبق على الطور الذي يمثل البداية لهذا التطور" نشأة الازدواجية اللغوية في العربية دراسة في أصول اللهجات العربية الحديثة، من كتاب دراسات في تاريخ اللغة العربية، ترجمة وتقديم وتعليق د: حمزة المزيني، ص١٤٥.

(٢) نفسه ص٦٥.

(٣) يُنظر لغتنا والحياة ، د: عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، ط٢، د ت، ص٨٥.

(٤) يُنظر قضية التحول إلى الفصحى، ص٧٠.

(٥) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، د: سمر روحي الفيصل،مركز زايد للتراث والتاريخ، العين الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٨هـ، ص٢٣.

ووجود آثار هذه العناصر بصورة جلية في اللهجات الحديثة".[1]

غير أنّ اللهجات في قلب الجزيرة العربية ،قبل تدفق الزيت، ظلت منعزلة ،في غالب أمرها، عن الخُلطة التي أصابت مختلف الأقطار العربية الأخرى، فاحتفظت بأقوى الأسباب التي تصلها بالعربية الفصحى واللهجات القديمة "وهذا لا ينفي عنها بعض الخلل في النظام النحويّ، أو الانحراف في بعض الجوانب"[2]، إلا أنّ انعزالها يجعل البحث يميل إلى أنّ أصل لهجات الجزيرة العربية المعاصرة منحدرٌ من اللهجات العربية القديمة، التي أقامت بناءً ائتلافيًّا انبثقت منه اللغة النموذجية المسماة بالفصحى؛ ومما يؤيد هذا الرأي وجود ظواهر لغوية لفظتها النموذجية، كانت مستخدمة في اللهجات القديمة، وظلت الجزيرة العربية محتفظة بها في اللهجات الحديثة؛ مما لا تجده عند الأقاليم الأخرى في غير الجزيرة والبلاد العربية.

أمّا أصل اللهجات المعاصرة في الأقطار العربية الأخرى إنما مرده إلى أنّ " اللغة العربية التي كانت الجيوش العربية تتكلمها، ولكنّ الظروف الداخلية في كلّ إقليم كانت مختلفة بسبب وجود لغات أخرى، وعندما اتصل متكلمو تلك اللغات بمتكلمي العربية بدءوا يتكلمون اللغة العربية بطريقتهم الخاصة التي حتمتها تدخلات اللغة الأم التي عادة ما تحدث في كلّ عملية تعلم لغة ثانية. وتطورت هذه التدخلات بمرور الوقت إلى سمات محلية تأصلت حتى بعد أن انتقل متكلمو تلك اللغات إلى العربية كلغة أم"[3] وكذلك هجرة القبائل إلى الأمصار المفتوحة التي جلبت معها لغاتها، واستطاعت أن تفرضها على السكان المحليين، دون أن يتأثروا بلغاتهم؛ لتنشأ حينئذٍ العربيةُ المولَّدة وتتعايش وتسير بخط متوازٍ مع اللغة النموذجية، لغة العلم والثقافة والأدب، ولغة التعامل الراقي بين طبقات المجتمع.

---

(١) في أصل اللهجات العربية الحديثة، ص٦٥.

(٢) يُنظر العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية، د: سليمان العايد، ضمن كتاب محاضرات في اللغة العربية، ص ١٥٢.

(٣) اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، كيس فرستيغ، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م، ص١١٦.

ويتبين مما سبق أنّ العلاقة بين الفصحى ولهجاتها المعاصرة إنما هي كالعلاقة بين الجد والحفيد، لكنّ التغير اللغوي الذي أصاب المستويات اللغوية المختلفة بسبب التطور الذي لحق العربية، وسّع حجم الفجوة بين العربية الفصحى ولهجاتها المحلية المعاصرة؛ مما أدّى إلى انفصام بينهما شديد، إلا "أنّ الأمر لم يصل بعدُ إلى حد القطيعة والانفصال التامّ بين الفصحى ولهجاتها"[1]المحلية المعاصرة.

يشخص عبدالعلي الودغيري هذه الفجوة بين الفصحى واللهجات المحكية العامية (المستوى المكتوب وبين المستوي الشفوي المنطوق)؛ إذ كلما زادت حدة الفجوة بينهما أدّى إلى الإضرار بالفصحى، وإضعافها وعزلها والقضاء عليها، ويشير إلى حتمية "التطرق إلى ما هو حاصل في علاقات الاتصال والانفصال بين المستويين، وقياس الدرجة التي وصلت إليها هذه العلاقات من التباعد أو التقارب"[2]، ويجعل ما بينهما " من علائق الاتصال أكثر مما هو بينها من علائق الانفصال"[3] واكتفى بجانب واحد من تلك العلائق الاتصالية، وهو الجانب المعجمي؛ لأنّ" المفردات في الشكل اللغوي الأدنى إنما هي في الأصل مفردات للشكل الأعلى والتي نادرًا ما استخدمت في الماضي. ومن هنا يصبح من الممكن تتبع جميع المفردات المستخدمة في الفصحى والعامية في نشأتها وتطورها، وهذا التطور أو النشأة إنما يعكس لنا في النهاية جانبًا من جوانب أصالة مفردات العامية، فالمفردات في الفصحى تستخدم بشكل أكبر من تلك المفردات في الفصيحة المستخدمة في العامية، ولذلك فإنّ كِلا الزوجين من المفردات، إنما هو عربي فصيح."[4]

وجعل الودغيري أنواع الجانب المعجمي المشترك بين الفصحى ولهجاتها المعاصرة " أربعة:

ما هو من قبيل الرصيد المشترك الثابت في كل لغة ولهجة.

---

(١) اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، د: عبدالعلي الودغيري، ص١٨٧.

(٢) السابق، ص١٨٩.

(٣) نفسه.

(٤) ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، د: إبراهيم صالح الفلاي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ،ص ١٧٢.

ما هو مشترك بين الفصحى وكل لهجة على حِدَة.

ما هو مشترك بين كل لهجة وأخرى.

ما هو جديد أضافته اللهجات المعاصرة أو أُضيف إليها"[1]

أمّا ما حدث من انفصام شديد بين العربية ولهجاتها المحكية العامية، فآخذ بالاتساع، كما ذكر الودغيري حين تحدّث عن علاقة الانفصال بين العربية ولهجاتها ؛ لأنّ " أكثر الكلمات قابليّة للتغير والزوال، وأشدّها عُرضة للاختلاف بين اللهجات بعضها مع بعض، ثم بين اللهجات والفصحى... ومما يبتعدُ بالألفاظ والتراكيب اللهجية عن الفصحى العربية: أمران أساسيان: أولهما: كثرةُ التحريفات والتغيُّرات الصوتية والصرفية التي تطرأ على الكلمات ذات الأصل العربي حتى ليَصعُب في بعض الحالات ردُّها إلى هذا الأصل، والثاني: تهجين اللغة ومَزج تراكيبها بكثرة الدخيل والأعجمي."[2]

وعلى الرغم من اختلاف العربية الفصيحة و اللهجات المحكية العامية في بعض السمات، ودور اللهجات المحكية في تشكيل الكفاية اللغوية لدى الفرد؛ مما يؤثر عليه سلبا عند تعلم الفصحى، إلا أنّ اللهجات العامية العربية كما يرى اسرائيل ولفنسون "غير بعيدة من اللغة الفصيحة بوجه عام حتى إنه اتضح للعلماء أنّ كلماتٍ عامية يظهر كأنها بعيدة جدًا من الأصل العربي هي في الواقع ، بعد البحث العميق، موجودة في المادة اللغوية"[3]

وبما أنّ الفجوة لم تتسع ،كما يشير إسرائيل ولفنسون، والهوة غير بعيدة" بُذلت جهود متعددة في ميدان تأصيل اللهجات المعاصرة، وردّها ما أمكن إلى جذورها الفصحى، وكثرت البحوث المقدمة في هذا الميدان كثرة تُنبئ عن أهمية هذه القضية الحيوية التي شغلت الفكر اللغوي، وأثارت اهتمام فقهاء العربية، و لم يقتصر اهتمام اللغويين بهذه القضية بقطر دون قطر، ولكنها شغلت المهتمين بقضايا العربية في

---

(١) اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ص ١٩٠

(٢)ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) تاريخ اللغات السامية، د: اسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١، ١٣٤٨هـ، ص ٢٢٠.

أقطار شتى، وبلاد متعددة"[1]

وقد ذهب المهتمون باللغة العربية إلى ربط مفردات اللهجات المحكية العامية ذات الأصول الفصيحة بمنبعها الأول، ورأَوا "أن ليس كلّ ما تستعمله العامة خطأ. وأنه إذا كان يراد للفصحى ... أن لا تهبط إلى منخفض العامية، فليس من الخير أن يكون بين اللغتين ،وهُما في الأصل لغة واحدة، حاجز حصين يحول دون الخاصة واستعمال لفظ لابد منه ،لا لشيء، إلا لأنّ العامية استعملته أو استحدثته"[2]، على إنْ وافقت اللهجات المحكية وجهًا مقبولاً في اللغة قُبلت، وإنْ كانْ فيها تشويه أو تحريف صُححت وصُوبت على أسس الصلة بين الأصل والفرع الحادث، وعلى أسس ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[3]؛ لتعطي دلالة على حياة العربية، واستمرار

---

(١) صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى، د: عبدالمنعم عبدالله حسن إبراهيم، ضمن بحوث مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر (الأول) المحور الثاني ، ص٢٩٦.

(٢) العربية بين الفصحى والعامية، عارف النكدي، مجلة المجمع العلمي في دمشق ، مج ٤٤، شوال ١٣٨٨هـ، ص٥٩.

(٣) ومما يجدر ذكرُه، ذكرُ أمثلة من الكتب التي اعتنت برد الكلمات في اللهجات المحكية العامية إلى الفصحى وتأصيلها وذلك مثل:-

- أحمد عبدالغفور عطار لغويا، ماجد هلال العصيمي، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، برقم ٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٤٣٨، حيث جمع الكلمات التي تطرق إليها الشيخ عطار في مؤلفاته تأصيلا وتصويبا .
- أصول الكلمات العامية، حسن توفيق.
- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، د: شوقي ضيف.
- فصيح العامي في شمال نجد، عبدالرحمن السويداء.
- قاموس رد العامي إلى الفصيح ، الشيخ أحمد رضا.
- معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها، الشيخ محمد ناصر العبودي.
- معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية، د: عبدالمنعم سيد عبدالعال.
- المعجم الدلالي بين العامي والفصيح، د: عبدالله الجبوري.
- معجم فصاح العامية، هشام النحاس.
- مميزات لغات العربية وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها، حفني أفندي ناصف.

نموها، وعطائها المتجدد.

ويرى نهاد الموسى أنّ عبدالعزيز بن عبدالله انتحى "ببحث اللهجات منحى إضافيًّا، منحى تفصيح العامية في الوطن العربي وقد تمثل في منحاه هذا أن اللهجات العربية المختلفة تصدر عن منبع واحد هو العربية الفصحى فأغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية، لا تنفرد بذلك العامية في قطر عربي دون آخر، بل تمس اللهجات الدارجة في معظم أجزاء الوطن العربي. وقد قام عبدالعزيز بن عبدالله، على هذا الأساس، بدراسات مقارنة بين العاميات العربية؛ لبيان مدى تقاربها ومظاهر وحدتها، قاصدًا إلى تأسيس قاعدة لغوية مشتركة جامعة تصبح من خلالها لغة الحديث في الوطن العربي أقرب إلى الفصحى منها إلى اللهجات الإقليمية الكثيرة التحريف."(١)

هذه الجهود التي تحاول الكشف عن المخزون اللغوي الكامن في اللهجات الحديثة، تدرك وجود أصالة وجوه فيها، تميط اللثام عن ظواهر ومفردات ترسبت من لهجات عربية قديمة، وإسلامية، وفصيح ندر استعماله، لم تحفل بها الكتب التي اعتنت بالنموذجية بعد عصور الاحتجاج؛

---

(١) الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، د: نهاد الموسى، ضمن أعمال الندوة الدولية (الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب) منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٨،ص٦٣. ويُنظر:

- العامية والفصحى في القاهرة والرباط، لعبدالعزيز بنعبدالله، مجلة اللسان العربي، ع٢٢، ص ٥٧-٧٢.
- مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج العربي،لعبدالعزيز بنعبدالله، مجلة اللسان العربي، ع٥، ص ٢٣٥-٢٣٩.
- مظاهر الوحدة بين عامية بغداد وعامية المغرب الأقصى، لعبدالعزيز بنعبدالله، مجلة اللسان العربي، ع ١٨، ج١، ص٧١-٧٤.
- نحو تفصيح العامية في الوطن العربي، عمر الطاهر، مجلة اللسان العربي، ع ١٠، ج١،ص١٩١-٢٩٢.

ولربما أنّ كتب النوادر[١] والغريب[٢] والشوارد[٣] وكذلك القراءات الشاذة قد احتفظت بها؛ لتصلها باللهجات المحكية المعاصرة، لولا ما عرض لها من الدَّخِيل وغيره، ولِرَدِّ الفصيح إلى أصله، وتعريب الدَّخِيل مما عربته اللهجات لأدوات الحضارة، ونبذ ألفاظها الأعجمية؛ وبذا تكون الإفادة للعربية، وتتكشف صفحات من تأريخ العربية الطويل.

وليصبح رَدّ العامي إلى الفصيح، وتِبيان الأصول الفصيحة للهجات الدارجة المحكية تأريخًا للألفاظ والمفردات، واستمرار نبض للفصحى فيهما، وإسفارًا لمزيد وضاءة وسحر؛ لأن التكامل بين المستويين أقوى من التنافس.

الازدواج اللغوي

لما كان للعرف سلطة على اللغة، يمكِّن لها الحماية والرقابة[٤]، أصبح معيارًا تُرد إليه مسائل الصواب والخطأ في اللغة، بل "إنه مقياس اجتماعي عام يرمقه الفرد بشيء من المهابة والاحترام، ويحرسه المجتمع بأسلحة أقلها النقد الاجتماعي اللاذع."[٥].

---

(١) من مثل كتاب : النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ، وهو مطبوع متداول، ومنها تحقيق د: محمد عبالقادر أحمد، دار الشروق ، القاهرة،

(٢) من مثل كتاب : الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وهو مطبوع متداول، ومنها تحقيق د: محمد المختار العبيدي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. وكذا كتاب المنتخب من غريب كلام العرب لأبي الحسن العُنائي المعروف بكراع النمل، وهو مطبوع متداول بتحقيق د: محمد أحمد العمري، مطبوعات جامعة أم القرى. ويندرج تحت كتب الغريب كتب غريب القرآن من مثل كتاب المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني وهو مطبوع متداول . وكذا يندرج في كتب الغريب كتب غريب الحديث ومنها: لأبي عبيد القاسم بن سلام، وهو مطبوع متداول، ومنها تحقيق د: حسين محمد شرف، نشر مجمع اللغة العربية في القاهرة، وكذا كتاب غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، وهو مطبوع بتحقيق، عبدالكريم إبراهيم العزباوي، مطبوعات جامعة أم القرى

(٣) من مثل كتاب : الشوارد أو ما تفرد به بعض الأئمة للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق مصطفي حجازي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية في القاهرة.

(٤) يُنظر العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، ص١٤٤.

(٥) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٧٢.

وباختلاف الأعراف اللغوية لاختلاف البيئات والجماعات اللغوية، فإنّ ما كان يُعدّ صوابًا في بيئة وعند جماعة لغوية، قد يصبح خطأ عند غيرهم.[١]، وعند اختلاط مُتكلِّمين من بيئات لغوية مُختلِفة في بيئة لغوية ثالثة، ينعكس ذلك على مقدرتهم اللغوية، فتصبح لديهم صورٌ لغويةٌ جديدة، و يتشكّل منها التنوع اللغوي، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصواب والخطأ، يستلزم عليهم المشاركة والملاحظة والتجريب، فالمرء ،كما يرى تمام حسان، يستمع" إلى كلام الآخرين، فيعرف من ملاحظاته لهذا الكلام أنّ هؤلاء المتكلمين يراعون في كلامهم أمورًا خاصة لا يحيدون عنها؛ وأنّ عليه إنْ أراد الدخول في زمالتهم اللغوية أو استبقاءها، أنْ يراعي نفس هذه الأمور. ويشاركهم الحديث، فيتعلم بالمشاركة ما لم يستطع تعلمه بالملاحظة... ثم يُخطِئ أحيانًا فيصادف من هذه التجربة ما يصادفه المخطئ، فتردعه هذه التجربة عن الخطأ مرة أخرى فيما أخطأ فيه، وبهذا يحافظ على المستوى الصوابي في الاستعمال اللغوي"[٢] وهكذا يصبح عند كل متكلم نمطان مختلفان للغة ذاتها، أحدهما لهجة أو لغة عامة، يُتخذ لها نموذج به يُقتدى ، ومثالاً به يُحتذى [٣]، يُفترض لها الثبوت النسبي، والآخر لغوة أو لهجة محلية[٤]، وخير ما يَمْثُل أمام الناظر، العربيةُ الفصحى ولهجاتها ، وهذا التنوع اللغوي هو ما يُسمى عندئذٍ بالازدواج اللغوي.

---

(١) يقول أستاذي الدكتور سليمان العايد :" من يقف متأملا لغة العامة ولغة الشّارع، ولغة الخطاب اليوميّ، ولغة كبار السّنّ، يجد هناك ظواهر قال عنها الأقدمون : إنها خاصة بقبائل معيّنة، واتسع نطاق هذه الظواهر، وذاعت وشاعت حتى غدت غالبة على لسان العرب في جزيرتهم، من مثل الاتباع في نحو (شِعير، بِعير، بِعيد) وكانت في الأصل لغة تميم من العرب." العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية، ص١٤٢. قلتُ: سمعتُ أبناء الحاضرة يسخرون من أبناء البادية حين يسمعونهم ينطقون من مثل (حِليب، خِميس، عِفيف) .مع أن الساخرين ينطقون كلمات مثل (سِريع، طِويل، بِعير، شِعير، طِحين وغيرها)؛ ليتضح أن كلا القسيمين يستعمل ذات الأسلوب، إلا أن للعرف سلطته عند أبناء الحاضرة فيسخرون من أبناء البادية حين يسمعون ذلك النطق ، فليُتأمّل.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص٦٦.

(٣) الحديث عن النموذج سيكون بإذن الله في المبحث الثالث في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٤) يُنظر علم اللسان، أنطوان ماييه، ضمن كتاب النقد المنهجي عن العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، ص٤٤٢-٤٤٦.

ويفضي الكلام في هذه التنوعات الاستعمالية للغة إلى النظر في تعريفٍ لفرجسون حين قدّم فيه هذه الظاهرة، على أنها:" وضع لغوي ثابت نسبيًّا يكون فيه – بالإضافة إلى لهجات اللغة والتي قد تشمل لهجة معيارية أو لهجات معيارية إقليمية– نوع من اللهجات مختلف اختلافًا كبيرًا عن غيره من الأنواع ومنظم أو مصنف للغاية. وعادة ما يكون هذا النوع أكثر تعقيدًا من الناحية اللغوية: النحوية والصرفية والتراكيب الصوتية، وعادة ما يكون أعلى من غيره. وهذا النوع يكُون عادةً لغةَ لأدبٍ مكتوبٍ يحظى باحترام أفراد المجتمع. ويكون مصدر هذا الأدب إمّا من عصور سابقة، وإمّا من مجتمع آخر غير المجتمع الذي توجد فيه ازدواجية اللغة"(١)

إنّ وجود لغة اتخذت لها مكانة، وأصبحت فيما بعد لغةً متواضعًا عليها، أمرٌ قد تحتمه الضرورة، لكنّها ،كما أشار إلى ذلك هدسون، لا تمثّل الحالة الطبيعية للغة، فيمكن أن توصف " بأنها حالة شاذة"(٢)، ومن غير المنطق ،وفق هذا الفهم وهذا الرأي، قبول قول محمد عيد بأنّ" وجود اللغة المشتركة واللهجات المحلية في اللغات أمر تحتمه الضرورة الاجتماعية، وما تقتضيه من تفاوت مستوى الاستعمال وحاجاته، تبعًا لحاجة الناطقين أنفسهم، لاستخدام اللغة في المواقف العامة والراقية أو مواقف الحياة العادية والخاصة بالبيئة المحلية، ويكاد اللغويون المحدثون – فيما أعرف – يجمعون على هذا الفهم فيما يتعلق بالفصحى واللهجات، وإن تفاوتت جهودهم بعد ذلك في بيان الظروف التي تؤدي إلى وجود كلّ من هذين المستويين في اللغات، والطريقة التي يحدث بها تكون المشتركة من اللهجات أو العكس"(٣).

(١) ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص٢١.

(٢) علم اللغة الاجتماعي، ص ٥٨.

(٣) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، ص ٨٩.

ولقد أضحى سير العربية نحو الازدواج سمة بارزة إبّان شيوع اللحن[1]، وما تلا زمن عصور الاحتجاج، وهو ما تؤيده الوقائع اللغوية " في واقع الاستعمال اليومي وعلى مستوى عامة الناس كانت تطور نمطا لغويًّا أو مستوى لغويًّا مُفارقًا. وعملت دورة الزمن ثم أسهمت عوامل لغوية ذاتية، وعوامل اجتماعية خارجية في تشكيل هذا المستوى اللغوي الذي عُرف بكلام البلديين عند الجاحظ، ولغات الأمصار عند ابن خلدون، واللهجة العامية أو اللغة العامية أو المحكية أو الدارجة، عندنا. وقد تنامى الفرق بين المستويين بعد خروج العرب إلى الأمصار حتى أفضى إلى الانفصام وكانت نشأة العاميات إيذانا بظهور الازدواجية"[2] اللغوية عند المتكلم؛ لاكتسابه لغة خطابه اليومي من بيئته اللغوية، ولتعلمه اللغة المعيارية أو ما تُسمّى بعربية النحاة، وهذا ما يجعل لرأي محمد عيد اطمئنانًا.

هذا التنوع في استخدام أنماط مختلفة في اللغة ذاتها قد يُسمى بالازدواج اللغوي العام؛ إذ إنّ هناك تنوعًا آخر، فيما يظهر، باستخدام أنماط لهجية للغة ذاتها، أي يكون المتكلم متعدد اللهجات، فهو يختار من اللهجات ما يناسب المقام وقد قيل: لكل مقام مقال، وعندئذٍ قد يُتسامح في تسمية هذا الاستخدام اللهجي، بالازدواج اللغوي ، وقد يندرج تحت ما أسماه محمد علي الخولي بالثنائية اللغوية الأفقية، ويجيء مفهوم الأفقية عند الخولي " من مفهوم التكافؤ والتناظر في المكانة اللغوية"[3]

على أنّ هناك تنوعات لهجية داخل المجتمع الواحد، تندرج تحت (الازدواج

---

(١) على أن وجود اللغة المشتركة واللهجات الخاصة بالقبائل العربية في العصر الجاهلي وإلى أن شاع اللحن لم يصل إلى أن يُمثِّل وضعًا ازدواجيًّا، بل إنّ اللغة المشتركة ،فيما يظهر، أنها هي تلك التي تتسامى عن الاختلافات والتباينات اللهجية المحلية للغة بعينها. وباستطاعتها استيعاب موروث الجماعة اللغوية، وقدرتها على إيصال العمليات التبليغية بين أفرادها مهما تعددت العمليات الاتصالية، واختلفت طبقات المجتمع، كما أنها لا تحتاج إلى كثير مما يوجد في مظان الكتب النحوية من قواعد فرعية وخلافات، وليست بحاجة توظيف إلى ما يخالف القياس المطرد.

(٢) قضية التحول إلى الفصحى، في العالم العربي الحديث، ص ٦٩.

(٣) الحياة مع لغتين الثنائية اللغوية، د: محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، ٢٠٠٢م، ص٢٠.

اللغوي الخاص) " تحمل في طياتها ملامح وسمات لغوية تفصح عن هوية أصحابها، هي ما اصطلح على تسميتها اللهجات الاجتماعية"[1] وهي تُنبئ عن كلّ ما يتعلق بالوضع الاجتماعي للمتكلم أو المخاطَب؛ لأنها تتشعب " تبعًا لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم: فيكون ثَمّ مثلاً لهجة للطبقة الأريستوقراطية، وأخرى للجنود، وثالثة للبحارة، ورابعة للرياضيين، وخامسة للبرادين، وسادسة للنجارين... وهلم جرا"[2].

تصنيف الناس على أساس طبقي، يجعل لكل طبقة طرائق في الحديث تميزها عن غيرها؛ مما يجعل تغيير الفرد للهجته ذات الصفة الخاصة إلى ما يتناسب مع صفات لهجات تفضلها أو تقلّ عنها مكانة أمرٌ جد عسير، فلا مجال ،حينئذٍ، إلا أنْ يَعدِل إلى لغة مشتركة معروفة تتكلم بها الجماعة اللغوية؛ لتصبح اللغة المشتركة الفصيحة أو اللهجة العامة ،عندئذٍ، كما يقول محمد عيد :" أمر تحتمه الضرورة الاجتماعية"[3] ولتُكسِب الفرد سلوكًا اجتماعيًّا؛ لأنها لن تكون وسيلة " لنقل المعرفة بل كنموذج يصلح للاحتذاء"[4] ويظهر هذا الاحتذاء من خلال اختياره للكلمات بدقة؛ ليحدد علاقته الاجتماعية بمخاطب ذي منزلة اجتماعية حسب موقعه وثقافته.

هذا التحوّل الذي يقوم به المتكلم في العملية الكلامية من لهجة محلية أو لهجة خاصة إلى لهجة عامة أو إلى اللغة الفصيحة، ليس مهارة، بل هو مقدرة لغوية عامة لها وظائفها، ويبين محمد علي الخولي الأسباب الداعية إلى هذا التحول بقوله " ومن الممكن تصور الأسباب الآتية :

البحث عن تعبير أدق.

الإفهام والاتصال الأفضل.

إرسال إشارة ضمنية تقول: أنا من بلدك، يا أخي، ألا تراني أعرف لهجتك.

الاقتراب. وكأن التحول يعني: صحيح أنا من ... ولكن كلنا عرب وأنا أعرف

---

(١) علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص١٩٨.

(٢) علم اللغة، د: علي عبدالواحد وافي، ص١٨٨.

(٣) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، ص ٨٩.

(٤) علم اللغة الاجتماعي، ص ١٥٧.

لهجتك.

الرسمية. وخاصة عند التحول من العامية إلى الفصيحة.

الإبعاد. وكأن التحول يعني: ابتعد عني، لا تقترب كثيرا، أنا أنا وأنت أنت.

مناسبة الموضوع. فاللهجات العامية تناسب موضوعات الحياة اليومية وأما الفصيحة فتناسب الموضوعات العلمية."[١]

ولاختلاف البيئة في "المجتمع الواحد دور هام في ظهور الازدواجية اللغوية، فأبناء الريف مثلا يتحدثون بلهجة تختلف عن تلك التي يتحدث بها أبناء المدن، وهاتان تختلفان عن لهجة أبناء البادية، فأفراد كل بيئة يتفقون على طريقة نطقية معينة يتعاملون بها في بيئتهم الخاصة"[٢]، وعند اختلاف البيئة نراهم يلجئون إلى لهجة عامة ومشتركة يفهمها الجميع.

غير أنّ فئامًا من المتكلمين يتمسكون بملامح وسمات لهجاتهم أثناء حديثهم في بيئات لغوية مختلفة، وإنْ كانت تعكس هوية، لها مع المجتمع شأنٌ آخر. وهذا التمسك يعكس رغبة مُلحَّة في إثبات ثقته بلهجته ومجتمعه اللغوي، ومحاولة إبرازها، في بيئة لغوية تسعى إلى إذابة الفروق بين اللهجات المتباينة؛ لِتكوِّن لهجة عامة مشتركة يفهمها الجميع.

هذه التنوعات اللغوية، جغرافية كانت أم اجتماعية ؟ لا تعني علم اللغة الوصفي، وإنْ كانت تشكل جزءًا هامًّا من اهتمام علم اللغة الاجتماعي؛ لأن العرف اللغوي العام يُدرجها تحت مسمى (لهجات)[٣]، وهي "لا ترقى سياسيًّا إلى منزلة (اللغة) في الأعراف القومية، ولا يؤخذ بها في المحافل الرسمية في الداخل أو الخارج على السواء"[٤]،إلا أنّ الفارق النسبي بين اللغة واللهجة لا يُعتد به عند أصحاب علم اللغة

---

(١) الحياة مع لغتين الثنائية اللغوية، ص١٢٤.

(٢) العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية و الثنائية اللغوية، إبراهيم كايد محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مج٣، ع١، ذو الحجة ١٤٢٢هـ، مارس ٢٠٠٢م، ص ٦٣.

(٣) يُنظر علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص ٢١٩.

(٤) السابق، ص٢٢٢.

الوصفي، فاللغة في أصلها " لهجة كُتب لها التفوق وسعة الانتشار بعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية"[١]، فاللهجات العامّة في البلاد العربية (مثل لهجة القاهرة) في مصر تُعدّ "لغة إذا قوبلت بالإنجليزية، أو الفرنسية أو نحوهما. وذلك لأنّ لها خصائص ومميزات تجعل الفرق بينهما وبين هذه اللغات واضحًا. كما أنها نشأت في أحضان مجتمع له كيانه واستقلاله اللغوي. ولكنّها لهجة من حيث إنها جزءٌ أو مَثَلٌ من أمثلة اللغة العربية التي يتكلم بها العرب جميعًا."[٢]

اللغة المشتركة هي الصلة التي تصل بني المجتمع الواحد وذوي اللغة الواحدة بعضهم ببعض عند اختلاف لهجاتهم، فلا غرابة أن تكون كذلك وتلغي الفارق الجغرافي، وتذيب الفوارق الطبقية، وتوحِّد[٣] ما بين التجارب مادامت تصل بين زمنين مختلفين يفصل بينهما ألف وخمسمائة عام.

الازدواجية اللغوية عبء ماديّ ونفسي، ومعاناة نفسية، تُفضي إلى التقلب والحيرة، وأنها، كما يرى أنيس فريحة،" تعوق الفكر"[٤]، ذلك لأنّ المتعلمين من أبناء العرب في نظر فريحة " يعانون من تعلم الفصحى أكثر مما يعانونه من تعلم لغة أجنبية"[٥]؛ لذا كانت أحد أسباب الدعوة إلى العامية وتوحيد لغة الكتابة والتكلُّم.

ويصور حفني ناصف حجم الخسارة التي تتكبدها البلاد العربية جرّاء هذه الازدواجية اللغوية بقوله:" وترى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم

---

(١) السابق، ص٢٢٦.

(٢) السابق، ص٢٢٧.

(٣) كان الاختلاف بين اللهجات العربية قبل الإسلام واسعًا؛ مما يؤهلها للانقسام مع مرور الزمن؛ لسعة بلادها، وكثرة المتحدثين بها، وقبيل الإسلام، لكنّ هناك عوامل أدت إلى التقارب وتكوّن لغة مشتركة يتم بها التفاهم والتواصل عوامل من أهمها (الحج، الأسواق الأدبية وغيرها)، وعند مجيء الإسلام عمل على توحيد اللغة العربية وتعميمها على جميع لغات العرب ومستوياتها الخاصة والعامة، في أسمى درجات التوحيد والتأثير اللغوي التي عرفتها اللغات الإنسانية. يُنظر أثر الإسلام في التوحيد اللغوي ، أطروحة ماجستير في كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، من إعداد: خالد بن أحمد إسماعيل الأكوع ، إشراف : أ،د: عليان الحازمي مسجلة برقم ٦٥٢٤. ١٤٢٣هـ. وقد طُبعت في مكتبة الرشد عام ١٤٢٨هـ.

(٤) اللهجات وأسلوب دراستها، د: أنيس فريحة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ص ٢٥.

(٥) نفسه.

الفصحى في أقل من عشر. والسبب في ذلك ظاهر، وهو أنّه في أول أمره لا يسمع غير العامية ولا يتكلم بغيرها، فهو أينما سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان الفرنسيين، والإنكليزية في أذهان الإنكيز، وليس الحال كذلك في إبّان تعلمه لغة الكتابة. ولو فرضنا صبيًّا نشأ في بلد يتكلّم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة، وبعد سن مخصوص يتعلمون العامية، ويستعملونها في الكتابة فقط لانعكس معه الحال، وتَعَلّم الفصحى في أقلّ من خمس سنين، و لم يتعلم العامية في أقل من عشر، فليس في طبيعة اللسان العربي شيء من الصعوبة، وإنما في طريقة التلقين وبيئة التعليم . وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة كان يغني عنها خمس لو اقتصر المتعلم على إحداهما، ويضيع على كل متعلم عشر سنين من عمره، فإذا تحققت الآمال، وصار التعليم إجباريًّا: فكم تخسر الأمة من كل سنة من أعمار أفرادها؟"[١].

ولأجل ذا أصبحت الازدواجية اللغوية في نظر الدعاة إلى العامية[٢] أحد أسباب التخلف الفكري والحضاري كما يُلمح إليه سلامة موسى[٣]، فاللغة في سيرورة وتطور دائم، تتفاعل مع المجتمع؛ ولذا يوجب سلامة موسى على "ألاّ يكون للمجتمع لغتان، إحداهما كلامية، أي عامية، والأخرى مكتوبة، أي فصحى"[٤]، ونراه في مقالته يدعو إلى توحيد لغتي الكلام والكتابة، بما يقارب بينهما، بقوله:" ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتي الكلام والكتابة. فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع. ونأخذ من

---

(١) نقلا عن القضايا اللغوية في مجلة المقتطف، أطروحة دكتوراه في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مسجلة برقم٥٧٦٩، ١٤٢٦هـ، من إعداد ،: محمد بن عبدالله الجغيمان، إشراف، أ،د: سليمان بن إبراهيم العايد، ص١٩٧.

(٢) لمزيد تفصيل حول قضية الدعوة إلى العامية ينظر كتاب تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، د: نفوسة زكريا، دار نشر الثقافة ، الإسكندرية، ط١، ١٣٨٣هـ. وأطروحة القضايا اللغوية في مجلة المقتطف من ص١٨٦-٢٨٤.

(٣) يُنظر البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٦٤م، ص١٧٦-١٨١.

(٤) السابق، ص٤١.

الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما."[1]

ومن أوجه التقريب ،فيما يظهر، بين الفصحى والعامية، رَدُّ الألفاظ العامية إلى الفصيحة، وتِبيان الأصول الفصيحة للهجات الدارجة المحكية؛ إذ ليس من الناجع حلّ مشكلة الازدواجية اللغوية بالتحوّل إلى العامية، بل بالاتجاه نحو تفصيح العامية، أصواتًا وبِنيةً وتراكيب، لأنّ التكاملَ بين المستويين أقوى من التنافس، ولِتكون نواة لغة تلتزم قواعد النحو والصرف وأصوات الفصحى، غير أنها تميلُ " إلى استخدام الشائع من الألفاظ، والبُعد عن الإغراب، والمرونة الزائدة أحيانا اتجاه العبارات المترجمة"[2] وهي ما تُسمى بالعربية الحديثة أو العربية الوسطى.[3]

(١) نفسه.

(٢) ازدواجية اللغة نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، د: محمد راجي الزغلول، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، مج١٨، ج١، ص٢٨.

(٣) يُنظر علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص١٧٧. وسيجيئ الكلام عن اللغة الثالثة في الفصل الثالث من الباب الثاني.

الباب الثاني :

الممارسات الإجرائية والمقاصد النفعية لتقعيد اللهجات المحكية :

الفصل الأول :

بناء المفاهيم

الفصل الثاني :

مظاهر تقعيد اللهجات المحكية

الفصل الثالث :

المقاصد النفعية من دراسة اللهجات وتقعيدها

الفصل الأول :

بناء المفاهيم:

من خلال

- السليقة" الفطرة ".
- الاستقراء .
- النموذج والطراز.

السليقة اللغوية والفطرة

السليقة كما جاء في اللسان "الطبيعة والسجية وفلان يقرأ بالسليقة أي بطبيعته لا يتعلم ...(و) بطبعه الذي نشأ عليه ولغته، (و) السّلِيقِيّ من الكلام مالا يُتعاهَد إعرابُه، وهو فصيح بليغ في السمع، عثور في النحو،...(وذلك حين) يسترسل فيها المتكلم على سليقته، أي سجيته وطبيعته، من غير تعمد إعراب، ولا تجنب لحن"[١] دون تكلّف وتصنّع؛ ليصبح معنى السليقة "هو أنْ تَتَكلّم لغةً من اللغات، بغير شعور بما لها من الخصائص"[٢]، وهذا معنى قول الشاعر:

ولست بنحوي يلوك لسانه * ولكنْ سَلِيقيٌّ أقول فأُعربُ**[٣]

وأمّا الفطرة فهي كما جاء في اللسان "نوع من الجبلة والطبع"[٤] وهي " الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول خلقته"[٥]؛ لذا فالإنسان مجبول ومفطور على التّكلم إلا إن عرض عارض يمنعه من ذلك، فهو حين يكون قادرًا على التكلم، ومتهيئ على سماع اللغة، فَطِن لإدراك ألفاظها وخواص تراكيبها، يتمكن منها، فتصبح صفة راسخة له، ينطق بها سجية وطبعًا.

وبعد أنْ يُلمّ الإنسان باللغة عبر القدرة الفطرية والمدخلات اللغوية، تنساب معه طواعية، وتصبح حينئذٍ طبيعية عفوية جِبلّيّة، ولا يتعلمها تعلمًا؛ بيد أنْ ليس بين المُتعلَّمة والمكتسبة " اختلاف إلا من جهة تعلق الأولى بإرادة الإنسان واختياره، وعدم تعلق الثانية في وجودها"[٦] مما ينتمي إلى الاختيار والإرادة.

---

(١) لسان العرب مادة (سلق)

(٢) فصول في فقه العربية، ص ٩١.

(٣) الشاهد بلا نسبة ، يُنظر معجم شواهد النحو الشعرية ، د: حنّا جميل حدّاد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ، باب الباء فصل الباء المضمومة (٦٢) وتخريجه في ص ٢٦٦.

(٤) لسان العرب مادة (فطر)

(٥) الكليات ، ص٦٩٧.

(٦) اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، د: محمد الأوراغي، دار الأمان، الرباط، ط٢، ١٤٣٥هـ، ص ١٣٥.

ولا تنساب معه طواعية إلا بعد أن يألف سماعها، ويحاكيها ويقلد المتكلمين بها، ويكرر ألفاظها وتراكيبها حتى تصبح صفة راسخة له، وسليقة وطبعًا، فهو حين يتكلم يسترسل في كلامه على سجيته، دون تعثر أو تعمد، مُطبِّقًا قواعدَ لغته، ودون أن يكون قادرًا على وصفها وتحليلها لغويًّا.

يُبيِّن رمضان عبدالتواب السليقة في رأي المحدثين، حيث إنها "لا تعدو أن تكون مرحلة من مراحل إتقان اللغة، عندها لا يكاد يشعر المتكلم بخصائص كلامه، من حيث الأصوات، وأبنية الألفاظ، وتراكيب الجمل، فهو يؤدي الكلام بصورة آلية، دون أن يكون له أيّ اختيار في هذه النواحي، بل تصدر منه دون تكلف أو تعمد، وإنما على حسب ما سمع في صغره، ممن حوله من الكبار، وعلى نفس النهج الذي يسلكونه، فالمرء يبدأ حياته مقلدًا للغةِ أبويه، وتصادفُه عقباتٌ وعثراتٌ في هذا التقليد ويمر بمراحل كثيرة، قبل أنْ يصِلَ إلى تلك التي تُسمّى بمرحلة السليقة. أي أنّ اكتساب اللغة يبدأ بالتقليد وكَثْرَةِ المران، ولا يُقال للطفل في أثناء تعلمِه لغة أهله، وقبل أنْ يُسيطِر عليها: إنه يتكلمها بالسليقة؛ فلا وراثة في السليقة اللغوية، وإنما الأمرُ كلُّه رهنٌ بالاكتساب والتقليد والمران، وعلى حسب ما تشكله البيئة، فاللغة ملك من يتعلمها، لا أثر فيها للوراثة أو الجنس؛ فالطفل الذي يولد من أبوين مصريين، ثم ينشأ بعيدًا عنهما في بيئة إنجليزية، يشب وينمو كالإنجليز تمامًا من حيث اللغة"(١).

ويتبين من وجهة النظر هذه أنّ السليقة مكتسبة بالتقليد والمحاكاة وكثرة الاستعمال، وأنّ اللغة بهذا الفهم يشوبها التطور الذي تقف منه المناهج اللغوية الحديثة وقفة" تتسم بالتسامح، إذ تصِف هذا التغيير في ضوء استعمال الناطقين له فقط، فلا تربط بينه وبين مستوى لغوي آخر لعصر مضى أو عصر لاحق، كي تُرَتِّب على ذلك حكمًا عليه بالتقدم أو التقهقر، كما لا تنظر إليه في ضوء معايير جاهزة، فما وافقها كان صوابًا، وما خالفها كان خطأ ولحنًا، لأنّ مرجع ذلك كله هو الجماعة اللغوية

(١) فصول في فقه العربية، ص ٩٥.

التي تستعمل اللغة وما ترتضيه أو ترفضه من معاني الألفاظ وصيغها وطريقة تأليفها"[١]؛ لذا فصاحب السليقة عند أصحاب علم اللغة الحديث لا يُخطئ.

يقرر هذا إبراهيم أنيس في قوله:"إنّ صاحب اللغة التي يتكلمها بالسليقة يستحيل عليه الخطأ في ظواهر تلك اللغة، دون أن يدرك أنه أخطأ "[٢]، و كذا يظهر هذا التقرير في موافقة رمضان عبدالتواب لإبراهيم أنيس[٣]، وكذا فهم تمّام حسان قول إبراهيم مصطفى أنّ"تأليف الكلمات في كلّ لغة يجري على نظام خاص بها، لا تكون العبارات مفهمة، ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه ولا تزيغ عنه. والقوانين التي تمثل هذا النظام وتحدده تستقر في نفوس المتكلمين وملكاتهم، وعنها يصدر الكلام فإذا كُشفت ووصفت ودُوّنت فهي علم النحو"[٤].

غير أنّ تمام حسان يقف من كون صاحب السليقة لا يُخطئ موقفًا حائرًا؛ إذ حينما يطبق ذلك على ذاته ولغته يجد أنّ سليقته قد فسدت بسبب ابتعاده عن لهجته الأم (لهجة الصعيد)، وسُكناه في القاهرة، ثم التحدث بلهجتها، فإذا عاد إلى الصعيد يجد أنه يتحدث بلهجة خليط من تلك اللهجتين، فيتعرض للنقد اللاذع بسبب مخالفته للمستوى الصوابي في العرف اللغوي[٥]، ثم يستدرك بقوله:" إلا إذا كان لكل امرئ سليقته الخاصة"[٦] والمفهوم حينئذٍ من مَسرَد تمّام حسان أنّ السليقة المكتسبة تدوم مادام الفرد عضوًا في الجماعة اللغوية، وتبقى مادامت حياته فيها، وتفسد حين يغادر هذه الجماعة اللغوية إلى بيئة وجماعة لغوية أخرى.

ومن أجل ألاّ يُنسب لصاحب السليقة الخطأ، يستثني إبراهيم أنيس الذي يتكلم بلغة خاصة غير لغته في حياته العادية، ويدخل في معنى كلامه من كان يتكلم بلهجة مغايرة للهجته الأم، مع أنّ أصلهما واحد؛ إذ لا يعقل عنده " أنّ صاحب السليقة

---

(١) المظاهر الطارئة على الفصحى، د: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة،د ط ، ١٩٨٠م، ص ٤٥.

(٢) من أسرار اللغة، د: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، دت، ص ٢٠٣.

(٣) يُنظر فصول في فقه العربية، ص ٩١.

(٤) إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ٢. ويُنظر اللغة بين المعيارية والوصفية، ص٨١.

(٥) يُنظر اللغة بين المعيارية والوصفية، ص٨١.

(٦) نفسه ص٨١ .

اللغوية يخطئ إلا إذا كان ينطق بلغة خاصة، يتمسك فيها بقواعد وأصول لا تراعى في حياته العادية حين ينطق على سجيته"[١].

وعلى هذا، إن كان صاحب السليقة لا يُخطى، فلم يَعُد للعلامة الإعرابية معنى، وعليه ستهمل تلك العلامات، وتُطّرَح جانبًا؛ إذ من غير المعقول ،كما يرى إبراهيم أنيس، أن تكون اللهجات الحديثة امتدادًا وتطورًا للهجات القديمة، ولا يبقى فيها أثرٌ من آثار الإعراب التي لم تكن في رأيه ظاهرة "سليقية في متناول العرب جميعًا كما يقول النحاة، بل كانت ... صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم"[٢]؛ لذلك أقرّ بأنّ الذي "ينطق بلغة خاصة، يتمسك فيها بقواعد وأصول لا تراعى في حياته العادية حين ينطق على سجيته"[٣] سيقع بالخطأ الذي سماه اللغويون العرب القدامى باللحن.

وطالما أنّ الخطأ إن وقع فيه الفرد فهو مخالفة العرف اللغوي للجماعة اللغوية التي نشأ فيها واكتسب لغتها، فإنّ الإقرار بعدم وقوعه في الخطأ، إنما يُنبئ ذلك عن كفاءته، ومقدرته اللغوية، وما يملكه من فرضيات ونماذج، يطبقها على معطيات لغوية يتعرض لها؛ إذ" إنّ الإنسان يملك كفاية لغوية قد انطبع عليها منذ طفولته وخلال مراحل اكتسابه اللغة"[٤]؛ لتتشكل عنده " أشكالاً مجردة لقواعد يُمكّنه امتلاكها عبر استيعاب معطيات اللغة"[٥].

كفاءةُ الفرد اللغوية تُنبئ بأنه "تملَّك التنظيم اللغوي بالسليقة"[٦] وهي ما يعرف عند التوليديين بـــ(competence) (الكفاية اللغوية)" وهي نظام اللغة الكامن

---

(١) في اللهجات العربية، ص٧٦.

(٢) من أسرار اللغة، ص٢٠٣.

(٣) في اللهجات العربية، ص٧٦.

(٤) مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص ٦٢.

(٥) الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص ١٣٥.

(٦) مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص ٦٢.

المكتسب عند أبناء اللغة"[١] أي "المعرفة الضمنية بقواعد اللغة"[٢]، وهي التي تجعله قادرًا على فهم وإنتاج الكلمات والجُمل، وتوظيف كلّ مستوياتها في أدائه الكلامي، فلا ينتج المتكلم كلامًا إلا باختيار وانتقاء أمثلة وتنوعات لغوية، لم يكن قد سمعها من قبل، فليس عليه أن يتكلم بما سمعه فقط، بل بإمكانه أنْ يقولَ ما يشاء، وإحداث جملٍ لم تُنطق من قبل وهذا ما يُسمى باللسانيات الإنتاجية (producivity)[٣].

ويشير محمد يونس علي إلى اهتمام المدرسة التوليدية بالإنتاجية، حيث إنها السمة البارزة في نظريتها اللغوية على الإطلاق، إذ إنّ " اهتمام التوليديين والتحويليين يتمحور حول كيف يؤلف متكلمو اللغة السليقيون، ويفهمون عددًا غير مُتَنَاهٍ من الجمل الممكنة المختلفة اعتمادًا على عدد محدود من القواعد، والأسس النحوية"[٤]

ومعنى هذا أنّ صاحب اللغة ومُتكلمَها المثالي قادرٌ على أن يُنتج تراكيب جديدة بالقياس على تلك التراكيب التي سمعها من قبل[٥]، والتصرف في اللغة والارتجال على ما تواضعت عليه الجماعة اللغوية وتكلمت به وفق أنماط متعارف عليها في الاستعمال، ممتزجة امتزاجًا وثيقًا بين عناصر النظام اللغوي الداخلي للهجة و"معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي"[٦].

على أنّ عبدالله كنون يرى أنّ السلائق العربية وإن فقدت ملكة الإعراب إلا أنها لم تفقد سليقة التصرف في وجوه الكلام بالاشتقاق والتعريب والقياس التي نتلمس ،كما يقول، بقاياها:" في لغتنا العامية ولهجاتنا المختلفة، والذي تسلسل عبر العصور وما يزال أثره محسوسًا فيما نستحدثه من ألفاظ أو نقيسه من عبارات على ما رسخ في نفوسنا وانطبع في أذهاننا من رصيد لغوي ذي قواعد وأصول عربية لا جدال فيها

---

(١) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص ٥٢.

(٢) قضايا ألسنية ، ص ٦١.

(٣) يُنظر مدخل إلى اللسانيات، د: محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص٣٤.

(٤) نفسه ص٣٤.

(٥) يُنظر من أسرار اللغة، ص ٤٠.

(٦) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ، ص ٣٢٤.

ترجع تارة إلى أصل الوضع وأخرى إلى قاعدة الاشتقاق والتعريب ما كان من ذلك بسبيل"[1]

فما تنتجه السليقة اللهجية العربية المعاصرة من كلمات محدثة، كما يرى عبدالله كنون ويوافقه محمد حسن عبدالعزيز، إن وافقت القياس، وأَتَتْ مطابقة للأصول المعتَدَّ بها فيجب "أن تأخذ طريقها إلى المعجم العربي من غير توقف لتوفرها على المطلوب من موافقة القياس اللغوي وجريانها على ألسنة العموم بحكم أنّ واضعها قدّر الحاجة الماسة إليها وسَدّ بها فراغًا كان الجميع يشعر به. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ ذلك يدل على أنّ السليقة العربية لم تمت، وأنها بقليل من المعالجة التي لا تعدو التعليم، وتبسيط قواعد اللغة، ستنبعث من جديد..والفعالية التي كانت لها في إمداد العامية وإرفادها بالأوضاع والمصطلحات الضرورية للتعبير صوابًا وخطأ، ستتحول إلى تطوير الفصحى وإغنائها بما هي في حاجة إليه من ذلك مع سلوك نهج الصواب في الغالب الأعم كما كان عليه الحال يوم كانت السليقة العربية بأتمها لا تشكو ضعفًا ولا انحلالاً"[2].

إن خالف المتكلم القياس، و لم يُطابق الأصول المُعتدّ بها، وخالف العرف اللغوي للجماعة اللغوية، أفلا يُعدُّ صاحب السليقة ذا خطأ مادام الأمر كذلك؟!.

الذي يظهر أنّ كلَّ متكلم لا يخلو كلامُه من الانزياح عن قوانين اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية، وأيًّا كانت مستويات اللغة لغة نموذجية كانت أم لهجة محلية للتعامل اليومي، فيُوجد" نوعان من الخطأ قد يصيبان السليقة...:

أولاً: خطأ آنيّ طارئ يحصل نتيجة بعض العوامل النفسية أو الذهنية يستطيع المتكلم أن يتداركه، وعليه قول السيوطي: والإنسان تختلف أحواله فتسعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه وتتعذر عليه عند الانقباض وهذا معنى (ارتج عليه) عند

---

(١) السليقة عند العرب المحدثين، عبدالله كنون، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، ع٢، رمضان ١٣٨٤هـ، ص ٥.

(٢) السابق ص ٦. ويُنظر القياس في اللغة العربية، د: محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٤١٥هـ، ص ١٤٣.

المتكلم، أو كما يسميه فطاحلة المتكلمين في مواقف مماثلة.

ثانيًا: خطأ استمراري متأصل، وفي هذه الحال يصبح قاعدة خاصة بالفرد المتكلم يصعب أن يدركه، وإذا نبهَهُ الوسط الاجتماعي اللغوي إلى هذا الخطأ يمكن – مع مرور الزمن- بالممارسة والمران أن يصلح خطأه، والخطأ لا يُنسب إلى النسق اللغوي الذي يمتلكه الفرد كحصيلة لعشيرة لغوية أو قدرة لغوية زُوِّدَ بها منذ ولادته، وإنما يعود إلى نشاط المتكلم الفردي الذي يحاول تطبيق قواعد لغته، بشكل عَفْوِيّ، وهو غير المغلاق الذي يجد صعوبة أو تشويها خَلقيا في أعضاء النطق لديه... وفي اعتقادنا أنّ هذا الخطأ من المتكلم في وسط اجتماعي لغوي ينتمي إليه الفرد المتكلم لا يؤثر كثيرًا في الغرض الذي يستهدفه المتكلم من الكلام؛ لأنّ هنالك مجموعة من العوامل والقرائن التي تتضافر لبلوغ الغاية التي يرمي إليها المتكلم، فللظاهرة اللغوية نسق ثابت، ونشاط متحول، أطلق عليه دوسوسير (اللسان- الكلام)، وأطلق عليه تشومسكي (القدرة- الإنجاز)."[1]

ولنا أن نتساءل، أتعَدُّ مخالفة متكلم اللغة بالسليقة أصول القياس المعتدّ بها خطأ؟، يُجيب عن هذا التساؤل دي سوسير بقوله:" مما لا شك فيه أنّ الرّواد الأوائل من علماء اللسان لم يفهموا شيئًا من طبيعة ظاهرة القياس. فقد كانوا يسمون القياس التماثلي بالقياس الفاسد، وكانوا يعتقدون أنّ اللغة اللاتينية لما اشتقت لفظ honor كانت قد انخدعت فتوهمت له نظيرًا من لفظ ووزن honos وفي زعمهم أنّ كلّ ما حاد عن النظام المتبع والسنة القارة، يعتبر شذوذًا داخلاً على صورة مثلى. وسبب هذا الوهم الذي كان يطبع عصرهم بميزة خاصة، وهو أنهم كانوا يرون في الحالة الأصلية للسان ضربًا من السمو والكمال، دون أن يتساءلوا عما إذا كانت هناك حالة أخرى أسبق في الوجود مما اعتمدوه"[2]، فالقياس عند سوسير لا يتوقف على وجود صورة مُثلى، يُحتذى ويُقتدى بها ، بل متى ما حاكت صيغة أخرى تُعد قياسية، وإن عدها

---

(١) مقالة بعنوان السليقة اللغوية بين ابن جني وتشومسكي لعبدالله الجهاد، نقلاً عن العربية بين السليقة والتقعيد دراسة لسانية، د: رياض عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ، ص٧٥ .

(٢) محاضرات في علم اللسان العام، ص ٢٣٩.

اللغويون شاذة أو خاطئة.

يُشير اللغويون المحدثون العرب إلى أنّ ما يُسمى بالقياس الخاطئ "وقع بين العرب القدماء كما يقع بيننا الآن"[١]؛ لذا كان القياس الخاطئ أو القياس على التوهم تعليلاً لظواهر لهجية شاعت في عصرها ومازالت تسري في لهجاتنا المحكية، يقول إبراهيم أنيس:" ومن السهل تعليل تلك الظواهر التي شاعت في أسد وتميم بالقياس الخاطئ الذي يؤدي دورًا هامًّا في خصائص اللهجات، فقد قاسوا اشتقاق المؤنث سكرانة على اشتقاقه من معظم الصفات الأخرى، لأنّ الكثرة الغالبة في الصفات العربية تؤنث بالتاء، وليس بغريب أن يُقاسَ على اشتقاق الكثرة اشتقاقُ القلة. وكما قد يقول الطفل أحمرة بدلاً من حمراء وكذلك قاس الطفل التميمي صيغة اسم المفعول من الأجوف على صيغته من الصحيح، لأنّ الأفعال الصحيحة هي الكثرة الغالبة في اللغة"[٢] لكنّ أنيسًا يرى أنّ القياس الخاطئ " سلاح ذو حدين، فبينما يبعد بعض الكلمات في مدلولها أو صيغتها عن المألوف الشائع في البيئة اللغوية، ويستخرج الغريب من الألفاظ والصور، يعمل في الوقت نفسه على الاطراد والانسجام بين كثير من أمور اللغة"[٣] إذ إنّ الطفل " بنطقه أحمرة وأصفرة وأخضرة إنما أخضع تلك الصفات التي مؤنثها فعلاء إلى ما تخضع له الكثرة الغالبة من صفات اللغة التي تؤنث بالتاء مثل جميل جميلة لطيف لطيفة فجعل أيضا أحمر أحمرة وأصفر أصفرة"[٤].

ومع ذلك لم يُطلق إبراهيم أنيس العنان في القياس لأيٍّ، إلا أنّ عبد الصبور شاهين يرى أنّ القياسَ الخاطئ مصدرٌ من مصادر التوليد اللغوي، وذلك في قوله: "إنّ نظرتنا إلى ما يُسمى بالقياس الخاطئ ينبغي أن تتعدل إلى اعتباره قياسًا حرًّا يؤدِّي دورَه في توحيد النماذج اللغوية بإبداع صيغ جديدة"[٥] ويسهب شاهين في تِبيان

---

(١) من أسرار اللغة ، ص ٤٤.

(٢) في اللهجات العربية، ص١٤٢. ويُنظر من أسرار اللغة ، ص ٤٣.

(٣) من أسرار اللغة ، ص ٤٤.

(٤) السابق، ص ٤٣.

(٥) مشكلات القياس في اللغة العربية، د: عبدالصبور شاهين مجلة عالم الفكر الكويتية مج١، ع٣، ص ٢٠٢.

رأيه، و لم يقتصر فقط على القياس الخاطئ في الكلمات بل على توهم أصالة الحرف كذلك " ربما كان التوهم أوسع أبواب هذا النوع من القياس الإبداعي، فتوهم أصالة الميم من كلمات منطقه ومكحله، ومنديل، ومسكين، ومذهب دعا العرب إلى صوغ أفعال جديدة من هذه الكلمات، فقالوا: تمنطق، وتمكحل، وتمندل، وتمسكن، وتمذهب، وهذا التوهم هو الذي يجعلنا نأخذ الفعل (معجنت الخشب) من كلمة معجون"[١] ويوافق شاهين في القياس على توهم أصالة الحرف رأي عبدالقادر المغربي بقياسية تنمطق وتمكحل إلخ، حين أورد أنّ "علماء اللغة لم يزيدوا في تعليل مخالفة القياس في هذه الكلمات بأكثر من قولهم: توهم أصالة الحرف من دون أن يشيروا إلى أنّ هذا التوهّم قاعدة يصح القياس عليها، أمّا أنا فقد اقتحمتُ العقبة، وجعلتهما قاعدة مقيسة لكثرة الكلمات التي ظفرت بها"[٢]

و بذا يتبين أنّ المتكلم إن خالف القياس، و لم يُطابق الأصول المعتدّ بها، وخالف العرف اللغوي للجماعة اللغوية؛ غير أن له أنموذجًا يحاكيه ويقتدي به، فهو لم يخطئ و لم يلحن و لم يقترف ،عند اللغويين المحدثين، جناية، بل أضحى صاحب السليقة، حينئذٍ، لا يخطئ.

الاستقراء

الاستقراء لغة هو التتبع[٣] وهو " الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته"[٤] ويُفهم من تعريفات النحو أن الاستقراء هو التتبع من أجل الوصول إلى شيء معين قاعدة كانت أم نظرية، وهو نوعان: " أحدهما ناقص والثاني تام. والمقصود بالناقص: إجراء الملاحظة على نموذج مختار من جملة الظواهر المدروسة التي لا حصر لها

---

(١) نفسه ص٢٠٢.

(٢) بين اللغة والنحو ، عبدالقادر المغربي ، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ج٧، ١٩٥٣م، ص ٢٥٨.

(٣) يُنظر لسان العرب مادة (قرا).

(٤) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، القاهرة، دط، دت، ص ١٨

والاكتفاء بالقليل عن الكثير... أما الاستقراء التام: فذلك هو العَدّ والإحصاء كما يحدث عند تَعدادِ سكان البلاد أو عند إحصاء الكلمات الدخيلة في اللغة"[١].

ولأجل أنّ الاستقراء التام للغة عزيز ونادر، وصعب تحققه في الدراسات اللغوية؛ إذ لا يمكن أن يحيط بها إلا نبي[٢] و"لأنه يتطلب معرفة بكلّ الجزئيات، وملاحظة الصفات التي توجد مشتركة بينها جميعًا ثم تعميم الحكم بعد ذلك، وهذا أمرٌ شاقّ لا يكاد يتحقق"[٣] مما جعل تمام حسان يعدّ الاستقراء التام من خصائص العلم غير المضبوط؛ لأنّه معتمد على المعرفة [٤]؛ ومن أجل ذلك عمد اللغويون إلى الاستقراء الناقص أو ما أسماه بيكون (الاستقراء القائم على التعميم) ويصفه بأنه"مجموعة الأساليب والطرق العملية والعقلية التي يستخدمها الباحث في الانتقال من عدد محدود من الحالات الخاصة إلى قانون أو قضية عامة يمكن التحقق من صدقها بتطبيقها على عدد لا بأس به من الحالات الخاصة الأخرى التي تشترك مع الأولى في خصائصها أو صفاتها النوعية"[٥] وعدّ محمد عيد هذا النوع من الاستقراء من قبيل (الاستقراء الفطري) في معرض اعتراضه على نقص استقراء النحاة للغة " لأنّه وسيلة الإنسان الفطريّة للوصول إلى الأحكام السريعة فيما يقابله من شئون حياته العادية، والنتائج التي يتوصل إليها عن طريق (الاستقراء الفطري) نتائج عادية تحتمل الخطأ والشك"[٦]

غير أنّ مما يظهر في كلام بيكون، وحين نطبقه على اللغة، نجد أنّه ينطبق على القياس الاستعمالي عند المتكلم.

ثم إنّ الذي يظهر أنّ محمد عيد غفل عن أن بيكون قسّم الاستقراء الناقص

---

(١) الأصول ، د: تمام حسان، ص ١٦.

(٢) يقول الإمام الشافعي :" ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه." الرسالة ص ٤٢. ويُنظر الصاحبي لابن فارس ، ص٢٦.

(٣) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، د: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ص١٥١.

(٤) يُنظر الأصول، ص ١٦.

(٥) المنطق الحديث ومناهج البحث، د: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، د ت، ص ٥١.

(٦) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، ص ١٥١.

(الاستقراء القائم على التعميم) إلى قسمين: الاستقراء الفطري وهو ما ذكره محمد عيد، والاستقراء العلمي؛ إذ" ليس هذا النوع من الاستقراء إلا امتدادا للاستقراء الفطري، فهو يمر بنفس المراحل الثلاث ...؛ إذ يبدأ الباحث بالملاحظة أو التجربة ثم ينتقل بعملية التعميم إلى قضية عامة يحاول التأكد من صدقها. لكنه يفترق عن النوع الأول بأنه يقوم على أسس واضحة من الملاحظة والتجربة ويستخدم أساليب يعجز الرجل العامي عن فهمها أو استخدامها؛ وبأنه يرمي إلى غرض محدود وهو الكشف عن القوانين العلمية التي تتيح له التنبؤ بعودة الظواهر، كما يساعده على تطبيق هذه القوانين تطبيقًا علميًّا. فالهدف، سواء أكان نظريًّا أم علميًّا مقصود وشعوري"[١]

ويتسم العلم المضبوط كما يذكر تمام حسان[٢] بالموضوعية " والمقصود بها أن يكون التفكير مرتبطًا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هي الفيصل في الحكم على الظواهر "[٣] دون تدخل من الباحث ونظرته الذاتية.

وللموضوعية " دعامتان تقوم عليهما وتتحقق بهما: أولاهما الاستقراء الناقص وثانيتهما صلاحية النتائج للتحقيق والضبط "[٤].

وانطلاقًا مما تقدم يُبَيِّن تمام حسان أنّ علم اللغة " له طابع العلم المضبوط"[٥]؛ لذا اتخذ الاستقراء الناقص سبيلاً لدراسة اللهجات " سواءً أكان هدفه أصوات اللهجة، أم تشكيلها الصوتي، أم صرفها، أم نحوها"[٦].

وعند الاستعانة "بأحد أبناء اللغة الذين يتكلمون بها، وهو الذي يعرف فنيًّا باسم الراوي اللغوي Informant "[٧]، وهي العينة التي يقوم عليها الاستقراء لدراسة

---

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث، ص ٥٥.

(٢) الأصول ، ص ١٦.

(٣) نفسه ص١٦ ، وينظر مدخل إلى علم اللغة ، د: محمد حسن عبدالعزيز، ص ٤٦.

(٤) الأصول ، ص ١٦.

(٥) السابق ، ص٢٣٨.

(٦) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص٢٣.

(٧) أسس علم اللغة، ص ١٢٠.

الظواهر اللغوية في اللهجة المدروسة، ثم ينطلق الدارس للتحقق من اشتراك عدد من الممثلين للهجة المدروسة في الظواهر اللغوية المستخلصة من المادة المستقرأة ، يقول هاريس:" يصبح تحليل عينة لغوية، للذين يهتمون للنتائج اللغوية Linguistic Resuits . مسألة تدعو إلى الاهتمام عندما يكون متماثلاً عَمَليًّا مع التحليلي الذي يمكن الحصول عليه بطريقة مشابهة من أية عينة كبيرة للمادة اللغوية المأخوذة منها اللهجة ذاتها... عندما تكون هذه هي الحالة، إذن يمكن أن تعد العينة التي تم تحليلها أنموذجًا وصفيًا كاملاً للغة... عندما يجد عالم اللغة بأنّ إضافةَ مادةٍ جديدة على عينته اللغوية لا ينتج عنها شيء غير موجود في تحليله الأول، عندها يمكن أن تُعد عيّنة ملائمة ومناسبة".(١)

وما إنْ ينتهِ مستقرئُ اللهجة من التحقُّق من صحة نتائج دراسته واختبارها "حيث تصبح الفروض المختبرة قوانين أو قواعد أو سلوكًا يمكن التنبؤ به."(٢) فحقيق عليه أن يدرك أنّ التباينَ ظاهرةٌ طبيعية بين المتكلمين التوأم في الخصائص الصوتية، فكيف بغيرهم، فإنْ وَجد بعد ملاحظته وتجريبه "شيئًا يختلف عن القاعدة فلا يتسرع باتهامها أو بتخطئة الظاهرة أو المثال المخالف لها، بل عليه أن يبحث عن تفسير لذلك"(٣)؛ لأنّ مَيزة الاستقراء في علم اللغة الحديث كما يبينه محمد عيد أنه "منهج متسامح يقف وراء اللغة لمتابعتها بالملاحظة واستخراج النتائج، وهو يعتبر اللغة في تطور دائم وعليه أن يتطور تبعا لذلك دون تفضيل مرحلة من مراحل اللغة على مرحلة أخرى"(٤)، إذ ليس الهدف من ذلك،عندهم، هو وضع القواعد؛ كيما تشمل جميع الأفراد، بل الهدف هو الوصول إلى تلك القواعد العامة التي تنظم كلام الأفراد وأساليب تخاطبهم.

---

(١) فهم اللغة نحو علم لغة لمرحلة جومسكي، تيرنس موور و كريستين كارلنغ، ترجمة د: حامد حسين الحجاج ، مراجعة د:سلمان داود الواسطي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٩٨م، ص ٤٣.

(٢) مدخل إلى علم اللغة، د: محمد حسن عبدالعزيز، ص٤٥.

(٣) نفسه ص٤٥.

(٤) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، ص ١٥٤.

لقد حل الاستقراء عند أصحاب المنهج الوصفي من اللغويين المحدثين محل القياس العقلي المنطقي؛ لأنّ مستقرئ اللهجة استبدل الحديث عن العلاقات المطردة بين الظواهر اللغوية بالعلل التي تستنتجها المناهج التقليدية للدراسات اللغوية، عن طريق القياس العقلي.

ورفضهم لعنصر العقل قي القياس، ذلك لأنّ عملية القياس معيارية تتمّ عن طريق نماذج لغوية مخزونة في ذهن المتكلم تتحكم فيما ينتجه ذلك المتكلم؛ فيتعذر معه الوصف إلا في جانب وصف العملية التي تحدث القياس؛ لأنّ ذلك يرتبط بنشاط المتكلم[١].

وبرفضهم مبدأ القياس العقلي، كذلك رفض الوصفيون مبدأ العلة، و لم يفكروا بتفسيرها بالأسباب، بل جعلوا مهمتهم في دراساتهم اللغوية واللهجية حينئذٍ الإجابة عن سؤال(كيف)، لا عن سؤال (لماذا)[٢] ، إذ إنّ التعليل المنطقي "لا يصلح وسيلة عملية في اللغة بخاصة وفي الظواهر الاجتماعية بعامة »[٣]، لأنّ منطلق الوصفيين واقعي، في حين أنّ الإجابة عن سؤال لماذا داخل في علم الغيبيات، وهذا ما يطّرحه علم اللغة الحديث من درسه؛ حتى لا يقع الدارس في مزالق الغامض المجهول.[٤]

لذلك بنوا منهجهم على التعليل الوصفي ويُقصد به: "استخلاص ملاحظة استقرائية يُعتقد أنها تفسر الظاهرة اللغوية موضوع البحث، فإذا ما تأكد للباحث أنه يمكن أن يتخذها قاعدةً اتخذها كذلك، ويَصْدُق عليه حينئذ أنّها عِلة صورية توصف بها الأمثلة المستقرأة"[٥].

وبعد الملاحظة والاستقراء يأتي دور التقسيم وهو:"تسمية الأقسام بأسماء معينة يطلق عليها الاصطلاحات الفنية"[٦] ويقوم التقسيم" على إيجاد أوجه الاتفاق

---

(١) يُنظر أصول النحو العربي ، ص٩٦ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٥٠.

(٣) أصول النحو العربي ، ص ١٤١.

(٤) يُنظر مبحث التسوية بين اللغات والمستويات اللغوية ص٢٨.

(٥) أصول النحو العربي ، ص١٤٥.

(٦) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٥٤.

والاختلاف بين المفردات، فما توافق منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[1] ويصحب التقسيمَ تجريدُ الثوابت والتجريد معتمد على متغيرات المفردات، و الثوابت هي "الأفكار العامر أو الأطر الفكرية التي تعبر عنها المتغيرات"[2]

ولأجل أن التقسيم والتجريد تحصل بهما الإفادة، ومن الركائز المهمة في وصف اللهجات، جعلهما تمام حسان أساسَين "لكل نشاط علمي أيًّا كان نوعه"[3]، والمقصود بالتجريد كما ذكره تمام حسان هو" خلق الاصطلاحات التي تدل على الأقسام"[4] و من دون هذين الأساسين (التقسيم والتجريد) "يظل الباحث الذي لا يعتمد على هذين الأساسين تائها في فوضى المفردات المبعثرة »[5].

ويأتي بعد التقسيم والتجريد دور التقعيد وهو أن "ينظر الباحث في أنواع التشابه بين المفردات التي تم استقراؤها فيصفها بعبارة مختصرة ... وليست القاعدة هنا قانونًا يفرضه الباحث على المتكلمين باللغة فمن وافقه كان مُحسنًا ومن خالفه كان مُسيئًا، وإنما هو تعبير عن شيء لاحظه الباحث وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان، فالتقعيد هنا وصفي لا أثر للمعيار فيه"[6]

وتستند النظرية الوصفية في وصفها إلى الاستقراء، الذي يعني وصف اللغة انطلاقًا من ملاحظة القضايا اللغوية وتصنيفها واستخلاص قواعدها[7]

غير أنّ المدرسة التوليدية رفضت اتخاذ الاستقراء منهجًا في دراستها، وذلك "لأنّ هذا الأسلوب ينطلق من الواقع اللغوي إلى النظرية اللسانية. ثم إنّه لم يكن أسلوبًا فعالاً مولدًا وهو لم يشرح الفعالية اللغوية من الداخل، بل يصفها وصفًا خارجيًّا"[8] فقد

---

(١) نفسه ص١٥٤.

(٢) الأصول، ص١٧.

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٤٩.

(٤) نفسه ص١٤٩ .

(٥) نفسه .

(٦) السابق، ص١٥٨.

(٧) يُنظر الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص١٥٨.

(٨) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، ص١٠٩ .

اتخذ تشومسكي منهج الاستنباط في دراسة اللغة عن طريق وضع أنموذجٍ يفسر القضايا اللغوية التي يمكن ملاحظتها وأن يدرس العلاقات القائمة فيما بينها وينطلق الاستنباط من المقدمات المنطقية الأولية والمباشرة والمفترضة صحتها وصوابها للتوصل إلى التحقق من النتائج الحاصلة.(١)

وبناءً على هذا ترى المدرسة التوليدية أنّ "التحليل اللساني يبدأ من هذه الخطوات التالية:

- وضع فرضية لغوية معتمدة على نظرية علمية.
- تطبيق الفرضية اللغوية وتجريبها على مواد لغوية معينة.
- إعادة صياغة الفرضية إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
- تثبيت الفرضية اللغوية في حال مناسبتها للمواد اللغوية."(٢)

ولعل سائلاً يسأل عن الغرض الذي يرومه منظرو دراسة اللهجات المحكية المعاصرة من استقرائها وتتبعها والبحث فيها.

وعند البحث عن إجابة هذا التساؤل، تتراءى أمام الأعين تلك الأطروحات العلمية التي قدمها رواد الدرس اللغوي العربي المعاصر في مصر في أثناء دراستهم في الجامعات الغربية؛ غير أنّ الأمر المحيرِّ حقًّا ،كما يقول عبدالرحمن العارف ،وعلى الرغم من أهمية هذه الأطروحات، "هو أنّ هذه الرسائل والأطاريح العلمية التي قُدِّمت للجامعات الغربية لم ترَ النور حتى يومنا هذا، وأحسب أنها لن تراه مطلقًا"(٣).

و خير من يجيب عن هذا الــتَّسآل السابق، هي تلك الخطة الشاملة لدراسة

---

(١) يُنظر الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص١٥٩.

(٢) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، ص١٠٩ .

(٣) اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، د: عبدالرحمن حسن العارف، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ص٤٤٣. وقد كانت رسالة الدكتوراه لإبراهيم أنيس عن لهجة القاهرة، "والدكتور أيوب أقام رسالة الماجستير عن لهجة الجعفرية، والدكتوراه عن لهجة النوبة، والدكتور تمام كانت رسالته للماجستير عن لهجة الكرنك، والدكتوراه عن لهجة عدن، والدكتور بشر أقام رسالة الدكتوراه عن اللهجة اللبنانية في جانبها النحوي، وكانت رسالة الدكتور السعيد بدوي عن التنغيم في لهجة الرياض"

اللهجات المحكية المعاصرة، التي وضعها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، المكونة" من مبادئ خمسة هي:

أولاً- استقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحيتين الصوتية والدلالية، وتدوين ذلك في معاجم وأطالس.

ثانيا- إتاحة الفرصة لبعض المتخصصين في الدراسات اللغوية والصوتية للقيام برحلات إلى البلدان العربية، وتسجيل نماذج من لهجاتهم الحديثة في جانبها المحلي والطَّبَقي.

ثالثا- القيام بعد ذلك بدراسة صوتية مقارنة بين هذه اللهجات؛ للكشف عن مدى ارتباط هذه اللهجات الحديثة باللهجات القديمة.

رابعا- استقراء الروايات التي وردت عن اللهجات القديمة في كتب اللغة والأدب، والنحو، والتأريخ.

خامسا- الاستعانة بالمتخصصين في التأريخ الإسلامي؛ لبحث هجرة القبائل العربية وتنقلها في العصور المختلفة."[1]

وحيث إنّ تطبيقَ المسائل اللغوية على اللغة العربية النموذجية أمرٌ متعذر؛ لافتقاده لعنصر المشافهة، فإنّ دراسة اللهجات المحكية المعاصرة واستقراءها، في علم اللغة الحديث، تحقق تدريبًا عَمَليًّا للباحث والدارس اللغوي على الطريقة المثلى في البحث العلمي.

النموذج والطراز

أخذ بناء التصور حول اللغة مجالاً كبيرًا من جهد العلماء والدارسين، أيًّا كانت اتجاهاتهم، ومَرَدّ هذا التصور حول حقيقة اللغة الاستعمالية، والتواصلية بين أفراد المجتمع.

(١) السابق، ص ٤٣٦. ويُنظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٧، ١٩٥٣م، ص ٣١٦-٣١٨.

وكون أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، لها عمومية، وقوة جبرية على أفراد المجتمع، ولا يَسَعُ أيّ فرد ،حينئذٍ، أن يخالف، أو يحاول الخروج عمّا يرسمه المجتمع من معايير عُرفية للغة المستعملة، ومن ثَمّ فلها نماذج وأنماط تظهر في صورة واحدة إلى حد ما فترة طويلة من الزمن، وهذا يتفق كثيرًا مع ما يقوله سايبر:"كلّ سلوك ثقافي فهو سلوك ذو نماذج"[١] وعلى هذا فتحليل نماذج لغة ما، إنما هو تحليل لحقائق اجتماعية، إذ يرى اللغويون المحدثون "أنّ علم اللغة لا يدرس مجموعات ضخمة من السياقات الصوتية، بل يدرس نظامًا من الأعراف الاجتماعية. وأنّ المرء ليحاول أنْ يحدد عناصر التأليف وقواعده التي تشكل ذلك النظام، والتي تجعل الاتصال اللغوي بين أفراد المجتمع ممكنًا. ومن فضائل نظرية سوسير في اللغة أنها وضعت الأعراف والوقائع الاجتماعية في قلب الحدث اللغوي"[٢].

ولأجل معرفة تلك القواعد التي تشكل النظام اللغوي، يعكف العلماء والباحثون اللغويون على استقراء ووصف اللغات واللهجات من مثالٍ تجتمع فيه صفات معينة، يمثّل المادة المدروسة تمثيلاً حقيقيًّا؛ كي تُستخلص من كلامه القوانين والأنظمة التي تخضع لها لغته ولهجته، وكي تُتخذ تلك القوانين قاعدة توصف بها الأمثلة المستقرأة، أو تكون مثالاً يُحتذى ويُتعلّم، تعيد إنتاج الواقع افتراضيًّا كما هو عند النحويين.

والمثال يُقصد به ما" اجتمعت فيه صفات معينة كأنه خلاصة مركزة لها"[٣]؛ ويجعل ذوو المنهج الوصفي المثالَ في اللغة المدروسة نموذجًا وعينةً لظاهرة كبيرة يصعب استقراؤها استقراءً تامًّا، وليكون تطبيقًا علميًّا " للمبدأ القائل : إن جزءَ الشيء يحمل صفات الشيء في جوهره، فالطبيب قد يطلب إلى المريض أن يحلل دمه، ولا يمكن للإنسان أن يتبرع بدمه كاملاً من أجل تحليل طبيّ لأنه سيموت، لهذا يكتفي فني المختبر بأخذ عينة من دم المريض على شكل قطرة أو قطرات، ثم يقوم بتحليلها،

---

(١) نقلاً عن اللغة بين المعيارية والوصفية، ص١٧١.

(٢) فرديناند دى سوسير (أصول اللسانيات الحديثة والعلامات) ص ١١١.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٣٣١.

وكتابة تقرير بالنتيجة إلى الطبيب الذي لا يتوانى عن تعميم النتيجة؛ لأنّ هذا الجزءَ دالٌّ على الكل بالضرورة"[١]؛ ولأجل ذا اتخذ أصحاب المنهج الوصفي الراوي اللغوي نموذجًا للمادة اللغوية وللهجة المدروسة، لاستخلاص النتائج، والتحقق من صدقها بعدئذٍ، وقد يتحول عند المعياريين مع مرور الزمن شاهدًا يُستدل به.[٢]

النموذج نظير الشيء ومثيله، وهو الصورة التي تمثُل في ذهن المتكلم، ويحتذيها في تأليفه للكلام، أو قد يراد بذلك النموذج المجسم "التدليل على أنّ عددًا كبيرًا من الناس يتصفون"[٣] بتلك الصفات التي يحملها النموذج.

وفي ظل رفض الوصفيين للمعيارية والنمذجة في اللغة، ورفعهم شعار "أنّ علم اللغة يجب أن يكون وصفيًّا وليس توجيهيًّا"[٤] إلا أنّ عبدالسلام المسدي يتساءل : "كيف السبيل إلى أن نتفاهم بواسطة اللغة لو لم يستقر أمرها على معيار يرضخ له الاستعمال ؟. فإن جعلنا الاستعمال قيِّمًا على المعيار أفلا ينتفي مبدأ الانتظام المطرد داخل جهاز اللغة؟."[٥]، فلا يمكن حينئذٍ إلا أن يكون هناك معيارٌ يُحتَكَم إليه، ومقياس يُعتمد عليه في البيئة اللغوية المراد دراسة لهجتها، يلجأ إليه المتكلم أو الباحث اللغوي " كنموذج يصلح للاحتذاء"[٦]، فإمّا أن يكون نموذجًا يحتذيه المتكلم، وإمّا أن يكون نموذجًا يمثل البيئة اللغوية الذي يتخذه الباحث في اللهجة المراد دراستها .

ويظهر احتذاء الإنسان العادي لنموذج يراعي أنظمته وقوانينه في كلامه و"مع ما يتطلبه العرف اللغوي للجماعة التي ينتمي إليها المتكلم"[٧].

---

(١) التفكير العلمي في النحو العربي...، ص ٢١.

(٢) يُنظر ص ١١٨.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٤٢٠.

(٤) علم اللغة الاجتماعي، د: هدسون، ص٢٩٦.

(٥) مباحث تأسيسة في اللسانيات، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص١١٧.

(٦) علم اللغة الاجتماعي، ص ١٥٧.

(٧) اللغة بين الفرد والمجتمع ، ص١٣٣، ويُنظر معيار الصواب اللغوي والنماذج التي يقتفي أثرها المتكلم في كلامه ، ص ٦٦.

وأما النموذج الذي يتخذه الباحث في اللهجة المراد دراستها ، فإنّ البحث يرى مختارًا أنّ الراوي اللغوي[1] الذي يتخذه أصحاب المنهج الوصفي هو النموذج للهجة، والممثل الحقيقي والناقل الصادق لها، مع ضرورة تحديد البيئة اللغوية، والبيئة الزمانية والمكانية قبل ذلك.

يبين خليل عساكر صفات هذا النموذج الذي يتخذه الباحث في اللهجة المراد دراستها، حيث من الواجب " أن يكون من صميم أبناء البلدة التي يعيش فيها، وألا يكون قد نزح عنها إلى بلادٍ غيرِها ثم عاد إليها وذلك لكيلا تتأثَّر لهجته الخاصة بمؤثرات خارجية[2]، وأن يكون صريحًا صادقًا مخلصًا في الإجابة على ما يوجه إليه من أسئلة لا يداور السائل ولا يطوي عنه شيئًا، وأن تكون مخارج حروفه سليمة ما أمكن، وأن يكون تام القدرة على فهم السؤال والتعبير عن نفسه وعلى إدراك المراد إدراك يقظ خبير فطن"[3].

يزيد تمام حسان على هذه الصفات باستحسان أن يكون النموذج المختار للدراسة " أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، حتى لا تؤثر العوامل الثقافية في تمثيله الصحيح لهذه اللهجة"[4]؛ إلا أنّ محمد حسن عبدالعزيز، حينما أورد كلام تمام حسان عقّب بأنّ "هذه الشروط غير ضرورية، وأنّ هدف اللغوي أن يدرس اللغة كما ينطقها أفراد الجماعة اللغوية، كما يدرس أيضًا العوامل المؤثرة في تنوع سلوكهم اللغوي، ويحاول

---

(١) هذا ما أطلقه عليه ماريوباي في أسس علم اللغة ص ١٢٠، وكذلك خليل عساكر في الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربي في القاهرة ج٧، ص٣٨٣، ويُفهم من كلام أوتو جسبرسن في اللغة بين الفرد والمجتمع أنه يسميه (الملقن) وإليه أشار عبدالرحمن أيوب في الحاشية، ص٨٩. ويطلق براجشتراسر عليه (راوي اللهجة) كما نقل ذلك رمضان عبدالتواب في المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص ١٦١. ويطلق عليه تمام حسان (مساعد الباحث) مناهج البحث في اللغة، ص٧٦ وفي اللغة بين المعيارية والوصفية ص١٥٣. ويسميه كمال بشر (مساعد البحث) دراسات في علم اللغة، ص٥٥. وأطلق عليه عبالرحمن العارف (المُخبر اللغوي) ص٤٤٦. وذكر العارف نقلا من " نحو مدخل عملي لدراسة اللهجات المعاصرة" أنه يُسمى في أوربا وأمريكا (النموذج) وعليه الاختيار.

(٢) يُنظر مبحث السليقة اللغوية ص١٢٦.

(٣) الأطلس اللغوي، خليل عساكر، مجلة مجمع اللغة العربي في القاهرة ج٧، ص٣٨٣.

(٤) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٥٣.

ما استطاع أن يرد هذه الفروق إلى عواملها الصحيحة، ومن هذا المنطق يصبح من الضروري أن يكون الراوي ممثلاً بكل خصائصها اللغوية والاجتماعية"[١]

ويزيد محمد حسن عبدالعزيز على ذلك بألاّ يكون لدى الراوي تصور عن علم اللغة، كما أنّ الأسئلة التي تطرح على الراوي ينبغي ألاّ تكون الأسئلة مباشرة محددة المقصود، وتضم مثالاً للمشكلة المدروسة؛ حتى لا تثير انتباه الراوي، ولربما " أدّى ذلك إلى أن تكون النتائج متحيزة"[٢]، كما أن على الباحث، في نظر محمد حسن عبدالعزيز، أن يختبر حدس الراوي بصحة وقبول جُمَلٍ واضحة جدًا، وتبيان موقفه منها.[٣]

والناظر فيما تقدم يدرك مدى التقارب في الأسس المنهجية بين منهج الوصفيين والدراسات اللغوية العربية القديمة؛ إذ ثبتت عندهم تلك الأسس من خلال المروي من اللغة والأثر الذي ترتب على ذلك المروي.

وتفترض المدرسة التوليدية لبناء أنموذج وجود متكلم ومستمع مثاليين يستطيعان إنتاج الجمل وفهمها فهمًا صحيحًا، وباستطاعتهما الأحكام على أصولية الجمل وصحتها وقبولها.[٤]

وهذا ما دعا ميشال زكريا إلى أن يعتمد في دراسته للغة العربية على نتاج النحويين العرب، وعلى الحدس اللغوي عند متكلم اللغة.[٥]

لكنّ ميشال زكريا حين يلجأ إلى الحدس يرى أنّ " الإنسان الذي اكتسب لغة ما، قادر على أن ينتج جملها وأن يتفهمها. وهو أيضًا قادر على أن يحكم من خلال حدسه اللغوي على أصولية هذه الجمل ."[٦] وعند دراسته للغة العربية لتعذر المشافهة يلجأ إلى الأشخاص "الذين يمتلكون كفاية لغوية عربية جيِّدة عبر تخصصهم اللغوي

---

(١) مدخل إلى علم اللغة، ص ٣٦.

(٢) السابق، ص٣٧.

(٣) يُنظر السابق، ص ٣٦-٣٧.

(٤) يُنظر مبحث معيار الصواب اللغوي، ص٧٠.

(٥) يُنظر الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص ٢٠.

(٦) نفسه ص٢٠.

وعبر ممارستهم التأليف وذلك اعتقادا منا أن الكفاية اللغوية التي يمتلكها هؤلاء الأشخاص الذين كتبوا باللغة العربية تقوم بصورة، أفضل، مقام مؤلفاتهم."[1]

ومن هنا يظهر أنّ كلا المدرستين الوصفية والتوليدية قد ربطتا مفهوم النموذج بأشخاص يمثلون اللغة المدروسة خير تمثيل؛ حتى يُستخرج ويُستنبط من كلامهم ما يكون،إلى حدٍ ما لا يُستهان به، مشتركًا ومستقرًا لدى المتكلمين، ويحظى بإجماعهم.

(١) نفسه ص٢٠.

الفصل الثاني :

مظاهر تقعيد اللهجات المحكية

من خلال الحديث عن

- المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام .
- المبحث الثاني: إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن .
- المبحث الثالث: تمثيل الكلام بين الرسم والنطق.

في خضم الدراسات اللغوية الحديثة منذ نشأتها على يد سوسير وحتى عصرنا الحاضر، يجدر بنا القول : إنّ مجمل القضايا والآراء والاجتهادات الخاصة، تشكل معالم نظرية لغوية، تتسم بالعلمية والموضوعية، على أنّه لا يمكن أن تتسم بالنظرية الجامعة؛ إذ لم تكن محط إجماع على اختلاف وتطورات مدارسها.

ثم إنّ كون اللهجات المحكية المعاصرة تمثل لغة الواقع الحي، اُتخذت ، عندئذٍ، مجالاً للدراسة العلمية وفق مناهج البحث اللغوي الحديثة، باختلاف مدارسها.

وليس من صميم البحثِ البحثُ بتلك الممارسات لبناء قواعد للعامية كتلك التي بُثت في مجلة المقتطف[1]؛ غير أن مما يرى البحث أن الدراسات اللغوية في العالم العربي أخذت جاهدة في دراسة اللهجات وأنّ أبرز الممارسات الإجرائية من مظاهر التقعيد للعامية واللهجات المحكية فيما يظهر في تلك الدراسات اللغوية تتلخّص فيما يلي:-

- نظرية أفعال الكلام.
- إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن.
- تمثيل الكلام بين الرسم والنطق.

نظرية أفعال الكلام

أول من أطلق مصطلح نظرية أفعال الكلام هو أوستن في كتابه كيف تفعل الأشياء بالكلمات ثم تبعه جون سيرل في تطويرها.

وتقوم هذه النظرية على النظر إلى اللغة على أنها "أداء أعمال مختلفة في آن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحاً ما، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر"[2]

---

(١) يُنظر القضايا اللغوية في مجلة المقتطف، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٢) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، د: محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص٣٤.

ويتبين من ذلك أنّ وظيفة اللغة أساسًا عند أصحاب نظرية الفعل الكلامي ليست إيصال معلومة، أو تعبيرًا عن فكرة فقط، بل إنها تتكفل بتحويل الأقوال في سياقها إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية.

ومرد نظرية الفعل الكلامي وفحواه كما يقول مسعود صحراوي أنّ الفعل الكلامي:"كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلاً عن ذلك يُعد نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسل بأفعال قولية ...إلى تحقيق أغراض إنجازية... (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...الخ) وغايات تأثيرية... تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيريًّا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب، اجتماعيًّا أو مؤسساتيًّا، ومن ثَمّ إنجاز شيء ما"[١].

وعلى أن اللغة عند أوستين لا تصف العالم ولا تقرر حقيقة، إنما تنجز فعلاً وتوقع عملاً[٢]؛ لذلك قدّم وميّز بين نوعين من المنطوقات والأفعال:

المنطوقات التقريرية : وهي منطوقات تخبر عن وقائع العالم الخارجي.

المنطوقات الأدائية: وهذا النوع ينجز أو يؤدى بها أفعال.[٣]

غير أن أوستين تبين له بعدئذٍ أن " لكل منطوق ـــ بما في ذلك المنطوقات التقريرية أو العبارات ـــ بُعدًا أدائيًّا"[٤] فراح يقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الفعل التعبيري، وهو "فعل القول أو الفعل اللغوي ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة "[٥] وعلى هذا فهو ينقسم إلى أقسام المستويات اللغوية المعروفة:

(أ): الفعل (المستوى) الصوتي.

---

(١) التداولية عند العلماء العرب...،ص ٥٤ .

(٢) يُنظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د: محمد أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـــ، ص٦٤.

(٣) يُنظر التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبدالحق، دار التنوير، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م، ص١٣٧٣-١٣٨. وكذلك يُنظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٦٤.

(٤) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص ١٨٢.

(٥) التداولية عند العلماء العرب...، ص٥٥.

(ب): الفعل (المستوى) الصرفي النحوي.

(ج): الفعل (المستوى) الدلالي.

ثانيًا : الفعل الغرضي. وهو " الفعل المتضمن في القول ، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل يُنجز بقول ما ، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها"[١]

ثالثًا: الفعل التأثيري. وهو "الفعل الناتج عن القول، وهو مجموع الآثار المترتبة عن الفعل السابق."[٢]

وجاء سيرل ليكمل ما بدأه أستاذه أوستين لكنه طوّر النظرة الثلاثية لأفعال الكلام وجعلها في أربعة أقسام، حيث أبقى منها الغرضي الإنجازي والتأثيري، وجعل الأول الفعل التعبيري في "قسمين:

أحدهما: الفعل النطقي : وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والثاني: الفعل القضوي: وهو يشمل المتحدَّث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر"[٣] على أنه قد قسم الأفعال الغرضية إلى أقسام خمسة[٤]، ومع ذلك لم يُعِر الفعل التأثيري أيّ اهتمام [٥].

ومن جملة ما طوّر به سيرل نظرية الفعل الكلامي ما ذكره محمود نحلة أن سيرل يرى "أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي"[٦]، وكذا ذكر صاحب دلالة السياق[٧] إلى أن فوندرليش اهتم

---

(١) السابق، ص ٥٦.

(٢) السابق، ص ٥٧. ويُنظر التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص ١٨٢-٢٠٦.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٧٤.

(٤) يُنظر التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص ٢٣٢-٢٣٨.

(٥) يُنظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٧٥.

(٦) السابق ص٧٦.

(٧) هو الدكتور عبدالعزيز بن ردة بن ضيف الله الطلحي، كان اسمه ردة الله ، وهو المرقوم في طبعة كتابه (دلالة السياق) من مطبوعات جامعة أم القرى ، في طبعته الأولى، عام ١٤٣٤هـ، ولربما يتغير الاسم في طبعات لاحقة، فليُتنبه.

بتحليلات أوستين وسيرل، وزاد اهتمامه "بناحية المستمع أو المتلقي في الحدث الكلامي وأشار بعناية إلى أن على المستمع أو المتلقي أن يتبع قواعد محددة للتلقي من حيث مراعاته للموقف أو للعرف الاجتماعي الذي تفرضه الجماعة"[١]. لذلك تبوَّأ العرف اللغوي والاجتماعي بعدئذٍ مُبَوَّأً هامًّا عند أصحاب نظرية الفعل الكلامي[٢]

إنّ أهم ما يمكن أن نفيده من هذه النظرية هو أنها تدرس اللغة العادية كما يتكلمها الناس، وهذا هو واقع اللهجات المحكية المعاصرة في البلاد العربية؛ إذ لا يمكن أن تكون لغة مثاقفة، ولا لغة أدب يبلغ الآفاق غير ما بلغه في محيطه المحلي.

و بحكم أنّ اللهجة لغة الواقع الحي تتكئ على الموقف والمقام والسياق في" عملية المحادثة بين المتكلم والمستمع لتعبِّر عن العلاقات القائمة بين الجمل المنطوقة."[٣] فإنّ دراسة سياق اللغة المنطوقة ومقامها يُعد مصدر ثراء، يُعوض النقص الكمي الذي أصابها بسبب العدول عن الأصل في اللغة النموذجية، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يهبها القدرة على تبيان غرض المتكلم ومراده، ويوجه المعنى حسب وقائع الكلمات في سياقاتها؛ لأنّ اطّراح السياق من الحدث الكلامي الذي قيل فيه كما يُشير مهدي عرار "مدعاة إلى خلق اللبس والاحتمال"[٤]؛ لذا كان على دارس اللغة ،كما يبين جون لايتر، أن يحسب "حسابًا لحقيقة أنّ الجمل تنطق ضمن سياقات معينة، وأنّ جزءًا من محصلة معنى نقش الكلام يستمد من السياق الذي ينتج فيه"[٥]

ومن هنا كانت نظرية أفعال الكلام مبنية أساسًا كما يقول الطلحي: " على مقولة مالينوفسكي"[٦]: "إنّ اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر"[٧] وهي نظرية

---

(١) دلالة السياق، ص ٢٣١.

(٢) يُنظر مبحث معيار الصواب اللغوي، ص٦٩.

(٣) دراسات لسانية تطبيقية، ص٨٠.

(٤) ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصل، ص٧٢.

(٥) اللغة والمعنى والسياق، ص٢٠٠.

(٦) دلالة السياق، ص٢٣٣.

(٧) علم الدلالة (إطار جديد) ف.ر.بالمر، ترجمة د: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، ١٩٩٥م، ص ٢١٢.

سياقية، وارتكز على ذات النظرية القائلون بإلغاء الإعراب، وذلك حينما جعل إبراهيم أنيس أنّ مما يحدد معاني الفاعلية والمفعولية بعد نظام الجملة "ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات"[1].

ولعل سائلاً يسأل ما علاقة هذه النظرية بمظاهر التقعيد للهجات المحكية في علم اللغة الحديث؟.

ولعل الإجابة عن هذا التّسآل أنّ هذه النظرية تبحث في لغة استعمال الواقع الحيّ، وخير ما يمثل لغة الواقع الحي في العالم العربي هي اللهجات المحكية المعاصرة.

ثم "إنّ فحوى القول في نظرية أفعال الكلام يتمحور في الخبر والإنشاء وعلاقتهما بالخارج على نحو يشبه إلى حد ما قضايا الخبر والإنشاء في البلاغة العربية، ومطابقة الخبر للخارج فيكون صدقًا أو مخالفته له فيكون كذبًا، أو عدم علاقته بالخارج ابتداء وهو الإنشاء."[2] وإن أظهرت اللهجات المحكية المعاصرة بعض ظواهر الإعراب، إلا أن ظواهر لغوية أخرى " من نفي وإثبات ، وإنشاء وإخبار وتعجب واستفهام"[3] هي مدار التواصل فيه بين المتكلمين.

ثم إنّ كون هذه النظرية هي أساس التداولية ، واللغة كما تبين سابقا مستويات ثلاث:

مستوى إبداعي إثرائي، ومستوى تداولي، ومستوى تواصلي، فحينئذٍ إلى أي مستوى تصنف اللهجات المحكية المعاصرة؟

المستوى التداولي فيما يظهر هو ذلك الذي لا يحتاج إلى كثير مما يوجد في مظان الكتب النحوية من قواعد فرعية وخلافات، وليست بحاجة إلى توظيف ما يخالف القياس المطرد.

أما المستوى التواصلي فيما يظهر فهو ذلك الذي لا يزيد عن وصف الوقائع؛ لأنّ المتكلم يعمد في منطوقه على مبدأ الاقتصاد اللغوي، والسعي في بذل أقل جهد ممكن

---

(١) من أسرار اللغة، ص ٢٤٣.

(٢) دلالة السياق، ص٢٣٢.

(٣) من أسرار اللغة، ص ١٩٨.

في الكلام، لأن اللغة المنطوقة " تقتصر على الاهتمام بإبراز رءوس الفكرة، فهي وحدها التي تطفو وتسود الجملة"[١]

ومن ثَمّ يتضح أنّ الأفعال الكلامية لا تتم إلا بأسس معروفة ومُسلَّم بها عند المشاركين في عملية الاتصال الكلامي، وبذا لا يمكن أن تتم عملية التكلم سواء كانت جملة أم عدة جمل إلا بشفرة من نظام العلامات اللغوي، مستندة إلى سياق لغوي وآخر غير لغوي؛ لتكون اللغة حينئذٍ نظامًا للاتصال يربطه نظام للفعل، يتشكل منهما نموذج الواقع في نصوص منطوقة أو مكتوبة يجذبها علم اللغة النصي ، بعدئذٍ، إليه.[٢]

إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن

الغاية من اللغة إنما هي للإفادة وتبيان المعاني، وعدم الإلباس جزء من إيصال المعنى، فإذا ما تحقق ذلك تحقق معه التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع اللغوي الحاصل من ارتباط صورةٍ سمعية بصورة ذهنية عرفية في ذهن المتلقي والمتكلم في آنٍ معًا.

والباحث اللغوي حين يقسم ويصنف الأنظمة للغةٍ ما، يبدأ في خلق الاصطلاحات التي تدل على الأقسام كي "يكون المعنى وظيفة المبنى، ويكون المبنى عنوانًا تندرج تحته العلامة"[٣]، وبذا يخرج المعنى الوظيفي "الذي تكشف عنه المباني التحليلية"[٤].

يهدف الإعراب إلى تِبيان المعاني كما جاء في غالب الكتب اللغوية والنحوية،

---

(١) اللغة، ص ١٩٤.

(٢) يُنظر ، أساسيات علم لغة النص، كلماير وآخرون، ترجمة، د: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٤٨-٥١.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٩.

(٤) نفسه ص٣٩ .

وهو مُؤدّى معنى كلمة إعراب كما جاء في اللسان[1]وكذا جَعَل ابن جني أنّ الإعراب الدالّ على المعنى هو "الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت : أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيدًا أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان شرجًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[2]

فحين يربط المتكلم كلمة بأخرى؛ لتتشكل منهما حينئذ جملة ونصٌّ، رأى أنّ التوزيع الوظيفي للألفاظ ربما يبهم المعنى عن المخاطب؛ لذا لجأ إلى "أن يُمَيّز عملَ كلّ لفظة بنهاية صوتية معينة، وكانت له بذلك حرية واسعة جدًا في أن يرتِّب هذه الألفاظ داخل الجملة كما يشاء. فاللفظ ما دام يحمل العلامة المميزة لمهمته، يجوز فيه التقديم والتأخير بل يمكن أن يُحذف من الجملة إذا بقي فيها ما يدل عليه ويجعله مفهومًا من السياق"[3]

وكذا يبين الزجاجي معنى الإعراب، وسببَ تسمية تلك النهاية الصوتية بهذا الاسم، فيقول: "الإعراب أصله البيان. يُقال أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها ورجل معرب أي مبين عن نفسه ومنه الحديث .. الثيب تعرب عن نفسها .. هذا أصله ثُمّ إنّ النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركاتٍ تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعرابًا. أي بيانًا. وكأن البيان بها يكون. كما يسمي الشيء باسم الشيء إذا كان يشبهه أو مجاورًا له"[4] .

أخذت قضية الإعراب اهتمامًا في الدراسات اللغوية الحديثة، منها ما هو متصل بآراء قديمة، ومنها ما هو محاولة للتجديد فيها، واختلاف الدراسات والآراء حولها نابع من اختلاف المفهوم نحو قضية الإعراب.

وحفلت هذه القضية ،بعدئذ، بدراساتٍ متعددة حاولت استقصاءها بكل

---

(١) لسان العرب، مادة عرب .

(٢) الخصائص، ج١، ص٣٥.

(٣) اللسان والإنسان، ص ١٠٩.

(٤) الإيضاح في علل النحو، ص ٩١.

أبعادها، محاولة الإجابة عن التساؤلات التي طرأت حولها[1].

وليس من مهام هذا البحث أن يسرد تلك الآراء التي ألقت بظلالها حول ظاهرة الإعراب منذ القدم؛ غير أنّ المهم هو ما يدور حول العلاقة بين إلغاء ظاهرة الإعراب ودراسة اللهجات المحكية المعاصرة.

فقد أخذت هذه الدعوة رِفدَها من آثار الدعوة إلى استعمال العامية؛ لأنّ استعمالها في المحافل الأدبية والمناشط العلمية ،كما يرى الداعون لها، سبيلُ التقدم والرّقي، أمّا الركون إلى العربية الفصحى، وعدم الخروج عن سياجها، والاحتكام إلى قيودها الإعرابية "لا يتلاءم والحضارة"[2] ، كما يرى أنيس فريحة، وكذلك يرى فريحة أنّ "الإعراب في أية لغة بَقِيَّةٌ من البداوة"[3].

ومن ثَمّ يخلص أنيس فريحة ،كما نقل ذلك أحمد سليمان ياقوت، إلى أن "الإعراب عقبة في سبيل التفكير، ذلك مما لا شك فيه، وسقوطه من اللهجة المحلية خطوة هامة نحو تيسير الكلام حتى يصبح الكلام طريقًا ممهدًّا للفكر. كما كان Spir يسمي اللغة في محاضراته علينا Thought goyes أي أخاديد لمجرى الفكر . فإنني لم ألحظ مصريًّا أو عراقيًّا أو سوريًّا تردد أو تلعثم أو توقف عن الكلام هُنيهة ليرى أنْ إذا كانت هذه الكلمة بضمة في آخرها أو فتحة أو كسرة أو إذا كانت حركة البناء واحدة أو مثنَّاة أو إذا كانت (على سبيل المثال) مساجدُ أو مساجدٌ أو مساجدَ أو مساجدًا أو مساجدٍ. جميع هذه الاعتبارات سقطت من لغة الكلام لأنها ليست

---

(١) من مثل تلك الدراسات: رسالة (اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين) للباحث خالد بن صالح الحجيلان، وكتاب (الإعراب سمة العربية الفصحى)، د: محمد إبراهيم البنا، و كتاب (دراسات في الإعراب)، د:عبدالهادي الفضلي، و كتاب (دفاع عن القرآن أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية)، د: محمد حسن جبل، و كتاب (دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء)، د: بتول قاسم ناصر، وكتاب (ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم)، د: أحمد سليمان ياقوت، وكتاب (العربية والإعراب)، د: عبدالسلام المسدي، وكتاب (العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث)، د: محمد حماسة عبداللطيف. وغيرها من البحوث المحكمة .

(٢) اللهجات وأسلوب دراستها، ص ١٠٢.

(٣) نفسه ص١٠٢.

ضرورية للفهم أو الإفهام. الكلمة هي (مساجد) ويفهمها كل عربي سواء أكانت معربة أم غير معربة، منونة أم غير منونة"[١] .

ومردّ هذا الرأي لأنيس فريحة ومن سبقه وشايعه إنما هو إيمانهم بنظرية داروين (النشوء والارتقاء)، التي تذهب إلى أنّ الفصحى مصيرها إلى الفناء، شأنها شأن اللغات اللاتينية، وأنّ البقاء للأصلح[٢] وأنّ اللغة كائن حيٌّ، يخضع لنواميس الطبيعة، وهي في شأنها شأن كلّ ظاهرة طبيعية، تتبع في مسيرتها الطرق والجهات التي تجد فيها مقاومة أقل، مع ميلها إلى الاقتصاد، واتخاذها مسالك اليسر والسهولة، ونبذ التعقيد والصعوبة، ولن "تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء الطبيعيين"[٣] وما فقدان الإعراب من اللهجات المحكية المعاصرة، وإسقاطه فيها، إلا تطور في نظر ذوي الفكر الداروينى، ومسايرة ونمو مع الحياة.[٤]

ثم يخلص أنيس فريحة في كتابه اللهجات وأسلوب دراستها، متماشيًا مع الفكر الداروينى إلى أنّ ميزة الإعراب من ميزات اللغات القديمة؛ غير أنّ هذه اللغات أسقطت كثيرًا من ظواهر الإعراب، وما أبقته فليس هذا دليل بقاء وتقدم،" إنما هو دليل على الرجعية في اللغة"[٥]، ثم يقرر أن لو كان الإعراب "ضرورة للفهم والإفهام لبقي ولحافظت عليه جميع اللغات التي كانت معربة، ولكن لكونه غير ضروري سقط"[٦].

لكنّ الحقَّ الذي لا مراء فيه أنّ الإعراب يساعدك ويعطيك الحرية في بناء الجملة من حيث اختيار المواضع للألفاظ " فاللفظ ما دام يحمل العلامة المميزة لمهمته، يجوز

---

(١) ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، د: أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط ، ١٩٩٤م، ص٣٧.

(٢) يُنظر اللغة بين القومية والعالمية ، ص ٢٨٠-٢٨١. ويُنظر مشكلات اللغة العربيةص ٥-٨.

(٣) اللغة والمجتمع، علي عبدالواحد وافي، ص٧٧.

(٤) يُنظر اللهجات وأسلوب دراستها، ص ١٠٢- ١٠٥.

(٥) السابق، ص ١٠٤.

(٦) نفسه.

فيه التقديم والتأخير "[1] إلا أنّ فقدان الإعراب في اللهجات المحكية استلزم التعويضَ عنه، وذلك بتغيير التركيب، والتزام بناء واحدٍ " فإنّ جملة : (ضرب محمد عليًّا) مثلاً، أصبحت في اللهجات الحديثة: (محمد ضرب علي) ، بتقديم الفاعل، والتثنية بالفعل، ثم الإتيان بالمفعول به"[2].

وينقل رمضان عبدالتواب آراء فئامٍ من المستشرقين من ذوي النوايا المشبوهة الذين تلقفوا رأي قطرب في الإعراب، وراحُوا يشككون في اللغة العربية(النموذجية) وفي أهم خصائصها الذي هو الإعراب.

فمن أولئك كارل فوللرز الذي رأى أنّ النص الأصلي للقرآن الكريم كُتب بإحدى اللهجات الشعبية، ثم نُقل إلى اللغة الأدبية الفصيحة؛ لأنّ هذه اللغة لم تكن موجودة أيام نزول القرآن الكريم، وتابعه في هذا الرأي باول كاله الذي شكك في أن تكون لغة القرآن تمثل اللغة الموحدة.[3]

وينقل صبحي الصالح رأي كوهين حول ظاهرة الإعراب حيث إنه "لا ينكر وجود الإعراب في اللغة المثالية الأدبية: لغة الشعر والخطابة في الجاهلية والإسلام، ولكنّه يستبعد مراعاتها في لهجات الحديث بين عرب الجاهلية، ويقيم رأيه على ملاحظتين فاسدتين: أما أحدهما فهي تشعُّب هذه الضوابط الإعرابية ودقتها إلى درجة يتعذر تطبيقها؛ وأما الثانية فهي تجرد جميع اللهجات العامية الحديثة المتفرعة من العربية من آثار الإعراب وقوانينه".[4] وهذا ما يُفهم من رأي إبراهيم أنيس.

ومقابل هذا الموقف نرى موقفًا علميًّا لمستشرقين منصفين، نظروا إلى المسألة نظرة علمية بعيدة عن النزعات المغرضة، من هؤلاء نولدكه الذي أكد "أنه من الخطأ الشنيع الاعتقاد أن اللغة الحية في عهد النبي محمد ﷺ لم يكن فيها إعراب؛ فإنّ العلماء في عصر هارون الرشيد، قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو. ولكنّ ظاهرة الوقف

---

(١) اللسان والإنسان، ص ١٠٩.

(٢) فصول في فقه العربية، ص٣٩٥. ويُنظر اللهجات وأسلوب دراستها، ص ٩٥.

(٣) يُنظر فصول في فقه العربية، ص٣٧٧-٣٨٠.

(٤) دراسات في فقه اللغة، ص ١٢٤.

الشائعة كثيرًا في الحديث اليومي، قد عودت الأذن على سماع الصيغ الخالية من الإعراب، فاستطاع الشعراء استخدامها، عند اتصال الكلام كذلك"[١].

ويرى برجستراسر أنّ الإعراب ظاهرة تشمل اللغات التي تكلمت بها شعوب الجزيرة فهو:" ساميّ الأصل، تشترك فيه اللغة الأكادية، وفي بعضه الحبشية، ونجد آثارًا منه في غيرها أيضًا"[٢].

ويرى يوهان فك أن العربية الفصحى احتفظت بسمة تُعَدّ من أقدم السمات اللغوية ألا وهي سمة الإعراب التي تدل على أصالة هذه اللغة لاحتفاظها بسمةٍ فَقَدَها أخواتها من اللغات السامية، بل ويقرر يوهان فك بأنّ ظاهرة الإعراب لا يزال لها بقايا حتى اليوم تُسمع في لهجات بوادي العرب[٣]

ولئن كان موقف المستشرقين من ذوي النوايا المشبوهة ممكن الفهم، فإنّ من الصعب تفسير نوايا بعض الباحثين العرب، ومن ذوي المكانة اللغوية المرموقة، في رفضهم للإعراب، وبه اُشتهرت،[٤] وجَعْله من صنيع النحاة، يفرضونه على الاستعمال الواقع الحي، في حين أنه خصيصة من خصائص اللغة النموذجية الأدبية.

فهذا إبراهيم أنيس يروي قصة الإعراب بقوله متعجبًا:"ما أروعها من قصة! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل الثاني، على يد قوم من صناع الكلام نشأوا معظم حياتهم في البيئة العراقية. ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني

---

(١) فصول في فقه العربية، ص٣٨١.

(٢) التطور النحوي، برجستراسر ، أخرجه وصححه وعلق عليه، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ، ص١١٦.

(٣) يُنظر العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص٣٤-٣٥.

(٤) وقد أخذت هذه القضية صخبا واسعا؛ إذا تصدى لها كثير بالرد والمناقشة والنقض في كتب وبحوث ودراسات من مثل د: رمضان عبدالتواب في فصول في فقه العربية، ص ٣٦٩-٣٩٥. و د: صبحي الصالح في درسات في فقه اللغة، ص١١٧-١٤٠، ود: إبرهيم السامرائي في فقه اللغة المقارن ، ص١١٧-١٢٥. ودك علي وافي في فقه اللغة، ص١٦١-١٦٥. ود: محمد حسن جبل في كتاب (دفاع عن القرآن أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية)، وغيرهم

الهجري حتى أصبح الإعراب حصنًا منيعًا، امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية، وشق اقتحامه إلا على قوم سُمُّوا فيما بعد النحاة"[١]

ومع أنّ الإعراب أصبح حقيقة ملموسة، وله قواعد مبثوثة، وأصول مفصّلة كلّ التفصيل في كتب النحويين إلا أنه"ملك على الناس شعورهم، وعدّوه مظهر ثقافتهم ومهارتهم الكلامية"[٢]؛ ومع ذلك يرى إبراهيم أنيس أن الإعراب " ليس في حقيقته إلا ناحية متواضعة من نواحي اللغة".[٣]

ويشكك إبراهيم أنيس في ظاهرة اللحن، التي كانت سببًا لنشوء النحو على أشهر الروايات، وأنها ظاهرة من صنع النحاة؛ إذ لو ثبتت روايات اللحن وسلمنا بصحتها، كما يرى أنيس، لم تكن ظاهرة الإعراب ظاهرة سليقية في لهجاتهم ولغة تخاطبهم؛ لأنّ "صاحب اللغة التي يتكلمها بالسليقة يستحيل عليه الخطأ في ظواهر تلك اللغة، دون أن يدرك أنه أخطأ "[٤]، إلا أنّ الخطأ سيظهر في كلامه إنْ " كان ينطق بلغة خاصة، يتمسك فيها بقواعد وأصول لا تراعى في حياته العادية حين ينطق على سجيته"[٥].

ومما جعل إبراهيم أنيس يُنكر ،في رأيه، على النحاة هذا النظام الإعرابي المعقد، أنه لا يجد له أثرًا، في اللهجات المحكية المعاصرة حيث يقول:" كيف نتصور أنّ لهجات الكلام في كلّ البيئات العربية ... أقول كيف نتصور أنّ ظاهرة الإعراب لا تترك في كلّ هذه البيئات أثرًا، ولا تخلف فيها ما يوحي بأنّ الإعراب كان شائعًا على ألسنة الناس في العصور الإسلامية الأولى"[٦].

" أتى التاريخ على كثير من الألسنة الإعرابية فحوَّلها عن طريق الانسلاخ الذاتيّ

---

(١) من أسرار اللغة، ص ١٩٨.

(٢) نفسه. وأصبح استخدام تلك القواعد بعد عصور الاحتجاج في الأمور الجدية من القول. يُنظر مبحث الحديث عن اللغة المنطوقة اللغة المكتوبة.

(٣) من أسرار اللغة ، ص ١٩٨.

(٤) من أسرار اللغة، ص ٢٠٣.

(٥) في اللهجات العربية، ص٧٦.

(٦) من أسرار اللغة، ص ٢١٥-٢١٦. على أنه جعل الإعراب من صفات "اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر" يُنظر في اللهجات العربية، ص ٧٥.

إلى"[1] ألسنة غير معربة، وكذا يرى إبراهيم أنيس في لهجات العربية القديمة أنها تفتقد إلى الإعراب، وهذا ناشئ من كونه يرى أنّ اللهجات العربية الحديثة امتداد للهجات العربية القديمة، ومن ثَمّ فافتقادها الإعراب يجعلها تنضم إلى ما أسماها عبدالسلام المسدي (اللغات التحليلية)[2]، ومن هنا أرى أنّ إبراهيم أنيس سمّى كتابه بـــ(من أسرار اللغة) إيمانًا منه بأنّ " البحث في خصوصية اللسان الواحد هو بالضرورة بحث في الظواهر اللسانية عامة؟."[3]، بناءً على أنّ أصحاب علم اللغة الحديث يسعَون إلى وضع نَحْوٍ كُليّ تشترك فيه اللغات الإنسانية جمعاء.

إنّ انتفاء الإعراب من العامية واللهجات المحكية أمر لا يؤيده الواقع اللغوي؛ إذ كما يذكر وافي " أنه قد بقي في اللهجات العامية الحاضرة كثير من آثار الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف فيقال: مثلا في عامية المصريين وغيرهم (أبوك، وأخوك، ولا أبك وأخك) وينطبق بجمع المذكر السالم مع الياء والنون (الطيبين، المؤمنين..إلخ)، وفي معظم لهجات العراق ونجد والحجاز في العصر الحديث ينطق بالأفعال الخمسة مثبتة فيها نون الإعراب (يمشون تمشين، تمشون..) وروى بعض الباحثين أنّ آثار الإعراب بالحركات لا تزال باقية في لهجات بعض القبائل الحجازية في العصر الحاضر"[4]

الحركة ،كما هو واقع، عبء لا تطيقه المنطوقة؛ لذا كان الوقف سمة بارزة فيها، ومن أجل ذا جعل إبراهيم أنيس الوقف مفتاح السر؛ حيث يرى أنّ ترك الإعراب سمة من سمات العربية ولهجاتها القديمة، وأنّ هذا الرأي "منسجم مع ما يراه في اللهجات العربية الحديثة التي ليست إلا تطورًا للهجات القديمة"[5]؛ ولأجل ذا فقد رأى في الوقف مفتاح السر لقصة الإعراب[6]، ثم يفصل القول في ظاهرة الوقف في العربية

---

(١) العربية والإعراب، ص ٦٣

(٢) يُنظر السابق ، ص ٤٨.

(٣) السابق، ص ١٠٤.

(٤) فقه اللغة، ص١٦٢.

(٥) من أسرار اللغة، ص ٢١٩.

(٦) يُنظر السابق ، ص ٢٢٠-٢٣٦.

ولهجاتها؛ ليستقر رأيه أنّ ظاهرة " الوقف بالسكون... لم تكن أمرًا عابرًا أو عارضًا يمثل ناحية متواضعة من نواحي اللغة، بل كانت صفة من الصفات التي انتظمت معظم القبائل العربية وجرت على ألسنتهم جميعًا، و لم تكن تقل أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات في حالة الوصل، بل لم تكن أقلّ شيوعًا ودورانًا في أفواه الناس من ظاهرة الوصل"[١] ولعل ظاهرة الوقف كما يشير إلى ذلك فندريس من المظاهر التي تؤدي إلى اختزال طول الكلمات وهدم الإعراب[٢].

وفي احتفائه بظاهرة الوقف، استند عليها أيضًا في أنّ الحركات الإعرابية ليست دالة على معانٍ، بل إنّ أصل الكلمة هو سكون آخرها" أما الذي يحدد معاني الفاعلية أوالمفعولية ونحو ذلك مما عرض له أصحاب الإعراب فمرجعه أمران: أولهما نظام الجملة العربية والموضع الخاص لكل من هذه المعاني اللغوية في الجملة، وثانيهما ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات"[٣].

ويستدل كذلك بالوقف بالسكون على أنّ الحركات في أواخر الكلم إنما هي لوصل الكلام للتخلص من التقاء الساكنين عند وصل الكلام[٤] أوحين يدعو إلى نظام المقاطع.[٥]

وحتى لا تقع هذه الدعوة في مزالق بيّن أنيس رأيه في الإعراب بالحروف، وذلك أنّ النحاة" لما رأوا أن للمثنى صيغتين، وجمع المذكر السالم صيغتين، ولكل من الأفعال الخمسة صيغتين، اتخذوا إحدى الصيغتين للرفع والأخرى لغير الرفع".[٦]

ويتفق فؤاد ترزي اتفاقًا شبه كلي مع أنيس في أنّ الحركات ليست دالة على معنى، وإنما جيء بها " في الأصل لغرض لفظي هو تيسير ارتباط الألفاظ بعضها ببعض، ولكنها اُستغلت من النحاة فيما بعد لأغراض معنوية في محاولة منهم لتقرير حركة

---

(١) السابق، ص ٢٣٦.

(٢) يُنظر اللغة، ص٤٢٣.

(٣) من أسرار اللغة، ص ٢٤٢.

(٤) يُنظر السابق، ص٢٤٨.

(٥) يُنظر السابق، ص ٢٦٨.

(٦) السابق، ص ٢٧٠.

واحدة للوضع الواحد، ما أمكن ذلك، لضبط قراءة القرآن الكريم وتحديدها بصورة رئيسة"[١]

وينقل محمد الغامدي أنّ داوود عبده وافق أنيس وترزي في أنّ الحركات ليست دالة على معانٍ؛ غير أنّ وجودها لاختلافات لهجية، وليست باختلاف مواقع الكلام.[٢]

وإذا كانت العلامة الإعرابية دالة على المعنى كما يقول كثير من النحويين، فإنّ تمام حسان لا يملّ ،كما يقول، من " ترديد القول: إنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى"[٣] بدون ما يسميه بتضافر القرائن.

مهمة القرينة هي الإبانة، دون إلباس، عما يريده المتكلم من كلام، وأن تُوَصِّل المعنى إلى المتلقي وأن يدركه تمام الإدراك، ومتى مازالت الفائدة، أو ألبست صار الكلام ركامًا من الألفاظ؛ لذا أشار تمّام حسان إلى أنّ كلّ لغة في الوجود" تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها لأنّ اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للفهم والإفهام"[٤]

انطلق تمام حسان في نظرية تضافر القرائن[٥] على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية من النظرية السياقية، من أجل تبيان المعاني الوظيفية للمبنى الواحد. ومن أجل القفز من المبنى إلى المعنى فإنّ" ذلك يحتاج إلى قرائن معنوية وأخرى لفظية"[٦]

---

(١) في أصول اللغة والنحو، د: فؤاد حنا ترزي، دار الكتب ، بيروت، د ط، د ت، ص ١٨٧.

(٢) يُنظر العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، محمد سعيد الغامدي، نشر مجلة جامعة الطائف الآداب والتربية.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٠٧.

(٤) السابق، ص ٢٣٣.

(٥) تابعه في هذه النظرية باحثون آخرون ، منهم د: محمد حماسة عبداللطيف في كتاب(العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث و د: محمد محمد يونس في كتاب (المعنى وظلال المعنى..) و د: محمد صلاح الدين بكر في دراسة (نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة والحديثة)

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص١٩١.

القرائن المعنوية هي: الإسناد، التخصيص، النسبة، التبعية، المخالفة.[1]

أما القرائن اللفظية فهي: العلامة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداة، النغمة.

ويتبين من ذلك أنّ تمام حسان ألغى دور العلامة الإعرابية في الكشف عن المعنى الوظيفي، ومَنَحَهُ لنظرية القرائن؛ إذ إنّ العلامات الإعرابية ليست" أكثر من نوع واحد من أنواع القرائن بل هي قرينة يستعصى التمييز بين الأبواب بواسطتها، حين يكون الإعراب تقديريًّا أو محليًّا أو بالحذف لأنّ العلامة الإعرابية في كلّ واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها في معنى الباب"[2].

هذه النظرية التي أتى بها تمام حسان، وتلقفها آخرون، من أجل إعادة وصف اللغة العربية، فمع أنها تكلمت بما تختص به الفصحى، إلا أنّ نظرية تضافر القرائن للمتأمل يجدها تتزاح وتنطبق على اللهجات المحكية المعاصرة، خاصة إن كان دور العلامة الإعرابية دورًا ليس بذي شأن إن أُمِن اللبس.

فالمتكلم يختار الكلمات "من حقول دلالية يمكن أن تكون بينهما علاقات نحوية في سياقها بأن تستعمل الكلمة في حقيقتها اللغوية، أي تستعمل فيما وضعت له في اصطلاح البيئة اللغوية المعينة"[3] ثم تظهر عنايته بالربط بين الفكرة ودلالة الكلمة، وفق معطيات الأداء اللغوي الحيّ، التي لا تخرج عن تلك القرائن المعنوية واللفظية، إلا أنّ فقد العلامة الإعرابية في غالب اللهجات المحكية، والجنوح إلى السكون يكسوها ميزة؛ كما أنّ من الميزات للفصحى هي العلامة الإعرابية، ويذكر أحمد كشك أنّ "هذا الفقد لم يأتِ عن طريق خوف الخلط بين مواقع العلامات؛ لأنّ هناك إحساسًا غامضًا ببقاءِ هذه الحركات خبيئة مستبطنة، لو أُرِيد بعث الخبيء لظهر دون أدنى قدر من العسر والصعوبة"[4]؛ لذا فإنّ اللهجات المعاصرة تُقدِّم الفاعل المستحق للإسناد احترازًا

---

(١) يُنظر السابق، ص ١٩١-٢٠٤.

(٢) السابق، ص٢٠٥.

(٣) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي، ص٩٧.

(٤) اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب، ص ١٨٠.

من أن يخالطه المفعول أو أيّ معنى وظيفي آخر في موقعه، فاللجوء إلى التقديم والتأخير في المعنى الوظيفي حينما تكون دلالة المعنى اللغوي للألفاظ دافعة للبس بين المعاني النحوية الأخر، إلا إن اتسعت معاني الألفاظ فإنّه يبقى كامنًا في لفظه؛ لذا تأتي العلامات الإعرابية لتفك مغاليقها، وتهدي المتلقي بمعانيها الوظيفية إلى المعنى الإضافي الذي يقصده المتكلم[1]، لكنّ جنوح اللهجات المعاصرة إلى التقديم والتأخير، وإلى السكون في غالب أمرها، إنما هو تحقيق لمطلب الوفرة في المجهود اللغوي، وكانت الغلبة لهما في الموقع والوظيفة.

تمثيل الكلام بين الرسم والنطق

أتى على الإنسان حين من الدهر يدرج كلامه في الهواء، إنْ علق شيء منه في الذهن، وإلا فالذاهب منه كثير، على أنّ ما ينطق به أقلّ مما يمور في وجدانه وفكره من مشاعر وأفكار وصور.

ثم تنطلق تلك الصورة السمعية التي علقت في الذهن عبر أفواه الرواة إلى أجيال متلاحقة في صورتها "المتحققة على ألسنة المستمعين باللغة من الجماعة اللغوية الواحدة"[2]؛ غير أنّ تلك الصورة تكاد تكون في طيّ من النسيان حينما تعتورها تلك

(١) يُنظر معاني النحو للأستاذ الدكتور، سليمان بن إبراهيم العايد، طُبع ضمن بحوث مؤتمر "العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة" في جامعة المنيا في الفترة ٤ــ٦مارس٢٠٠٧م الموافق١٥ــ١٤٢٨/٢/١٧هـ ونُشر في مجلة العرب العددين ج٩و١٠ الربيعان وج١١و١٢الجماديان من سنة ١٤٢٨/٤٢هـ

(٢) رحلة العلامة من النطق إلى الكتابة، د: محمد ربيع الغامدي، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج٤٠، م١٠، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ- يونيو٢٠٠١م، ص ٢٥٠

الآفة، أو يصيبها التبديل والتحريف والتغيير باختلاف الألسنة والأهواء؛ ولأنّ ما قد يصيب تلك الصورة السمعية من تبديل وتغيير إنما سببه عاملان "هما: الإمكانات الصوتية، وعادات النطق عند المتكلم، ثم مدى حساسية أذن السامع في سماعها الأصوات"[١].

وعندئذٍ ما يلبث الإنسان إلا إرادة تسجيل منطوقه؛ ليصطحبه معه في حاضره ومستقبله، فأُلهِم أو اكتشف أو اخترع الكتابة، ولتصبح الكتابة بعدئذٍ "ذات أهمية ضخمة للجنس البشري في نقل المعاني من مكان إلى مكان عبر السنين"[٢]، وأكبر وسيلة أثرت في حياة الإنسان، وفي تطوره الحضاري.[٣]

و عندئذٍ يصبح للغة رمزان: رمز لغويٌّ مسموعٌ يمثل المنطوق، ورمزي بصري مرئيّ بالعين يمثل المكتوب، وكلٌّ من الرمزين نال اهتمامًا، فالكلمة المنطوقة تفرض" فالكلمة المنطوقة تفرض نفسها على أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار، سواء في الشارع ، أو في البيت ، أو في في قاعات الدرس، أو عن طريق الإذاعة المسموعة والمرئية، كذلك تُلحّ الكلمة المكتوبة على أعيننا أينما ذهبنا، في الكتب والصحف والمجلات، وفي الشارع على شكل لافتاتٍ وإعلانات"[٤]

ويبسّط حلمي خليل تعريف الكتابة بأنها "عبارة عن رموز مرئية للأصوات المسموعة بينما الكلم المنطوق هو موجات صوتية مسموعة متعارف عليها بين أبناء مجتمع لغوي واحد"[٥] .

ومرّت الكتابة بمراحل تتلخص فيما يلي:-

(أ) الكتابة التصويرية: "وهي أقدم طرق التعبير البصري عن الكلام المسموع،

---

(١) أصول التفكير النحوي، د: علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٣٤.

(٢) أسس علم اللغة، ص ٦٠.

(٣) يُنظر الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص ٧٥.

(٤) السابق، ص١٥.

(٥) الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص ٧٥. ويُنظر اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٠٩. ويُنظر اللسان والإنسان، ص١٢٧.

وفيها يكتفي الكاتب برسم مدلول الكلمات الواحدة تلو الأخرى"[1]؛ لكن لا توجد رابطة بين الأصوات المنطوقة ودليلها الخطي؛ لأنه يشير مباشرة إلى الصورة الذهنية[2].

(ب) الكتابة المقطعية: "وهي خطوة متقدمة في الحضارة بالنسبة لسابقتها. إذ فيها اكتشف الإنسان أنّ الألفاظ التي ينطقها تتكون من مقاطع، هي وحدات صوتية صغيرة تسيطر عليها حركة واحدة"[3].

(ج) الكتابة الأبجدية : هي نظام من الكتابة تمثل الرموز المكتوبة فيه أصوات اللغة المنطوقة[4]، وتتشعب الكتابة الأبجدية في العربية، بعد أن استقرت في نظامها، إلى شعب أربع:-

١- خط (رسم) المصحف: و"هو ما كتبت به الصحابة المصاحف، وأكثره موافق لقواعد الرسم القياسي أو الإملائي، إلا أنه خالف في أشياء قد كتبت على هيئة مخصوصة"[5].

٢- الكتابة العروضية: وهي " كتابة الشعر كما يُلفظ وهذا يستلزم، ما يُنطق يكتب ولو لم يكن مكتوبًا،... ومالا يُنطق لا يُكتب ولو كان مكتوبًا... وكلّ مد يفك إلى حرفين أولهما متحرك وثانيهما ساكن، ...وإذا اجتمع ساكنان فأكثر يثبت ساكن واحد"[6].

٣- الكتابة الصوتية : وهي " عبارة عن مجموعة اصطلاحية من الرموز الكتابية تكوِّن نظامًا صالحًا لتسجيل أصوات لغة من اللغات تسجيلاً دقيقًا، ويسمى تسجيل

---

(١) اللسان والإنسان، ص ١٢٧.

(٢) يُنظر أسس علم اللغة، ص ٦٠. و اللغة ، ص ٣٩١. ص ٢٧.

(٣) اللسان والإنسان، ص ١٢٧. ويُنظر علم الكتابة العربية، ص ٢٨.

(٤) يُنظر: أسس علم اللغة، ص ٦٠. واللسان والإنسان، ص ١٢٨. ويُنظر علم الكتابة العربية، ص ٢٩.

(٥) المتحف في رسم المصحف، د: عبدالكريم إبراهيم عوض صالح، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص٨ . ، وقد أعد الدكتور غانم قدوري الحمد رسالته للدكتوراه بعنوان (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية)، وطبعها بعدئذٍ في دار عمار، عمّان الأردن، وصدر منه طبعتان ، الأولى في عام ١٤٠٢هـ، و الثانية في عام ١٤٣٠هـ .

(٦) يُنظر معجم علم العروض، محمد أسبر محمد أبو علي، دار العودة بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص١٥٤

الكلام بهذه الرموز كتابة صوتية"[١]

٤- الكتابة ذات الرسم الإملائي القياسي، وهي رسم الحروف والكلمات رسمًا صحيحًا وفق الضوابط المتعارف عليها في الكتابة الإملائية العربية، وإنْ حدث أيّ خلل في ذلك الرسم تعذرت قراءة الكلمات وفهم مدلولاتها، وهي الوريث الحقيقي للكتابة الأبجدية؛ إذ إنّ جميع الشُّعَب التي تشعبت عن الكتابة إنما هي خاصة لما اُستخدمت له.

إذن "لا مسوغ لوجود الكتابة إلا تمثيل اللغة المنطوقة؛ إذ هي لا تزيد في وظيفتها على نقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، بتحويلها من ظاهرة سمعية صوتية إلى ظاهرة بصرية"[٢]؛ لكنها لا تستطيع أن تمثّل اللغة تمثيلاً صادقًا، إذ " تُصاب بالقصور على مرور الزمن وبسرعة تختلف باختلاف اللغات، إذ إن السبب الأساسي لأزمات الرسم ينحصر في استحالة مسايرة الرسم لحركة اللغة"[٣]، وعلى الرغم من ذلك إلا أن أهم ميزة من ميزاتها أنها تعمل على المحافظة وعلى تثبيت اللغة[٤] وعلى أداء شكلها المثالي[٥].

ولأجل أن الكتابة العربية بَعدَ انتظامها واستقرارها لم تساير حركة اللغات في النمو والتطور بل ظلت على ما كانت عليها منذ أمد؛ لم يرُق ذلك لأصحاب الفكر الدارويني، وأصحاب الدعوة إلى العامية، مما حدا بأنيس فريحة أن يشبه الكتابة العربية بالهيكل العظمي[٦] رغم أنه لا يوجد شعب ،كما يقول فندريس، لا يشكو من الرسم الكتابي " إنْ قليلاً وإنْ كثيرًا غير أن ما تعانيه الفرنسية والإنجليزية من جرّائه قد يفوق

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ١١٣.

(٢) أثر اللغة المكتوبة في تقرير الأحكام اللغوية ، د: فوزي الشايب، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مج٢، ع٣، شعبان ١٤٢٦هـ، أكتوبر ٢٠٠٥م، ص ١٢٠ .

(٣) اللغة، ص ٤٠٧.

(٤) يُنظر علم اللسان، أنطوان ماييه، ص ٤٤٦.

(٥) يُنظر المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٥.

(٦) ينظر الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، د: نهاد الموسى، دار الشروق، عمّان الأردن، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٨٧.

ما في غيرهما. حتى إنّ بعضهم يعدّ مصيبة الرسم عندنا مصيبة وطنية"[1]

وعلى الرغم من أن الكتابة حافظت على العربية على مدى قرون خلت، إلا أنّ اللغويين المحدثين وذوي النوايا المشبوهة أخذوا على الكتابة العربية عدة مآخذ، بُغيةَ الانتصار لما يرومون إليه. فصّل علي عبدالواحد وافي تلك المآخذ الثلاثة في كتابه فقه اللغة، ونذكرها هنا إجمالاً[2]:-

الأول: هو" أنّ الكلمات تدون غالبًا بحسب هذا الرسم في الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها أي مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة(الفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق الأصوات المقطعية في الكلمة"[3]

الثاني: وهو" أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم العربي صورًا مختلفة: فله صورة إذا كان مفردًا، وأخرى إذا كان متصلاً بغيره، وله صورة إذا كان في أول الكلمة، وأخرى إذا كان في وسطها، وثالثة إذا كان في آخرها"[4].

الثالث: وهو " أنّ رموز هذا الرسم تنقسم إلى طوائف تشتمل كلّ طائفة منها على حروف متحدة في صورتها، ولا يمتاز بعضها عن بعض إلا بالإعجام والإهمال أو بعدد النقط (ب ت ث ن، ج ح، خ د ذ، ر ز ... إلخ)"[5].

ولأجل هذه الأسباب خرجت عدة آراء ،مختلفة التوجهات، لتيسير الكتابة في اللغة العربية، وإصلاح نظمها، بحيث تكون قادرة على تصوير المنطوق أكبر طاقة

---

(١) اللغة، ص٤٠٥.

(٢) يُنظر فقه اللغة، ص ١٩٥-٢٠٤ .

(٣) السابق، ص ١٩٥.

(٤) السابق، ص١٩٧.

(٥) نفسه ص١٩٧.

ممكنة[1]

وقد جعل محمود تيمور تلك الآراء في منحنيات ستة[2]، وجعلتها نفوسة زكريا في أربعة اقتراحات: اقتراح عبد العزيز فهمي، واقتراح لطفي السيد، واقتراح علي الجارم، واقتراح محمود تيمور[3].

لكنّ تلك الاقتراحات لا تخرج عن كونها تندرج في أصلين: الأول منهما يبعث "إصلاحات شكلية لا تمس جوهر اللغة ولا صورة الرسم الحاضر ويرمي أصحاب القسم الثاني إلى إدخال تغيير جوهري في اللغة نفسها أو في صورة رسمها"[4] لكنّ الذي يهمنا منها رأيان اثنان لهما صلة بموضوع البحث وهما: اقتراح عبدالعزيز فهمي، واقتراح لطفي السيد، وكلاهما يدور في إطار الدعوة إلى العامية، وتعميمها كتابة وتعلمًا، متبعين آثار مُلهِمِهم الأول "ولهم سبيتا" في كتابه (قواعد اللغة العربية العامية في مصر).[5]

---

(١) قدم الدكتور خليل محمود عساكر طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربي الحديثة بحروف عربية، وقد عرض في مجمع اللغة العربي في القاهرة، وقد عُرض في الدورة السادسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة ٢٢ يناير ١٩٥٠، ونشر في مجلة المجمع الجزء الثامن، ص١٨١-١٩٢. ومضمون هذه الطريقة، اطّراح طريقة المستشرقين في كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة وذلك بتصوير الأصوات بحروف عربية وتخصيص كل صوت برمز في الكتابة يدل عليه وكذلك إيجاد رموز للحركات، ولم تكن هذه الطريقة كما يذكر خليل عساكر بل هي امتداد لما عليه الكتابة العربية منذ القدم، وهي كذلك جزء من مشروع عام لإصلاح الكتابة العربية على نحو ما يحفظ لها شكلها الحالي الذي يعد من مظاهر العبقرية العربية، وأثرا ممتازا من آثار الفنون الإسلامية، على أنّ هذه الطريقة لم توضع للعامة ليكتبوا بها لهجاتهم، وإنما تستخدم لكتابة نصوص اللهجات أثناء البحث والدراسة العلمية لها. يُنظر اللهجات العربية ، بحوث ودراسات ج،١، ص ٧٢-٩٤. و مجلة المجمع الجزء الثامن، ص١٨١-١٩٢.

(٢) يُنظر مشكلات اللغة العربية، ص ٥٠- ٥٥ .

(٣) يُنظر تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، د: نفوسة زكريا سعيد، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ط ١، ١٣٨٣هـ، ص ٢٠٧-٢٢٣.

(٤) السابق، ص ١٩٨.

(٥) يُنظر ، تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، ص ٢٠٧.

يدعو عبدالعزيز فهمي " إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية[1]، وتزيين لهذا العمل وإغراء به وتجسيد له بكتابة بعض النصوص العامية المصرية بحروف لاتينية. والمسوّغ لهذا الاستبدال كامن في أن الكتابة العربية خالية من حروف للحركات، وفي أنها عقيمة معقّدة لا تساعد القارئ على الفهم والنطق السليم."[2]

بعيدًا عن أنّ استخدام الحروف اللاتينية في الكتابة العربية وسيلة للتقريب بين الأمم؛ إذ إنها ،كما يزعمون، أصبحت هي الحروف التي تكتب به غالب الأمم المتحضرة علومها، وتقليدًا للتجربة التركية كذلك؛ إلا أنّ تمثيل المكتوب للمنطوق ومطابقته هو الأساس الذي بنى عليه فهمي ومن اتَّبعه وتَابَعه بعدئذٍ استخدام الحروف اللاتينية في الكتابة العربية، وهذا لا يؤيده الواقع في اللغات الأخرى، إذ في الإنجليزية " لا يُستطاع قراءة معظم الكلمات الإنجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر إلى حروفها، بل لا بد في ذلك أن يكون القارئ قد عرف نطق الكلمة من قبل عن طريق سماعها من إنجليزي، كما أنه لا يستطيع كتابتها كتابة صحيحة بمجرد سماعها بل لابد في ذلك أن يكون قد حفظ حروفها من قبل عن ظهر قلب"[3].

لم يحظ هذا الرأي لعبدالعزيز فهمي بالتأييد والقبول إلا من فئة ناصرت هذه الدعوة من مثل سلامة موسى وأنيس فريحة ولويس عوض، وتلقتها بالقبول، وعَمِلت على نشرها وإذاعتها، إلا أنّ كثيرًا من أهل العلم تولى الرد لاعتبارات عدة ذكرتها

---

(١) وقد شاع في العصر الحاضر استخدام هذا النمط من الكتابة في أوساط الشباب، وخاصة في شبكات التواصل الاجتماعي؛ مما حدا بمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية أن يقيم (صباح يوم الثلاثاء ٧/صفر/١٤٣٥هـ، الموافق ١٠/ديسمبر/٢٠١٣م، في فندق (ماريوت كورت يارد) غرب الرياض، حلقة نقاشية أولى ضمن برنامج متكامل بعنوان: " لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة: اللغة الهجين، العربيزي، الفرانكو " وذلك ضمن فعاليات الاحتفاء باللغة العربية في يومها العالمي القادم ١٨/١٢/٢٠١٣م. ثم أُصدرها المركز بعدئذٍ في كتاب عام ١٤٣٦هـ.

(٢) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، ص ٥٢. ويُنظر مشكلات اللغة العربية، ص ٥٠. ويُنظر، تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، ص ٢٠٨-٢٢٠.

(٣) فقه اللغة، ص١٩٨.

نفوسه زكريا وغيرها،[١] إلا إنّ كانت مطابقة الكتابة للنطق هي الأساس في هذا الاقتراح فتلك " قضية باطلة علميًّا فإنه عبث من العبث أن نسعى إليها ونصرف الوقت والجهد في أمر ليس له أساس علمي. بل إن العبث يصبح جهلاً حين نعتقد أن استبدال الحروف اللاتينية بحروفنا العربية يعيننا على المطابقة التي نرنو إليها، غافلين عن بأن حال تلك اللغات التي تُكتب بحروف لاتينية لا تختلف عن حال اللغة العربية في شيء وإن قيل إن الكتابة العربية أقلّ شذوذا في هذا الحقل من الكتابة في كثير من اللغات."[٢]

ويدعو أحمد لطفي السيد "للدلالة بالحروف عن الحركات على أن تدخل هذه الحروف في بنية الكلمة. فتكتب (ضرب) هكذا (ضارابا) وتثبت التنوين ورسمه بالكتابة فتكتب (سعد) هكذا (ساعدون) بالرفع و(ساعدان) بالنصب و(ساعدين) بالجر وتفك الإدغام فتكب (محمد) هكذا (موحامادون) في الرفع و(موحامادان) في النصب و(موحامادين) في الجر"[٣]، و لم يجد هذا الاقتراح تأييدًا[٤] كما ذكرت نفوسه زكريا وسمر روحي الفيصل، على الرغم من أنّ الفيصل ذكر أنّ أساس هذا الاقتراح سليم من الناحية العلمية لحل مشكلة الحركات والتنوين[٥]، إلا أنّ محمود تيمود بيّن أنّ هذا الرأي "تقوم في وجهه عقبتان كلتاهما كأْدَاء، أولاهما فنية، والأخرى اقتصادية"[٦] وإن كانت الفنيّة قد يُتغلب عليها بفضل تطور التقنية، لكن عصر السرعة، والاقتصاد في الجهد يرفض هذا.

---

(١) يُنظر تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، ص ٢٠٨-٢٢٠.

(٢) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، ص ٥٧.

(٣) تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، ص ٢٢٠.

(٤) وقد يؤيد هذا الرأي عبدالصبور شاهين في قوله:" والدراسات الحديثة تقرر استقلال كل من الصامت والحركة بحيث يمكن أداء أحدهما مستقلا عن الآخر ، على نحو من التجريد الكامل، وعلى ذلك فلابد من احترام وجود الحركة في أي نظام للكتابة، يراد به تصوير الحقيقة العلمية كما هي" المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٣٥.

(٥) يُنظر قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، ص ٥٩.

(٦) يُنظر مشكلات اللغة العربية، ص ٥٣.

ومن المسلم به وجوب اتخاذ قرار في إصلاح عيوب الكتابة على نحو حذف ألف (مائة) لتصبح بعدئذٍ (مِئَة)، إلا أن هذه الإصلاحات لا يُسلم بها إن أفضت إلى قطع الماضي عن الحاضر، وإن أفضت إلى شيء من ذلك يحق لنا ،حينئذٍ، أن نشارك كمال بشر سؤاله الإنكاري بقوله: "ما موقفنا من التراث المكتوب بالعربية؟ أنتركه على هون أم نقذف به إلى البحر؟ يبدو ألاّ فرق عند الجاهلين المغامرين الذين لا يعنيهم إلا رفع الصوت وإثارة الشكوك حول موروثنا وما يعنيه من الحفاظ على هويتنا وشخصيتنا ذات الحدود والرسوم التي تميزنا من غيرنا من الأمم"[١].

ثم إنّ سيرورة الكتابة العربية طوال هذه القرون السالفة يحدث مع موروثنا توأمة لا يمكن فصلها؛ لما لها من إلف وأنس " ولاريب أنّ هذا الإلف بالكتابة العربية يجعل قراءتها، في جُلّ أحوالها وأوضاعها ورسومها تلقائية، بقطع النظر عن الطريقة التي نتعلم بها القراءة جزئية كانت أم كليّة. ولعل مَرجِع ذلك على ما يتحصل بالتعليم من جهة وما يتبادر إلى الخاطر الأول من هيئات نطق الكلم بالسليقة المكتسبة"[٢]

ثم ألم يُعرِّف اللغة أصحاب علم اللغة الحديث بأنها" نظام من العلامات"[٣]؟ بلى، بل إنّ الكون كله قائم على العلامات، من أجل التفاهم والوصول إلى المعرفة، دون خلق اللبس، ونظام الكتابة الإملائية العربي ليس بدعًا من ذلك فهو "مليء بالعلامات التي تحفظ للكتابة قدرتها على التعبير السليم من غير خلط أو لبس أو إلغاز أو تعمية أو ما شابه"[٤]

---

(١) اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت ، ص ٢١٣.

(٢) الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة ص ٢١٣.

(٣) اللغة، ص ٣١.

(٤) المحظورات اللغوية د: حسن خميس الملخ و د: سهى فتحي نعجة، عالم الكتب الحديث، إربد الأدرن، ط١، ٢٠١٥م، ص ١٥٨.

الفصل الثالث

المقاصد النفعية من دراسة اللهجات وتقعيدها

- المبحث الأول: التهوين من قداسة اللغة وما يتصل به.
- المبحث الثاني: إعلاء شأن اللغة الثالثة .
- المبحث الثالث: إثراء المعجم العربي .
- المبحث الرابع: توجيه المنطوق للمكتوب وتفسيره.

تتضح ملامح المقاصد التي يرنو إليها أصحاب علم اللغة الحديث في تآليفهم من خلال سياقها، وتخضع لأطر معينة في ذهن المؤلف بغية إفهام القارئ، وتوصيل مبتغاه من طرح هذه القضية، وكل هذه التآليف في الفكر اللغوي الجديد ليست إلا نتاجًا للمقاصد التي يتأسس عليها الفكر والعمل

سنحاول في هذا الفصل طرح بعض ما يبتغيه أصحاب علم اللغة من مقاصد نفعية من دراستهم للهجات والتقعيد لها إن كان ضررها واضح بيّن باللغة ، أو كانت دراستهم اللهجية نافعة للهجة واللغة في آن معًا. وذلك الطرح يتضح من خلال:

التهوين من قداسة اللغة وما يتصل به .
إعلاء شأن اللغة الثالثة .
إثراء المعجم العربي .
توجيه المنطوق للمكتوب وتفسيره.

التهوين من قداسة اللغة وما يتصل به .

اللغة ليست كائنًا منعزلاً عن الوسط المجتمعي، ولا صورة مجردة في أذهان الناس، وإنما هي بِنية اجتماعية تتفاعل مع الواقع المجتمعي بجميع أصنافه ومتغيراته وطبقاته، تحكمها قيود وعوامل حسب الأهداف والوظائف؛ لذا رأى اللغوين المحدثون أن الدراسات اللغوية القديمة ظلت حينًا من الدهر "مقطوعة الصلة بالمجتمع الذي يتكلم هذه اللغة، فكان اللغويون وهو يسجلون دراساتهم أشبه بالمشتغلين بما وراء الطبيعة منهم بالمهتمين بالدراسات الاجتماعية، ومرجع ذلك تناسيهم أنّ اللغة وعاء التجارب ودليل النشاط الإنساني ومظهر السلوك اليومي الذي تقوم به الجماعة، ويسميه أصحاب الدراسات الشعبية الأنثروبولوجية ثقافة. ذلك بأن نشاط المجتمع ممثلاً في نشاط أعضائه هو ثقافة هذا المجتمع. ويتكلم أصحاب الدراسات الشعبية عن ثقافة

مادية وأخرى غير مادية؛ وتشمل الأولى على الأشياء المادية التي يهتم بها أعضاء الجماعة، كالمساكن، والأزياء، والزخارف، والأدوات، وما إلى ذلك؛ على حين يقصد بالثانية النظم الاجتماعية، كالدين والقانون، وكلّ أنواع العادات العرفية وفيها اللغة. ويمكن أن تدرس الثقافة غير المادية ـــ ولو سطحيًّا على الأقل ـــ بملاحظة ما يتعلق بها من الأشياء فحسب. ولكنّ الثقافة غير المادية لا يمكن أن تدرس إلا بملاحظة ما يقوله أعضاء الجماعة، وما يفعلونه حين يقولون ذلك. وكثيرًا ما يتعذر فهم الأشياء المتصلة بالثقافة المادية فهما دقيقًا إلا إذا عرفنا أسماءها. ليست اللغة إذًا عنصرًا من عناصر الثقافة؛ بل إنها أساس كلّ أنواع النشاط الثقافي. ومن ثم فهي أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأيّ مجتمع معاصر"[1]، وبذا تصبح اللغة من (الأشياء المادية) وإنْ كُنّا لا نحسها إلا أنها دليل لفهم تلك الأشياء المادية ومدلولاتها ومعرفة ثقافة العصر التي تنتمي إليه، وكل ذلك عبر اللغة.

لقد مرّ بنا قبل أن علم اللغة الحديث يعتمد في دراساته اللغوية على الأساليب العلمية " أي المنهج العلمي الذي يتمثل في ملاحظة الظواهر السابقة، ثم إقامة الفرض النظري الذي يفحص بعد ذلك منهجيًّا عن طريق التجريب وتحقيق الفروض، هذا هو المنهج المعترف به في علم اللغة وفي العلوم الأخرى كما يهتم بشكل عام بوضع أصول نظرية علمية ومصطلح علمي ثابت"[2]، منطلقًا من طريق الملاحظة والتجربة؛ لأنه ينظر إلى اللغة أنها" نظام من العلامات"[3] وكونها خاضعة للتجربة والملاحظة فهي عنده ظاهرة طبيعية تنمو وتتطور وتساير الحياة، وتبعًا لذلك فهي :" منظور إليها من ذاتها ولذاتها"[4].

إخضاع اللغة للدراسة العلمية جعلها "مجرد أشياء قابلة للدرس وخاضعة لمحك

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٥.

(٢) التعريف بعلم اللغة، ص ٧٦.

(٣) اللغة، ص ٣١.

(٤) مشكلات فلسفية مشكلة البنية، ص ٤٤. ويُنظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٤٩.

التجربة"[١] عند أصحاب علم اللغة الحديث، وليست إلا من قبيل الظواهر الاجتماعية التي "ينبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين باللغة"[٢] وهي نسق من العلامات لا يعرف سوى نظامه المستقل بذاته عن الأفراد، وما فيها من تواطؤ واتفاق وتواضع "علاوة على ذلك فالرموز والعلامة اللسانية هي إن صح التعبير ذات صفة محسوسة ملموسة"[٣] يمكن إدراكها بالحس لتصبح رموزا كتابية تقليدية وذلك "بتحويلها من ظاهرة سمعية صوتية إلى ظاهرة بصرية"[٤].

وتتضح من خلال ذلك سيطرة المدرسة الوضعية على تأسيس علم اللغة الحديث حيث إنّ منطلقاته هي ذاتها التي تمثلت في "الأسس المنهجية للوضعية:

(أ) اعتبار الحس وحده مصدرًا للمعرفة الاجتماعية. يقول دوركايم: إنّ العالم لا يستطيع أن ينهج منهجًا آخر غير اعتبار الحس نقطة بدء لدراسته... ولن يستطيع أن يتحرر من الأفكار الشائعة والألفاظ التي تعبر عن المعاني إلا إذا جعل الحسّ هو المادة الأولية التي لابد منها في نشأة كلّ معنى كلّيّ"[٥].

(ب) "اعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية ."[٦] إذ حاول الوضعيون "استخدام مناهج العلوم الطبيعية القائمة على الملاحظة والتجربة لتأكيد وحدة العلم بفرض تطبيق المنهج التجريبي في كل المجالات، المادية منها والمعنوية"[٧].

(ج) "إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب"[٨] والهدف المرام ،كما يذكر

---

(١) اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ١٢٠.

(٢) لغات البشر، ص١٠.

(٣) محاضرات في علم اللسان العام، ص ٣٠.

(٤) أثر اللغة المكتوبة في تقرير الأحكام اللغوية ، ص ١٢٠ .

(٥) منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد أمزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ط٤، ١٤٢٩هـ، ص ٣٩. وينظر قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، ترجمة د: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١١٦.

(٦) منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ص٤٠.

(٧) السابق، ص ٤٠.

(٨) السابق، ص ٤٠.

أمزيان، من هذه "النزعة التجريبية واحد: تحقيق العلمية في العلوم الإنسانية"[١] ويهدف في أساسه الأول كما يقول أمزيان " إلى إقصاء التفكير التجريدات والتأملات، ويستعيض عن الخيال بالملاحظة والتسجيل الدقيق للوقائع ... فهي لا تلجأ إلى التجربة باعتبارها أداة معرفية بقدر ما تهدف إلى سد الطريق أمام التفكير الديني"[٢].

(د) "شيئية الظواهر الاجتماعية"[٣] ، فإذا كانت الطبيعة، والظواهر الاجتماعية جزءًا من هذا العالم الموضوعي، فإنّ دراستها باعتبارها أشياء يجب أن تخضع المقاييس نفسها التي تدرس على أساسها الأشياء وفق مبادئ وقوانين هي قوانين طبيعية، وتخضع بعدئذ لمعايير البحث العلمي.[٤]

على أنّ هذه الأسس هي المتبعة في علم اللغة الحديث، فهل تأثر مؤسِّسُه بعلم الاجتماع (إميل دوركايم) وعلم النفس التحليلي (فرويد)، إذ إنهم يرون أخذ المعاني المتصلة بالأشياء والأفعال من المجتمع، بوصفها حقائق تحتاج إلى شرح ووصف كتلك الدراسات المتصلة بالظواهر الطبيعية، ولما كانت هذه الأشياء والأفعال نتاجًا اجتماعيًّا وجب أن يكون الشرح على أسس اجتماعية.

ومما توافق فيه علم اللغة الحديث مع علم الاجتماع " إبراز دور المجتمع في تكوين القيم الإنسانية وفي تأكيد دور المجتمع في نمو اللسان وتطوره عند الفرد والجماعة"[٥]؛ لذا عُدّت اللغة ظاهرة اجتماعية، وكونها ظاهرة اجتماعية أصبحت خاضعة لسلطة المجتمع، تتماشى معه، وتسايره في نموه وازدهاره، من أجل أنّ سلطة المجتمع في نظر الوضعيين نابعة من أنّ الإله ،كما قرر دوركايم، هو "المجتمع نفسه، وأنّ المجتمع يتمتع بكل خصائص الإلوهية، فهو الذي يجرنا إلى خارج أنفسنا ويلزمنا بالتوافق مع مصالح أخرى غير مصالحنا، وهو الذي علمنا كيف نسيطر على شهواتنا وغرائزنا، وأنْ نضع

---

(١) السابق، ص ٤٠.

(٢) السابق، ص٤٢.

(٣) السابق، ص٤٢.

(٤) يُنظر السابق، ص ٤٣.

(٥) أئمة النحاة في التاريخ، د: محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٣٩٦هـ ص ٣٣.

القوانين، هو الذي علمنا أن نتضامن، وأن نتمنع وأن نضحي، وأن نخضع غاياتنا الخاصة لغايات أكثر سموًّا"[١].

علم اللغة الحديث حينما يدرس اللغة لا يتجاوز الحس، والظواهر المشاهدة، وحين يطلق أحكامه يطلقها على أساس هذه الظواهر، والمجتمع ومعه لغته متطور لا يثبت على حال، فعلى هذا ستكون الأحكام جزئية نسبية، ثابتة مؤقتة، وليست حقيقة مطلقة؛ لأنه لا يؤمن بالحقائق المطلقة، الثابتة، وليس هناك حقائق مطلقة يمكن الرجوع إليها لتصويب المصيب، أو تخطئة المخطئ.[٢]؛ لأنه خاضع لسلطة العرف الذي ارتضته الجماعة اللغوية، ومنها مقاييس الصواب اللغوي الاجتماعي وليست المعايير التي يفرضها النحوي[٣]

هذا التلازم بين الوضعيين وأصحاب علم اللغة الحديث أدّاهم إلى الاتفاق في القول بتحرر الدارس للظاهرة " من كلّ فكرة سابقة "[٤] حولها؛ لأنّ الوصول إلى المعرفة عن طريق تلك الآراء السابقة لا يعطي " ثمة فائدة علميةً ما من دراسة الحقيقة الراهنة دراسة علمية"[٥]، ولذا بيّن سوسير أنّ عالم اللسان لا يستطيع " أن ينفذ إلى وعي الأفراد المتكلمين وإلى شعورهم إلا إذا أعرض عن الماضي وأعدمه"[٦]، ومن ثَمّ فإنّ الاقرار بهذا مُؤدَّاه إلى فكّ الارتباط بين القرآن الكريم ،وهو نصّ مقدس، واللغة العربية ليصبح نصًّا قديمًا ،زعموا وخابوا، تصعب قراءته، ولا يستطيع قراءته حينئذٍ إلا مَن يسميه أصحاب علم اللغة الحديث فقهاء اللغة.

وبسبب نبذ التراث، وخلع القداسة عن القديم، ودراسة اللهجات المحكية المعاصرة

---

(١) منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ص٥٠ .

(٢) يُنظر الأخلاق عند المدرسة الوضعية أوجست كونت ومدرسته، دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي، رسالة ماجستير مقدمة في قسم العقيدة ،كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، بإشراف د: بركات دويدار، ومسجلة برقم ٢٣٠٦. مج ١، ص ١١٨-١١٩.

(٣) يُنظر مبحث معيار الصواب اللغوي للاستزادة، ص ٦٤.

(٤) قواعد المنهج في علم الاجتماع، ص ٩٧.

(٥) السابق، ص٧٣.

(٦) محاضرات في علم اللسان العام، ص ١٢٣.

بكونها لغة تضارع الفصحى؛ لأنّ أصحاب علم اللغة الحديث لا يمايزون ولا يفاضلون بين لغة وأخرى، وبين مستوى وآخر، بل كلّها في الدراسة العلمية سواء، وبسبب التحمس في دراسة اللهجات المحكية المعاصرة، وبسبب ذلك كله انفتح باب التهوين من قداسة اللغة العربية الفصحى، وأبدى المهتمون به نوايا الشك في مسلماته وثوابته.

اليقين والحقيقة، عند أصحاب علم اللغة الحديث، هو ما كان الرجوع إليه عن طريق الحس والمشاهدة والتجربة، وإنْ كانت هناك فكرة صادرة عن طريق الحس والواقع فهي فكرة صحيحة، وإن لم تكن صادرة عن طريق الحس وليس لها سند من الواقع فهي فكرة خاطئة غير مقبولة مهما يكن أمرها،[١] ومن هنا يشكك إبراهيم أنيس في وجود الإعراب[٢] والادعاء بأن ظاهرة اللحن الذي يذكر العلماء أنها سبب لنشوء النحو هي من صنع النحاة

وقد أخذت نوايا الشك في التراث العربي زُخرفَها مع طلائع المتأثرين بالدراسات الغربية، ومن أميزهم طه حسين حين أثار ثورة الشك حول الشعر الجاهلي في كتابه الموسوم بـــ(في الشعر الجاهلي)، وتبعه في ثورة الشك لويس عوض حينما شكك في أصل العرب ولغتهم في كتابه (في فقه اللغة العربية) الذي أحدث ضجة كبيرة في مصر مما أدى إلى منع نشره، وسحب نسخه من المكتبات لما يحويه من مغالطات كثيرة.

ومن أشد ما تخلع به القداسة عن اللغة العربية تلك الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية[٣]، ولا يخفى حينئذٍ من التآمر على الفصحى، حتى يقطع صلتها بماضيها المشرف المشرق ونصوص الوحيين، وعزل أهلها عنهما وعن لغتهما بمحولات أُتي بها من العلوم التجريبية؛ غير أنّ التاريخ والحاضر منصهران في العربي ،كما يقول المسدي، فأصبحا فيه الحاضر التاريخي " واللغة هي الشاهد على هذا الانصهار"[٤]

---

(١) يُنظر الأخلاق عند المدرسة الوضعية...، مج ١، ص ١٠٦.

(٢) للاستزادة راجع مبحث إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن ص١٣٥.

(٣) نحيل القارئ الكريم إلى مبحث تمثيل الكلام بين الرسم والنطق للاستزادة ص١٥٢ .

(٤) العربية والإعراب، ص٥٩-٦٠.

ولكأنّ قائلًا يقول: "المسافة بين تاريخ لغوي وحاضر لغوي تكاد تنعدم"[1] لدى العربي.

فإذا كانت لكل لهجة خصوصية وميزة عن اللهجة الأخرى، وكلها داخلة وذات علاقة مع العربية الفصحى في العالم العربي، فإنّ العربية الفصحى لها خاصية تعمل على تماسك الأمة العربية وترابطها، وتزينها بالشمول والعالمية، في حين إنْ خُلغ جلباب قداستها، وأزيلت الهيبة من تراثها العلمي والأدبي فإنّ ذلك سيزيد من فرقتها وكلّ سيدعي، بعدئذٍ، أنه هو الوريث الشرعي لأمجاد العربية.

"فلأول مرة في تاريخ البشرية- على ما نعلمه من التاريخ الموثوق به- يُكْتب للسان طبيعي أن يعمر حوالي سبعة عشر قرنًا محتفظًا بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية فيطوعها جميعًا ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثي من داخله"[2] لأنّ اللسان العربي حامل تراث، وناقل فكر.

أصبح القرآن الكريم للعرب مثالاً لغويًّا يُحتذى به، وكان من الواجب على كل مسلم يمارس دينه معرفة لغة القرآن، ولو ما يقيم بها شعائر دينه؛ إذ إنّ ما بين العربية والقرآن موثق بأوثق رباط؛ لذا كان " الباعث على اهتمام علماء اللغة، بجمع الشواهد اللغوية، وتقعيد اللغة، باعثًا دينيًّا، هو ضبط نصوص القرآن الكريم، وتعليم الطلاب لغة القرآن، وجرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية، على المزج بين المعارف الدينية واللغوية، في الكتاتيب والمساجد والمجتمعات، ثُمّ في المدارس المنظمة فيما بعد، ومن ثَمّ كان اللغوي غالبًا رجل دين، ولا نرى عالمًا من علماء اللغة القدامى إلا كان مقرئًا، أو مفسرًا أو محدِّثا أو فقيهًا".[3] وهذا ما يضفي على اللغة جانبًا من القداسة والهيبة " وهذا بلا شك ضغط لغوي ثقافي هائل بل لعله أقوى أنواع المراقبة

---

(١) السابق، ص ٦٠.

(٢) العرب والانتحار اللغوي، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص٢٥.

(٣) فصول في فقه العربية، ص١٠٨ .

والضغط الموجهة لأهل اللغة"[1].

وعلى كلّ فليست اللغة مقدسة بإطلاق، فقد تنال التقديس والهيبة عند المتكلمين بها والمتعلمين لها وتبلغ " منازل الفضل بمحمولاتها ؛ فإذا كانت اللغة لسانًا لنص مُقَدَّس أو مُقَدَّم احتملت الفضيلة من هذه الجهة وهذا بعض شأن العربية، مثلاً. وإذا كانت لسانًا لإبداع معرفي احتملت الفضيلة من هذه الجهة أيضًا وهذا شأن كثير من اللغات في حقب متعاقبة"[2]، هذا ما نراه عند المسلمين من غير العرب من إنزال العربية منزلاً رفيعًا؛ لأنها لسان القرآن الكريم، ولسان تعبدهم.[3]

إعلاء شأن اللغة الثالثة

المقصود باللغة الثالثة ،كما يبينه المعتوق، هو "ذلك المستوى اللّغوي المنطوق الذي يستمدّ عناصره ومكوناته الأساسية الأولى من فصحى العصر بمختلف درجاته وروافده الداخلية والخارجية، وتكيَّف فيه عناصر أخرى من العامية بمختلف أنماطها ودرجاتها التي لا تبتعد عن أصول الفصحى ومقاييسها وقاعدتها الأساسية. لتتكوّن أو تتطوّر منها لغة عربية مشتركة وسيطة عفوية أصيلة، مبسّطة ميسّرة، قريبة مستأنسة من خاصة الجمهور وعامته"[4]

وهي ما نجدها عند نهاد الموسى باسم العربية الوسطى، واصفا إياها بعربية

---

(١) العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، ص ١٤٨.

(٢) اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقُوى التحوُّل، ص ٢٨.

(٣) حاولت دولة بنجلاديش القضاء على ظاهرة (قضاء الحاجة في الطرقات العامة) بشتى وسائل التوعية، فلم تستطيع إلا بعد أن أشير إليها أن تكتب العبارة (هنا ممنوع...) بالعربية؛ ولأن العربية لغة القرآن فهي مقدسة عند المسلمين من الشعب البنجلاديشي ونسبتهم تقريبا ٩٠%، وبعد أن كُتبت العبارة بالعربية آتت حملة التوعية ثمارها وقضت على هذه الظاهرة كما نشر في الأخبار، لكن المحزن أن تنتشر في بلادنا الأسماء الأجنبية في الأسواق ألفاظًا وتراكيبًا والأماكن التي يغشاها الشباب بكثرة . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤) نظرية اللغة الثالثة دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، د: أحمد محمد المعتوق، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٥م ، ص ٩٨ .

المتعلمين المحكية وهي عنده :" مزاج من العامية المكتسبة والفصحى المتعلمة، تقترب من الفصيحة في معجمها وهيئات أبنيتها وطرائق نظمها. ولكنها تقع دون الفصيحة لأنها غير معربة إلا في بعض المأثور والرواسم (مثلاً، طبعًا، بدايةً، أصلاً، شكرًا..) وهي عربية التخاطب بين المتعلمين الناطقين بلهجات عربية مختلفة"[١]

وذلك أنّ تنامي الفارق بين الفصحى ولهجاتها المحكية المعاصرة، واتساع الفجوة بينهما، جعل العرب والعربية بين خيارين كما ذكر محمد فريد أبوحديد هما " (الأول) أن تختار الاتصال بالتراث القديم في اللغة الفصحى وتضحي في سبيل هذا الاتصال بأعزّ ما عند أمة حيّة تتطلع إلى حياة مليئة قوية ـــ وهو اتصال اللغة بالفكر ـــ اتصال الشعب الذي يتكلم بأصحاب الفكر الذين يكتبون. وعند ذلك لا يكون مناص لنا من أن نقنع بحركة فكرية منعزلة عن كتلة الأمة وأن نرضى لأنفسنا بديمقراطية سطحية لا تتعدى المظاهر الكاذبة، على حين تبقى جماهير الأمة في حالة أمية وعقم عقلي ونفسي.

(الثاني) أن نختار الحياة الحاضرة والمستقبلة مضحين بكنوز الثقافة القديمة وما فيها من أصول حضارتنا ومثلنا العليا ونقطع ما بين ماضينا الكريم السامي. ويكون علينا في هذه الحالة أن نعود إلى حيث بدأت الأمم أولى خطواتها نحو الحضارة إلى أن نستطيع بعد أحقاب طويلة تحصيل ثروة فكرية جديدة تصلح لأن تكون غذاء لعقول أمة حديثة"[٢]

ولأجل ذا تنادت الدعوات إلى إحلال " مستوى لغوي نجم ، في حياتنا المعاصرة، عن تفاعل العامية المكتسبة والفصحى المتعلمة، فهو مستوى حادث حديثا"[٣] ويُسمى هذا المستوى العربية الوسطى، أو اللغة الثالثة.

هذا المستوى اللغوي الذي يرام له الوجود إنما هو " النموذج اللغوي الخاص الذي

---

(١) اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقُوى التحوُّل، ص ٢١.

(٢) موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى، محمد فريد أبو حديد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٣م ج٧، ص ٢٠٧ .

(٣) الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، ص ١٤٨.

يمكن أن يحقق للناطقين به صِلاتهم الاجتماعية والفكرية المفترضة أو المقبولة، ويحمل الخصائص اللغوية العامة التي تعارف عليها أهل اللغة أصواتا ومفردات وتراكيب وإعرابا ويجعلها أكثر مرونة ورحابة وقربا من الواقع الفعلي الجماهيري المعاش، من دون أن يبعد أو يخرج عن النموذج اللغوي الأصلي. وإن أُطلق على هذا الوسيط اسم (لغة) فهو من باب المجاز وليس الحقيقة. أو من باب إطلاق الكل على الجزء"[١]

وقد ظهرت هذه اللغة أو لنقل هذا المستوى اللغوي مع محاولات الدعوة إلى العامية، وحاولوا إثباتها في الاستعمال بصورة أدق[٢] لردم الفجوة بين الفصحى وعامياتها بالأخذ بلغة المتأدبين كما يرى أنيس فريحة ؛ إذ إن " لغة التخاطب عند المتأدبين، هي الحل الوسط والأمثل، وهذه اللغة: لا هي بالعامية المبتذلة ولا بالفصحى التامة الإعراب"[٣] أي بتجنب ما يجعل الفصحى غير سلسلة في التخاطب.[٤]

وهو ما يريد أنيس حبيب حتي للغة العربية بأن تظهر قديمة بمظهر جديد[٥]، ويرى أن "تنزل العربية الفصحى عن عرشها قليلاً، وأن تصعد المحكية عن مستواها، فتلتقيان على مخرج مشترك واحد هو لغة توفق بين الاثنتين، لغة لا يمحها ذوق الأدب البارع، ولا تفوت مراميها العامي الساذج، لغة كاللغة التي يستعملها المتأدبون في حلقاتهم، وكاللغة التي يعظ بها أكثر قسس البروستانت من على منابرهم،... أكرر لغة واحدة توفق بين المحكية والفصحى، نؤبِّن بها موتانا من على المنابر، ونشتري بها فاكهتنا من السوق"[٦]

وتفرض اللغة الثالثة نفسها كقضية لغوية وفكرية واجتماعية ذات أهمية بالغة، في محاولة للتخفيف من حمأة الصراع بين العربية وعامياتها، وتنامي الفارق بينهما بدرجات متفاوتة في كلّ إقليم وبسبب ما خلفه الاستعمار من تراث لغوي في أذهان

---

(١) نظرية اللغة الثالثة ، ص ٨٩ .

(٢) يُنظر مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ٩٧.

(٣) القضايا اللغوية في مجلة المقتطف، ص ٢٦٨.

(٤) يُنظر السابق، ص ٢٦٩.

(٥) يُنظر السابق ص٢٦٩.

(٦) السابق، ص ٢٧٠

الناس.

ومع ذلك يشير السعيد محمد بدوي إلى أنّ اللغة الثالثة لم تحظ بالدراسة العلمية الجادة وذلك بقوله:" أما على الصعيد العلمي ــ فعلى قدر علمي ــ لم يتناول أحد في مصر هذه اللغة الثالثة بالدراسة والتحليل اللغوي"[١]، على أنّ الاهتمام بها والآراء حولها مبثوث في أوعية كتب المهتمين بالدراسة العلمية للعامية، والدعوة إليها، و السعيد بدوي لم يطلع على دراسة أحمد المعتوق في كتابة (نظرية اللغة الثالثة دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى) حين نشر مرة ثانية، إذ إنّ كتاب السعيد محمد بدوي (مستويات العربية المعاصرة في مصر) هو أحد المراجع التي رجع إليها المعتوق في دراسته.

استقرأ المعتوق تلك الآراء التي تناولت اللغة الثالثة في محاولة منهم للتقريب بين الفصحى وعامياتها " تارة بدعوى تحقيق وحدة لغوية وثقافية وأداة مشتركة للتواصل الفكري والاجتماعي تعين على مواجهة التحديات المصيرية، وأخرى بدعوى العمل على ديمقراطية الثقافة، وتارة ثالثة في إطار الحديث عن لغة موحدة للمسرح يلتقي عندها الجمهور بمختلف طبقاته ويحقق من خلالها الكاتب والفنان المسرحي رسالته في أوسع نطاق جماهيري"[٢] لتشكل عنده بعدئذٍ قاعدة معلومات أساسية حولها، علمًا أنّ المعتوق يرى أنّ"ما طرحه هؤلاء المفكرون مرتبط بنحو خاص بالبحث عن مستوى لغوي ثالث أو لغة ثالثة للعربية المكتوبة وليست المحكية المنطوقة التي ندعو لها"[٣] ثم استعرض تلك الآراء، واجتهد في فهمها فتناول بالتحليل والمناقشة آراء أولئك المفكرين وهم: توفيق الحكيم[٤]، السعيد محمد بدوي، وساطع الحصري[٥]، وأنيس

---

(١) مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ١٠٥.

(٢) نظرية اللغة الثالثة ...، ص ١١٢.

(٣) نفسه ص١١٢.

(٤) ينظر السابق ، ص ١١٢-١١٦. وكذلك، في التراث والشعر واللغة، ط: شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٥٦.

(٥)يُنظر نظرية اللغة الثالثة ...، ص ١١٦-١١٧،وذكر المعتوق اسمه(السعيد أحمد بدوي)وهو خطأ والصحيح ما أثبتُ، وينظر رأي بدوي في مستويات العربية المعاصرة في مصر،ص٨١-١١٥.

فريحة[1]، محمد كامل حسين[2].

وبعد أن استعرض المعتوق آراء أولئك الباحثين لم يكن أيٌّ منهم ، في رأيه،" قد طرح مفهوما متكاملا واضح الحدود للوسيط أو المستوى اللغوي الذي اصطلحنا على تسميته (اللغة الثالثة) أو استوفى كلّ الخصائص العامة التي وضعناها لهذا المستوى، أو درس هذه الخصائص وجسدها على المستوى التطبيقي، ومثّل لما يمكن أن تكون عليه اللغة الثالثة في إطارها الوظيفي العملي ومعظم هؤلاء الباحثين قد عني بما تُحدِث عنه اللغة العربية في نطاقها المكتوب، وليس المحكي المنطوق الذي قصدناه"[3]

تقوم نظرية اللغة الثالثة عند المعتوق ضمن " إطارين اثنين . إطار المعجم اللفظي الذي يفترض أن تقوم عليه اللغة الثالثة، ثم إطار النظام الإعرابي الذي يصلح أن تعتمده"[4]

أما المعجم اللفظي فهو قائم على:

الاستناد إلى الفصحى.

الاسترفاد من العامية.

اعتماد المفردات المولدة والأجنبية

الاقتراض من الأجنبية.[5]

أما النظام الإعرابي فمراد المعتوق أن تخضع اللغة الثالثة " لنظام إعرابي سلس ميسر وقانون صرفي مرن، يرجع في تكوينه الأساسي إلى نظام الفصحى وقانونها من دون أن يلتزم التزامًا صارمًا بكلّ تفاصيلهما، ومن غير أن يكون التيسير والتبسيط فيهما عشوائيا ارتجاليًّا مزاجيًّا. أو عن طريق جهود فردية تتنازع فيها الآراء وتوزعها الاجتهادات وتتصارع بينهما المصالح فتضيع اللغة، ويتشتت أهلها، وتنقطع بهم السبل

(١) يُنظر نظرية اللغة الثالثة ...، ص ١٢٠-١٢٦. ويُنظر اللهجات وأسلوب دراستها، ص ٩٧-١١٤.

(٢) يُنظر نظرية اللغة الثالثة ...، ص ١٢٦-١٣٥.

(٣) نظرية اللغة الثالثة ...، ص ١٣٥.

(٤) السابق، ص ١٣٩.

(٥) يُنظر السابق، ص١٤٠-١٧٢.

حتى يلجأوا إلى (الأجنبيات) والاحتماء بهن، يوم لا ينفع إلا (الأصيلة الأولى)"[١] وأولى المعتوق مهمة التبسيط إلى مجامع اللغة والمؤسسات الثقافية والعلمية المعنية.

وقد قيل: " بالمثال يتضح الحال" فقد عرض المعتوق نص حوار بين أستاذين بلغة عامية ممتزجة فيها لغة أجنبية (إنجليزية)[٢] ، ثم كتب هذا النص في صورة سليمة مبسطة كما يقول: " على فكره، إيش سويت مع (الطالب...) هل تكلمت معه؟ أنا تكلمت معه في الحقيقة. إنه يا أخي طالب مجتهد ومؤدب، ولكن المشكلة أن غياباته كثيرة، وهذه الغيابات ستؤثر على مستواه الدراسي وأخيرًا سوف تهبط بمعدله العام. سنوجه إليه إنذارا ونطلب من مرشده الأكاديمي أن يتكلم معه، وسنرى . ربنا يسهل. على فكره، ما هي أوقات تواجدك في المكتب؟ ... سأطلب منه مقابلتك غدًا"[٣] هذا النص كما يقول المعتوق :" نموذج لما سمي باللغة الثالثة التي نحن بصددها"[٤]

أيمثل هذا التطبيق يكون تعزيز الولاء لتراث اللغة العربية " النافع الأصيل ويمكّن من استثمار هذا التراث لصالح الحاضر والمستقبل العربي"[٥]؟!، وأين موقعه من دعاة العامية إن كان ينفر منهم؟![٦].

ثم أي تنظير يمارس لهذه اللغة (المسماة اللغة الثالثة) مادامت منتشرة ،دون وعي، بين المتكلمين في البلاد العربية، خاصة إن كان المتكلمان من أقطار ودول عربية مختلفة؛ لتصبح عندئذ إحدى صور العامية لاغير

---

(١) السابق، ص١٧٦.

(٢) يُنظر السابق ص ٧٩.

(٣) السابق ص ٨٠.

(٤) نفسه. يمثل هذا النموذج أترى أن تسمية عباس خضر له (اللغة الخنثى) تصدق عليه ؟!، يُنظر مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ٩٧. ويُنظر كذلك اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت، ص ٢٥٥.

(٥) السابق، ص ١٢.

(٦) قدم للمؤتمر الدولي الأول، المنعقد في الجامعة الإسلامية بعنوان (اللغة العربية ومواكبة العصر) د: يس أبو الهيجاء قراءة نقدية لنظرية (اللغة الثالثة النظرية والتطبيق من خلال كتاب الدكتور معتوق نظرية اللغة الثالثة منهجا وتطبيقا) وقد طُبع ضمن أبحاث المؤتمر في المحور الثاني، الجزء الثالث، ص ٣٧١-٤٥٧.

ولكنْ لعل الهاجس الذي يخامر العقل في خضم هذه اللجلجة من أنصار العامية ومخاصميهم، هو البحث عن لغة وظيفية عفوية" لا يلغى فيها الإعراب بتاتًا، وإنما يتخفف منه إلا في مواقف الشبهة واللبس، وتُعنى في واقعها بمستوى لغوي يقف وسطا بين الفصحى وبين العامية، وبين لهجاتها المحلية المختلفة وتكون بمثابة لغة مشتركة سليمة سائغة يجيدها الخاصة ولا تعجز عنها العامة. هي لغة التواصل وأساس تحقيق المزيد من الترابط الفكري والتماسك الحضاري"[١]

ولا تأتى أوجه التقريب فيما يظهر بين الفصحى ولهجات الخطاب العامية، إلا برَدُّ الألفاظ العامية إلى الفصيحة، وتِبيان الأصول الفصيحة للهجات الدارجة المحكية؛ إذ ليس من الناجع حلّ مشكلة الازدواجية اللغوية بالتحوّل إلى العامية، بل بالاتجاه نحو تفصيح العامية، أصواتًا وبنيةً وتراكيبَ، لأنَّ التكامل بين المستويين أقوى من التنافس، ولِتكون نواة لغة تلتزم قواعد النحو والصرف وأصوات الفصحى، غير أنها تميل " إلى استخدام الشائع من الألفاظ، والبعد عن الإغراب، والمرونة الزائدة أحيانا تجاه العبارات المترجمة"[٢] وهي ما تُسمى بالعربية الحديثة أو العربية الوسطى.[٣] أو " نحو نموذج فصيح للخطاب العامي"[٤]طرحه نهاد الموسى يُطمأن إليه.

يضع نهاد الموسى مطلبين رئيسين لتطوير النموذج المنطوق المنشود " مطلب يتعلق بتأصيل كثير من المفردات والأبنية العامية، ومطلب يتعلق بالإعراب.

أما المطلب الأول فيقوم على أن بين الفصحى ولهجات الخطاب العامية نسبًا وثيقًا ويتمثل في استثمار المشترك بين العامية والفصحى من المفردات والأبنية ذات الأصول الفصيحة"[٥]

---

(١) الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة، د: صالح بلعيد، ضمن أعمال الدولية (الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ١٧٢.

(٢) ازدواجية اللغة نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، د: محمد راجي الزغلول، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، مج١٨، ج١، ص٢٨.

(٣) يُنظر علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص١٧٧.

(٤) يُنظر الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، ص ١٤٧-١٨٤

(٥) السابق ص ١٦٨. ويُنظر مبحث العلاقة بين الفصحى(النموذجية) والعامية(المنطوقة) ص ٨٩.

ويبين نهاد الموسى المطلب الثاني وهو الإعراب و" سبيله في النموذج المقترح أن يؤخذ من التسكين بالتدريج، ويغني فيه بما يكون الإعراب هو الدال على وظيفة الكلمة بالضرورة (كما في التقديم والتأخير) أو حاسمًا في تصحيح المعنى المراد، أو مقترنًا باختلاف الرسم الكتابي"[1] ولعل الدعوة إلى إلغاء الإعراب والجنوح إلى السكون من هذا الباب[2]

وإن دارت دورة الزمن، كما يقول نهاد الموسى، واستقامت" وسائلُ إشاعة الفصحى المنطوقة الطبيعية معربة بعفوية تلقائية مقنعة استكملنا شطر الإعراب وكان أمرها عودًا على بدء، والعَودُ أحمدُ"[3]

إثراء المعجم العربي

اللغة تتعرض لمظاهر الحياة وتتناغم معها، فهي لا تجمد على حال معينة، ولا تقف عند حد مرسوم، وإنما هي عرضة للتطور بتطور المجتمع الذي تنمو فيه وتسايره، سواءً أكان ذلك التطور رُقيًّا، أم كان انحطاطًا.

وبسبب هذا التطور فإنّ معجمَ المتكلمين اللغوي منفتحٌ على تجارب الآخرين الإنسانية، وفي حركة مستمرة ما بين مفردات في سبات قد يُكتب لها النهوض،

(١) ا الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة ، ص ١٧٥.

(٢) نحيل القارئ الكريم إلى مبحث إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن للاستزادة، ص ١٣٩.

(٣) الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، ص ١٧٦.

وأخرى تصارع من أجل البقاء، وآخرة متولدة جديدة أو تغيرت دلالاتها[1]؛ ذلك أنّ العربية لها قدرة، وعندها شجاعة على تغيير المعاني عن طريق المجاز والاشتقاق والقياس اللغوي والتوليد.

على أنّه لا يمكن إغفال تعاقب الزمن أمام تطور اللفظ أو استمرار دلالته على حال معينة، حين تدعو الحاجة إلى تعديل الرؤية نحوه لتَطلُّب التعديل في الاستخدام من منطلقات المتكلم واستخدام طاقاته التعبيرية؛ من أجل الانسجام في مجتمعه اللغوي.

"وظاهرة ثراء اللغة مقرونة بنضج المجتمع الذي يتحكم بها، فكلما رقى المجتمع في سلم الحضارة، وتنوعت مطالب حياته اتسعت لغته وثَرِيَ معجمُها؛ لتلبي تلك المطالب وتعبر عنها أدق تعبير"[2]

وقد أجاد العقاد في مقدمة الصحاح حين بيّن أنّنا لا نحتاج إلى التجديد في القواعد النحوية والصرفية؛ لثبوتها واستقرارها، ولا أن نستحدث بها بديلاً كما يريد أصحاب الدعوة إلى العامية "وإنما نحن في عصر المعجمات اليوم، لأنّ المعجمات الأُولى ـــ ومنها هذا الصحاح ـــ قد وضعت في حينها لأسباب كالأسباب التي تواجهنا بجميع تفصيلاتها، منها انتشار الدخيل والمولد والمعرَّب والمترجم، واختلاط الناطقين بالضاد ومن يعاملونه أو يعاملهم من الأعاجم وأدعياء العربية، وإنّ المعجمات السلفية لَتنفعُنا اليوم كما تنفعنا المعجمات التي نجمعها ونتوخى فيها أساليب أو نبتدع لها ما يوافقنا من شتى الأساليب. وفي وسعنا أن نضيف المفردات إلى معاجمنا كما أضافها الأولون من أمثال الجوهري وتلاميذه الثقات، فلا حرج على اللغة من إثبات المولد

---

(١) بسبب الارتقاء والتوسع في الدلالة من مثل كلمة (الفنّان) فكما جاء في اللسان (مادة فنن) أنها وردت في بيت الأعشى: وإن يكُ تقريبٌ من الشدّ غالَها *** بِمَيعة فنَّانِ الأجاريّ، مجذمِ ، بمعنى الحمار الوحشي، لكنها الآن تُطلق على ذي الموهبة الفنية، ومثلها كلمة (المسرح) فقد جاء في اللسان (مادة سرح) أنها بمعنى المرعى الذي تسرح فيه الدواب للرعي، وهو المعنى المستخدم مما سمعتُه في لهجات الجزيرة العربية المعاصرة، يقولون: نسرح بالغنم، وسارح بالإبل، لكن العربية الحديثة توسعت في دلالته وغيّرته إلى المكان الذي يؤدى فيه التمثيل المسرحى ، شعرًا كان أم نثرًا.

(٢) ليس في العربية تضخم لفظي، د: نعمة رحيم، مجلة المنهل ، جدة، ع ٥٠٤، مج ٥٤، شوال ١٤١٣هـ ـ أبريل ١٩٩٣م، ص ٦٨.

والدخيل والمعرب في مواضعها من المعجمات الحديثة، لأنها إذا جرت في اشتقاقها أو النطق بها مجرى الفصيح زادت ثروة اللغة و لم تنتقص منها، ودلت على مرونة في العربية تجاري بها الزمن، وتلبي بها مطالب الحضارة ومطالب العلوم المتجددة على الزمن، وربما كان مصاب اللغة بالتحجّر وفقدان المرونة أشدّ عليها من فقدان القواعد النحوية والصرفية، لأنّ كثيرًا من اللغات ماتت ومعها قواعد صرفها ونحوها، و لم تمت لغة كان لها من المرونة ما يلبي مطالب الجماعات الإنسانية في كل بيئة ومقام"[١]

ومن غير الممكن أن تتوسع اللغة، وتُنمّى ثروتها اللفظية بألفاظ جديدة لما عرفته الإنسانية من تقدم وحضارة، دون أن ترتقي ذهنية المتكلم فيلجأ باستخدام سليقته وكفاءته اللغوية إلى ابتداع ألفاظ جديدة للتعبير عن معانٍ لم تكن لديهم من ذي قبل.

فكفاءة الفرد اللغوية تُنبئ بأنه "تملَّك التنظيم اللغوي بالسليقة"[٢]و هذا دليل على قدرته إنتاج تراكيب جديدة بالقياس على تلك التراكيب التي سمعَها من قبل[٣]، والتصرف في اللغة والارتجال على ما تواضعت عليه الجماعة اللغوية وتكلمت به وفق أنماط متعارف عليها في الاستعمال، ممتزجة امتزاجًا وثيقًا بين عناصر النظام اللغوي الداخلي للهجة و"معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي"[٤].

على أنّ السلائق العربية في العصر الحديث قادرة على التصرف في وجوه الكلام بالاشتقاق والتعريب والقياس؛ لإرفاد الفصحى بالمصطلحات وإغنائها بما تحتاجه؛ إذ إنّ شيوع مقومات الحضارة وألفاظها ومصطلحاتها، قد يزيد من اتساع الهُوَّة بين الفصحى و لهجاتها وخوفًا من ذلك فبإمكان الفصحى ،كما يرى سليمان العايد " أن تُفيد من العامية الدارجة في وضع الألفاظ والمصطلحات، وفي ظنّ الكثير أنّ هذا المتولِّد أو المولَّد الذي أنشأته العامية أَولى من إقحام الأعجميّ، وإنْ مَسّه التغيير حتى

(١) مقدمة الصحاح، أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م، ص ٦.

(٢) مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص ٦٢.

(٣) يُنظر من أسرار اللغة، ص ٤٠.

(٤) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ، ص ٣٢٤.

يتلاءم مع نظام العربية في أصواتها، وأبنيتها، خاصة ما وضعه أبناء البادية"[1]. ومَردّ ذلك حتى لا يتأتى تهجين اللغة بكثرة الدخيل والأعجمي.[2]

ويرى عبدالله كنون أنّ سليقة اللهجات المحكية المعاصرة تفوّقت على خبرة المجامع اللغوية في العالم العربي، حين استخدمت العامة كلمة (الطيّارة) بدلاً من (الطائرة) التي استخدمتها المجامع اللغوية والكَتَبَة والمؤسسات العلمية وشركات الطيران "وذلك إنْ يكن صحيحًا إلا أنّ أحدًا لا يمتري في أنّ الطيارة التي تجري على ألسنة الجماهير أقوى دلالة وأكثر تعبيرًا، فإنها تدل على الكثرة والمبالغة بصيغتها في حين أنّ الطائرة إنما تدل على مجرد الوصف وما أشبهها بالسيَّارة التي لم يقل فيها أحد السائرة ولو قالها لما سارت، فهل الفرق بين السير والطيران في الاعتياد والغرابة هو الذي جعل الأدباء يقبلون في الطائرة مجرد الوصف ولا يقبلون في السيارة إلا صفة المبالغة؟."[3]؛ لذا كان الاعتداد بشيوع الاستعمال أولى للاعتداد باللفظ "فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته، وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه."[4]

لكنّ الزيّات خصص وعمم فهو يرى أنّ وضع المصلحات "حق مطلق لا يتخصص بأحد، ولا يتعلق بأحد، ولا يتعلق بظرف، يملكه الفرد والجماعة، وتملكه الخاصة والعامة، فالعلماء يضعون مصطلحات العلوم، والرياضيون يضعون مصطلحات الرياضية والأطباء يضعون مصطلحات الطب، والفقهاء يضعون مصطلحات الفقه، كما أنّ الصناع يضعون مصطلحات لغة المصنع، والورشة، والزّراع يضعون لغة الحقل والحظيرة، والتّجار يضعون لغة الدكان والسوق و(المجمع الموقر) يشارك هؤلاء وأولئك في الوضع والتعريب، ويختص دونهم بالتسجيل والتصديق. فأيّمَا كلمة تُوضع لا تدخل في اللغة قبل أن يسمَها بميسمه ويدخلها في معجمه، وبدون ذلك تقع فيما

---

(١) العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية، ص ١٤٩.

(٢) نحيل القارئ الكريم إلى مبحث السليقة اللغوية للاستزادة ص١١٢.

(٣) السليقة عند العرب المحدثين، ص ٨.

(٤) مشكلات اللغة العربية، ص ٢٦.

وقع الأولون فيه من تعدد الوضع في المرتجل، واختلاف الصيغ في المشتق"[1]

وبهذه الطريقة تنمو اللغة نموًّا طبيعيًّا داخل مجتمعها؛ لكونها ظاهرة اجتماعية، وهذا النمو من صنع أفراد هذا المجتمع، وليس من صنع مثقفيه أو سواهم، وإنما يكمن دور المثقفين والمجامع اللغوية في تهذيب وتسديد مسيرة التطور اللغوي الذي يقوم به المجتمع، وما يحدث من نمو وتطور لغوي في أوساط المثقفين وما سواهم يجب أن يكون مستساغًا لدى العامة، من غير أن يكون على حساب الفصحى.

ما سلف إنما هو إثراء للمعجم العربي من ذي السليقة السليمة التي لم تغيرها رياح التطور، فنطقت وأبدعت ألفاظًا على مقتضى قواعد العربية، وأصبحت بعدئذٍ بمقتضى العرف من ألفاظ المجتمع اللغوي المحافظ عليها؛ لذا فإنّ "التوسع في دراسة اللهجات العربية يزيد لغتنا ثروة ويمنحها قوة"[2] بجمع ألفاظها، ويهذّب ما شذ منها، ويستدرك منها ما فات المعاجم ؛ " إذ لا يستطيع مُدَّعٍ أن يدّعي أنّ اللغويين أحصوا جميع ألفاظ اللغة بل جمعوا أشياء وفاتهم أشياء، كما أنه حدث في الحياة ما يستدعي تسميات جديدة، فهل نقف مكتوفي الأيدي"[3]

ولأجل هذه الغاية انطلق عبدالرزاق الصاعدي في البحث عمّا فات المعجم العربي في اللهجات المحكية المعاصرة التي لم تدونه المعاجم العراقية، كما قال في أكثر من موطن، إذ يرى أنّ ما"ضاع من لغة العرب شيء غير قليل من أشعار العرب وأقوالها وألفاظها ودلالاتها، خلت منه المعاجم، بعضه مهمل، وبعضه مندثر مميت، وبعضه ضائع، وبعضه مدون في غير المعاجم. وتفصيل هذا أن ما خلت منه المعاجم نوعان:

١- نوع مهمل لم تتكلم به العرب.

٢- ونوع تكلمت به العرب وخلت منه المعاجم، وهو نوعان:

(أ) نوع مندثر وهو ما أُميت وتُرك.

(ب) ونوعٌ مستعمل، وهو نوعان:

---

(١) الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه، ص ١١٦.

(٢) دراسات في فقه اللغة ، ص ١٠٤.

(٣) العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية، ص ١٥٣.

١- نوعٌ دُوّن في مصادر قديمة غير المعاجم، وأسميه: الفوائت القطعية.

٢- ونوعٌ لم يُدوّن في مصادر قديمة، وأسميه الفوائت الظنية. ومن أهم مصادره لهجاتُنا المعاصرة.. ومن هذا النوع شيء مما عدّه المعجميون مهملاً أو مماتًا ومتروكًا."[١]

ويعلل الصاعدي تسمية الفوائت القطعية بهذا الاسم "لأنه مذكور في مصدر قديم، كدواوين الشعر وكتب الأدب واللغة والنوادر، وهذا نوع لا خلاف في كونه من الفوائت؛ لأنه مرصود أيام الفصاحة، ولكنه لم يجد طريقه إلى المعاجم؛ لأن المعجميين لم يصلوا إليه"[٢]

وكذا بين الصاعدي أنّ مسمى الفوائت الظنية إنما سُمِّي بهذا الاسم "لأنه يفتقر إلى نص قديم يثبت وجوده القطعي في الاستعمال أزمان الفصاحة، ولكن يمكن بلطف الصنعة استخراج قدر صالح منه مما هو مخبوء في لهجاتنا المعاصرة"[٣]

واجتهد الصاعدي في وضع معايير وضوابط لمعرفة الفوائت الظنية بقوله:"وضعتُ للفوائت الظنّيّة ضوابطَ أو معاييرَ أو شروطًا إذا تحققت فيها بلغت باللفظ درجة الفائت الظنّيّ، والشروط أو المعايير أو الضوابط نوعان: شروط أو ضوابط لا بد من تحققها فيها وهي ثلاثة ، ومعايير فرعية أو مؤشرات مساعدة مُرجّحة، ليست لازمة، ولكن حين نجد بعضها مع الشروط الثلاثة اللازمة فإنها ترفع من صِدقيّتها وموثوقيتها إلى درجة عالية تقربها من الفوائت القطعية. والفرق بين النوعين أنّ الضوابط اللازمة الرئيسة لا بد من تحققها جميعًا، أما المؤشرات المرجّحة فلا يلزم تحققها نظرًا لطبيعتها وصعوبة تطبيقها، ولكنها حين تتحقق أو يتحقق بعضها فهي داعمة ومقوية للضوابط الرئيسة، ولا يغني تحققها إن تخلف شيء من الضوابط الرئيسة، وفيما يأتي تفصيل

---

(١) ملحق الرسالة، جريدة المدينة، العدد رقم ١٨٢٧٢، في يوم الجمعة ١٤٣٤/٦/٢٣هـ الموافق ٢٠١٣/٥/٣م.

(٢) الفوائت القطعية والفوائت الظنية التعريف والمظان والأنواع والضوابط، د: عبدالرزاق الصاعدي، مدونة مجمع اللغة الافتراضي في شبكة المعلومات العالمية، نشرت في يوم الجمعة ٧ نوفمبر ٢٠١٤م .

(٣) نفسه .

ذلك:

أ: الضوابط أو الشروط اللازمة لمعرفة الفوائت الظنية: وهي ثلاثة:

الشرط الأول: تحقق المعيار اللفظي: وأعني به بناءَ الكلمة في أصواتها وصرفها، فلا بد من أن توافق ما جاء في كلام العرب زمنَ الفصاحة، أصواتًا وصرفًا، أي تكون على قياسه، والباحثُ اللغويُّ يدركُ السبكَ العربيَّ الفصيح، ويدركُ أيضًا ما يلحقُ باللهجات من تغييراتٍ عامّيّةٍ تؤثّر على تصريف كلامهم في كثيرٍ من ألفاظهم الفصيحة، وفي وسعه أن يردَها إلى أصلها البنائيّ بيسرٍ أو بلطف الصنعة.

الشرط الثاني: تحقق المعيار الدلالي: وهو أن تكونَ الدلالةُ مناسبةً لحياةِ العربِ في أزمانِ الفصاحة، أي مما هو مألوفٌ في حياتِهم، فإن كانتِ الدلالةُ لشيءٍ حادثٍ في العصورِ المتأخرة مما جدّ في الحياةِ عُرفَ أنها دلالةٌ محدثة، وأنها ليست من فوائتِ المعاجمِ القديمة.

الشرط الثالث: تحقق المعيار الجغرافي أو الأطلس الجغرافي وأعني به بيئةَ اللهجة، فحينَ تكون اللهجة واسعةَ الانتشار معروفةً في عددٍ من القبائل المتفرقة فإنّ ذلك يرجّح فصاحتها مع الأخذ بالمقياسين السابقين، ... فإن كانتِ الكلمة محصورةً في قبيلةٍ أو بيئةٍ واحدةٍ فحسب دعا ذلك إلى التريّث قبلَ الحكم بأنها من فوائت المعاجم، مع أنّ القدامى أثبتوا في معاجمهم ما يُسمعُ من قبيلةٍ واحدة أو من شاعر واحد، لكننا في مقامِ احتراز، فيحسنُ التشدّدُ هنا؛ لأنّ أمرَ الفوائتِ ظنيّ. ... وأنبّهُ على أمر مهم وهو أن القطعَ أو الجزمَ بالفوائت أمرٌ لا سبيلَ إليه ما لم نجدْ شاهدًا قديمًا، ولكنَّ هذه المقاييسَ الثلاثةَ هي للتقريب، أو لنقلْ للترجيحِ، فحينَ نقول إنّ هذه الكلمةَ من الفوائتِ الظنية، يعني هذا القولُ غلبةَ الظنّ بأنها من الفوائت؛ لتعذّر القطعِ بالفائت بغيرِ شاهد. واجتماع هذه المعايير الثلاثة في كلمة أو دلالةٍ لهجيةٍ حريّ بأن يقربَها من درجة اليقين حين يُحكمُ بأنها من الفوائت، دونَ الجزمِ المطلقِ بذلك؛ لتعذّرِ القطعِ بالفائتِ دونَ شاهدٍ أو نصٍ قديم، بخلافِ الفوائتِ القطعية، فهي مرصودةٌ في مصدرٍ قديمٍ موثوق، كدواوينِ الشعرِ وكتبِ الأدبِ واللغة والنوادر ومصادر التراثِ الموثوقِ بها ...

ب: المؤشرات المساعدة المرجّحة غير اللازمة، وهي أربعة:

اللهجات المهاجرة.

نظرية الاشتقاق الأكبر عند ابن جني (التقليبات).

الاستئناسُ باللغاتِ "العُرُوبية" المسمّاة (اللغات السامية) وهي أخوات العربية.

الاستئناس بنظرية ثنائية الألفاظ، وهي النظرية القائلة بأنّ اللغة مرّت في مرحلة من مراحل تطورها بالثنائية، أي كانت ثنائية الجذور، ثم تطورت إلى الثلاثية والرباعية والخماسية"[1]

ومن هذا الباب تكون دراسة اللهجات المحكية المعاصرة امتدادًا لما سار عليه المعجم العربي القديم الذي ابتدأ به الخليل بن أحمد، وظلت الدراسات المعجمية والتدوينات اللغوية يتوالى ظهورها تترى منذ ذلك العصر وحتى العصر الحديث.

ولأجل هذا يتضح الفرق بين الدراسة العلمية للهجات المعاصرة، وبين دراستها لغرض إحلالها محل الفصحى،أو استقلالها لتكون بديلاً عنها، بل ينبغي أن تكون دراسة اللهجات المعاصرة وسيلة لخدمة الفصحى، وقد يكون منها المنطلق لتذوق الفصحى[2]؛ لأنها واقع لا يمكن دفعه، فلا سبيل إذن إلا استثمار هذا الواقع متى ما أمكن الاستفادة منه، هذه " هي الحقيقة التي لا نستطيع أن نفر منها، بل أن نواجهها في شجاعة"[3]

توجيه المنطوق للمكتوب وتفسيره

أورد السيوطي أنّ المرزباني حدّث" عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد، فقال: انظر أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

---

(١) نفسه .

(٢) يُنظر العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية، ص ١٥٧.

(٣) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٢٦.

ما رأينا خَـــرَبًا نقْ ... قَر عـنه البـيض صقرُ
لا يكـون العيرُ مهراً لا يكـون المهـرُ مهـرُ

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه، فقال: أقوى لابدّ أن ينصب (المهر) الثاني على أنه خبر لـــ "يكون"، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد.. الشعر صواب، إنّما ابتدأ فقال: (المهر مهر) "[1]

وأورد ابن جني رواية "الزيادى عن الأصمعي قال: حضر الفرزدق مجلس ابن أبي إسحاق، فقال له: كيف تنشد هذا البيت:

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعل الخمر[2]

فقال الفرزدق: كذا أنشد. فقال ابن أبي إسحاق: ما كان عليك لو قلت: فَعُولَين! فقال الفرزدق: لو شئت أن تسبح لسبحت. ونهض فلم يعرف أحد في المجلس ما أراد بقوله: لو شئت أن تسبح لسبحت، أي لو نصب لأخبر أنّ الله خلقهما وأمرهما أن تفعلا ذلك، وإنما أراد: أنهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر "قال أبو الفتح: كان هنا تامة غير محتاجة إلى الخبر، فكأنه قال: وعينان قال الله: احدُثا فحدثتا، أو اخرُجا إلى الوجود فخرجتا"[3]

المتأمل في تلك الروايتين ،وفي الكتب اللغوية والأمالي منها كثير، حين عُدمت الأدوات، وانتفت علامات الترقيم، يجد أن المعنى لا يتضح، ولا يتبيّن إلا من خلال الإطار الصوتي الذي يضعها فيه؛ ليكون للمتكلم دور في تحديد المعنى باستخدام الأداء الصوتي الملائم، وللتفريق بين المعاني حين يخلو الكلام من الأدوات، فالفيصل، حينئذٍ، في إبراز المعنى، وإظهاره"يتمثل بظاهرتين معروفتين، الأولى هي ما يعرف بالتنغيم،...

---

(١) الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق د: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـــ ، ج٦ ، ص ٢١٣.

(٢) ديوان ذي الرمة، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي رواية الإمام أبي العباس ثعلب، تحقيق، د: عبدالقدوس أبوصالح، مدرسة الإيمان ، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـــ ، ج ١، ص ٥٧٨. والبيت الذي قبله : لها بَشَر مثل الحرير ومنطق *** رخيم الحواشي لا هراءٌ ولا نزْرُ .

(٣) الخصائص، ج ٣، ص ٣٠٢. ويُنظر الأشباه والنظائر، ج ٥، ص٢٠١.

أما الظاهرة الثانية التي ينعكس بها الأداء فهي الوصل والوقف "[1] أو ما يمكن نعتهما بالتلوين الموسيقي للكلام.[2] وهو إذن جانب من الظواهر الصوتية الوظيفية التي تؤثر على الأصوات الكلامية[3]، وهو مع كونه ملمحًا صوتيًّا مصاحبًا للكلام إلا أنه "عنصر مكمل للمنطوق، لا ينفك عنه، وأمارة صحته، ووفائه بالمعنى المقصود، وفقًا لنوعيات التركيب ونوعيات المقام"[4].

و لأن الكتابة لا تستطيع أن تمثل اللغة تمثيلاً صادقًا، فما كان إلا أنْ زُوِّد القارئ ،إنْ عُدم المتكلم، بوسائل رمزية في الكتابة تُسمى علامات الترقيم، تقوم بدور الأداء الصوتي المصاحب للكلام، تعينه على "تفادي الفهم الخاطئ، ولتؤمّن تواصلاً لغويًّا هادفًا يحقق الغايات التي من أجلها وُضِع"[5]. ويمكن القول : إنّ آثار الأداء الصوتي بادية في الكتابة، ذلك بقيامه بوظيفة علامات الترقيم إلا أنه، كما يقول تمّام حسان، أوضح منها "في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة"[6].

والمتأمل في سياق الروايتين السابقتين يجد أنّ الأداء الصوتي في اللغة المنطوقة يُعد مصدر ثراء في تبيين المعاني وتوضيحها، وتبيين وتفسير وتوجيه اللغة المكتوبة وفق مراد ومقصد المتكلم مُعوِّضًا النقص الكمي الذي أصاب المكتوبة بسبب عدم تمثيل اللغة المنطوقة تمثيلاً صادقًا

ومن جانب آخر قد تكون اللهجات المحكية المعاصرة مفسرة لتلك النصوص اللغوية المتناثرة في مظان التراث اللغوي العربي الملتقطة من التراث الشفوي لكلام العرب، لكونها وصفًا لظواهر لهجاتهم " وذلك لأنّ العلاقة بين لهجاتنا الحديثة ولهجاتنا العربية القديمة قوية. بل هناك بعض الظواهر اللهجية القديمة والتي لا يمكن تفسيرها ـــ

---

(١) المعنى والقاعدة النحوية، ص٥١٢.

(٢) نُحيل القارئ الكريم إلى مبحث سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث للاستزادة ص٤٧.

(٣) يُنظر أسس علم اللغة، ص٩٢.

(٤) يُنظر علم الأصوات، كمال بشر، ص٥٤٧.

(٥) في الصواتة البصرية من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب، د: مبارك حنون، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٤٢.

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٢٦.

أمكن تفسيرها الآن في ضوء اللهجات العربية العامية، لأنّ اللهجات القديمة بقيت تتنقل على ألسنة الناس في الأجيال الذاهبة حتى وصلتنا، وتلك الظواهر العامية في اللهجات الحديثة ـــ هي في الواقع عريقة في القدم ممتدة جذورها في حياة الأمة العربية"[١]

وحين طاف اللغويون القدامى الجزيرة العربية سجلوا قدرًا كبيرًا من ظواهر اللهجات العربية القديمة، وضمنوها كتبهم ودراساتهم اللغوية ضمن دراسة اللغة العربية الفصحى، إيمانًا منهم " بأنّ اللغة المجموعة عن طريق السماع هي المعين الرئيس للاتصال بناطقي اللغة، والسبيل الوحيد لربط البحث اللغوي بالواقع، ودليل قاطع على صدق الأحكام اللغوية المستقرأة"[٢]، حتى غدت هذه الظواهر اللهجية مبثوثة في كتبهم، إلا أنها الآن في عِداد المكتوب.

وفي المقابل مما يستعان به في دراسة اللهجات المعاصرة وتسجيلها، ما قررته لجنة اللهجات في مجمع اللغة العربية في القاهرة "من تسجيل اللهجات الصوتية وطرق الأداء في سجلات صوتية من أقراص وأشرطة بآلاتها الخاصة"[٣] لمعرفة صفاتها وخصائصها.

ومرّت بنا علاقة وصلة اللهجات المعاصرة بالفصحى في الأقطار العربية و آراء أهل العلم فيها؛ غير أن البحث قسّم العلاقة والصلة إلى قسمين:

- علاقة وصلة اللهجات المعاصرة في البلاد العربية بالفصحى.
- علاقة وصلة اللهجات المعاصرة في أرض المنبع الجزيرة العربية بالفصحى.

وقد تركت اللهجات القديمة آثارًا باقية وممتدة في اللهجات المحكية المعاصرة لدى أهل الجزيرة العربية، مما وصفه ابن فارس في الصاحبي باللغات المذمومة[٤]وما ذكرها السيوطي في المزهر تحت باب (معرفة الرديء والمذموم من اللغات)[٥] من مثل ظواهر

---

(١) اللهجات العربية في التراث، ج ١ ، ص ١٢٦.

(٢) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص ٣٨.

(٣) قرار لجنة اللهجات في المجمع الجلسة ٤ من المجلس ٢١ من مارس سنة ١٩٤١م، مجلة مجمع اللغة العربي في القاهرة، ١٩٤٨م، ج ٥، ص ١٩٣

(٤) يُنظر الصاحبي ، ص٣٥.

(٥) يُنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص٢٢١.

الكَسْكَسة، العَنعَنة الكَشكَشة، التَّلتَلة،[1] وغيرها من الظواهر اللهجية عند العرب قديمًا، التي أخذت بدراسة اللهجات التي تمثلها؛ لتلمس خصائص اللهجات القديمة.

وأيًّا كان الأمر، فإنّ الباحث اللغوي في اللهجات القديمة سيقف أمام هذه الظواهر اللهجية الصوتية؛ إذ إنّه سيجد مصطلحاتها مبثوثة في كتب اللغة غير أنّ الصعوبة ستلازمه في إدراك الصورة السمعية لتلك الظاهر اللهجية الصوتية.، إلا أنّ اللهجات المحكية المعاصرة في الجزيرة هي التي باستطاعتها أن تفسر غالب مصطلحات تلك الظواهر الصوتية نطقًا واستنطاقًا.

يعُدّ عبده الراجحي القراءات القرآنية آصل مصدر لمعرفة اللهجات العربية؛ لأنها"هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدًا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام"[2]؛ لذا ربط مجمع اللغة العربية بالقاهرة دراسة اللهجات الحديثة بتطبيق هذا المبدأ على القراءات واللهجات القديمة ورَدّ ما يمكن رَدّه إلى اللغة إن وافق الأصول وما لم يوافق الأصول فيُبيَّن[3] فما " اشتملت عليه القراءات القرآنية من صفات صوتية فيمكن إرجاعها إلى بعض اللهجات العربية، وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل القرآنية؛ لأنها الصفات التي شاعت في معظم قبائل العرب، والتي تأصلت في لهجاتهم، فاتخذ القراء منها نماذج في فن القراءات"[4] وسارت وانتشرت مع القراءات المتواترة وأصبحت من أدلة اللغة النموذجية

أما القراءات الشاذة فقد تسفر عن ظواهر ومفردات ترسبت من لهجات عربية قديمة، وإسلامية، وفصيح ندر استعماله، لم تحفل بها الكتب التي اعتنت بالنموذجية بعد عصور الاحتجاج، فليست الفصحى " بالضرورة هي أقدم أشكال النطق، ومن ثَمّ فإنّ اللهجات الحديثة قد تشتمل على صورة هي أقدم من نظائرها في الفصحى من حيث

---

(١) نُحيل القارئ الكريم إلى مبحث الظواهر اللهجية بين المنطوقة والنموذجية في ضوء الموروث الشفوي للاستزادة ص٧٦.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ١٠١.

(٣) يُنظر قرار المجلس في جلسته ٤ من المجلس ٢١ من مارس سنة ١٩٤١م، مجلة مجمع اللغة العربي في القاهرة، ١٩٤٨م، ج ٥، ص ١٩٣

(٤) في اللهجات العربية، ص ٥١.

الانتماء التاريخي، كما أن القراءات الشاذة يمكن أن تنطوي على صور نطقية هي أعرق في التاريخ من نظائرها في قراءة الجمهور أو القراءات المتواترة الأُخر"[1] ووجوده فيهما دليل على استعماله وسيرورته إلا أنه قد يخفى على المعتني بالقراءات؛ لاعتنائه بالقراءات العشر المتواترة والمشهورة دون غيرها، أمّا القراءات الشاذة فظلت حبيسة في مظانها موصوفة، وأداؤها يتبين باستنطاق ونطق اللهجات المعاصرة.

وبمثل هذا يجعل إبراهيم أنيس دراسة للهجات الحديثة " تفسيرًا لبعض الظواهر في اللهجات القديمة"[2]

(١) في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د: سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ٢٥٧. ويُنظر معجم القراءات، د: عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين ، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص ١٥.

(٢) في اللهجات العربية ، ص ١٠٩.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة في أروقة أصحا اللغة الحديث، وفكرهم اللغوي من خلال كتبهم؛ لمعرفة نظرتهم للهجات المحكية المعاصرة ومكانتها عندهم، التي يكشف عنها البحث.

ولتحصيل هذه الغاية، حاول البحث فهم ذلك التصوُّر وتلك النظرة والمكانة، مما ورد من مقولات متناثرة بين دفتي الكتب؛ فتحصّل من إدامة النظر النتائج الآتية:

- أنّ المنهج العلمي الذي يتبعه علم اللغة الحديث مبني على أسس يتفق فيها مع أصحاب المنهج التجريبي والمدرسة الوضعية.

ويتضح هذا الاتفاق بجلاء، حين التزم علم اللغة الحديث بأسس المدرسة الوضعية الأربعة التالية:

(أ) اعتبار الحس وحده مصدرًا للمعرفة الاجتماعية.

(ب) "اعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية.

(ج) "إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب.

(د) "شيئية الظواهر الاجتماعية.

والتخلص من كلّ فكرة سابقة عند الوضعيين، نتج عنه عند اللغويين المحدثين نقد التراث اللغوي من داخله ،وإعادة قراءة التراث اللغوي من المنطلق ذاته.

فلمّا لم تكن ظاهرة الإعراب سمة بارزة في اللهجات المحكية المعاصرة، وصفة محسوسة ملموسة، أضحى الشك يداخلها، بل وأصبحت هي وروايات اللحن من صنيع النحاة.

ومن أشد ما تخلع به القداسة عن اللغة العربية الفصحى ،فيما ظهر للبحث، تركُ الكتابة الإملائية المعيارية واصطلاحاتها، والدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، أو بحروف عربية يُكتب بها ما يُنطق، ويُهمل ما لا يُنطق.

- عند بناء الكلام واستخدام اللغة الفعلي يبرز دور الأداء الصوتي لتحديد المعنى، وإبرازه حين يخلو الكلام من الأدوات، فالفيصل في اللغة المنطوقة حينئذٍ لظاهرتي التنغيم والوصل والوقف، متخذة تلك الظاهرتين دليلاً على الدلالات والمقاصد، ورافعة للبس بين الجمل، بل و يُعَدّ مفسرًا وموجهًا للغة المكتوبة وفق مقصد منشئها؛ بسبب عدم تمثيل الكتابة للغة المنطوقة تمثيلاً صادقًا.
- ويطمئن البحث للرأي القائل: إنّ اللهجات المحكية المعاصرة في الأقطار العربية إنما هي نتاج عناصر ثلاث : اللهجات العربية القديمة، واللغة النموذجية، ولغة الأمصار المفتوحة، وما حدث بينهما من تأثر وتأثير، على حين أنّ اللهجات المعاصرة في الجزيرة العربية ،في رأي البحث، ما هي إلا امتداد للهجات القديمة؛ لانعزالها عن الخُلطة قبل تدفق النفط، ومما يؤيد هذا الرأي وجود ظواهر لغوية لفظتها النموذجية، كانت مستخدمة في اللهجات القديمة، وظلت محتفظة بها اللهجات الحديثة في الجزيرة العربية؛ مما لا تجده عند الأقاليم الأخرى في غير الجزيرة والبلاد العربية.

وجود هذه الظواهر، وجريانها على الألسنة في بيئاتها المتعددة مع أنّ النموذجية لفظتها، ووصفتها بالقبح والرداءة أُطلق عليه عند اللغويين (الركام اللغوي) وهذا أيضًا دليل على ارتباطها ارتباطًا وثيقًا بأصلها القديم، وإرثها التأريخي، ولتصبح مفسرة لتلك النصوص اللغوية المتناثرة في مظان التراث اللغوي العربي الملتقطة من التراث الشفوي لكلام العرب، وما قرئ به في القراءات المتواترة أو القراءات الشاذة، ولتشهد على سيرورتها واستعمالها طوال تلك الحقب الزمنية.

- كان اقتراح اللغة الثالثة والتنظير لها بسبب المتخوفين من مشكلة الازدواجية عند المتكلم، أإلى أي النموذجين يميل المتكلم أإلى نموذج الفصيح، أم إلى

العامية واللهجات المحكية؟ ومن هنا فالبحث يتساءل أيُّ تنظيرٍ يمارَس لهذه اللغة (المسماة اللغة الثالثة) مادامت منتشرة ،دون وعي، بين المتكلمين في البلاد العربية، خاصة إنْ كان المتكلمان من أقطار ودول عربية مختلفة؛ لتصبح عندئذ إحدى صور العامية لا غير.

ولذا فإنّ البحث يطمئن إلى الرأي القائل بنموذج من الفصيح منطوق ولا يتأتّى ذلك إلا بأوجه التقريب ،فيما يظهر، بين الفصحى ولهجات الخطاب العامية، وذلك برَدِّ الألفاظ العامية إلى الفصيحة، وتِبيان الأصول الفصيحة للهجات الدارجة المحكية؛ إذ ليس من الناجع حلّ مشكلة الازدواجية اللغوية بالتحوّل إلى العامية، بل بالاتجاه نحو تفصيح العامية، من أجل القدرة على التواصل بين المجتمعات العربية، ويكون هذا النموذج بمثابة اللغة المشتركة التي تتسامى عن الاختلافات والتباينات اللهجية المحلية للغة بعينها، وتبقى النموذجية الفصحى لغة أدبية إبداعية، وما كان هذا الرأي إلا لأنّ القضاء على العامية أمر جِدّ عسير، فالعامية واللهجات المحكية ستسايران الفصحى وسيتعايشان معًا.

- ومما ثبت للبحث أنّ دراسة اللهجات المعاصرة ذات منفعة خاصة إنْ أُريد بها تفسير المكتوب وتوجيهه، والاستفادة منها لنمو اللغة نموًا طبيعيًّا، وذلك في وضع المصطلحات والألفاظ لمقومات الحضارة؛ لأنّ سليقة اللهجات المحكية السليمة التي لم تغيرها رياح التطور، قد تتفوق على خبرة المجامع اللغوية في العالم العربي.

ومما يزيد في نمو اللغة العربية ومنحها قوة جمع ألفاظ اللهجات المعاصرة، وتهذيب ما شذ منها، واستدراك ما فات المعاجم القديمة من فوائت سمّاها عبدالرزاق الصاعدي: فوائت قطعية، وأخرى فوائت ظنية.

وبعد:

أما قبل هذه الدراسة :

فقد جهدت المعركة بين أنصار الفصحى ودعاة العامية، وخبت نارها، ولازالت الازدواجية اللغوية في الأقطار العربية تسير سيرًا طبيعيًّا.

ومع شِدّة الثورة على أصحاب علم اللغة الحديث من التراثيين، فلازال علم اللغة الحديث ،على اختلاف مدارسه ومناهجه، يُدرّس في الجامعات وتكتب فيه الرسائل العلمية، وتُؤلّف فيه الكتب.

وفي أثناء الدراسة:

فقد بذلتُ غاية جهدي أن أستخرج معطيات القضية من مظانّها؛ لتعطي الدراسة تصورًا واضحًا حولها.

ولعل سائلاً ،بعد هذا التَّجوال، يسأل، هل استطاعت الدراسة أن تُجيب عن الأسئلة التي صُدِّرَت بها هي وخُطَّتُها؟.

والإجابة عن هذا التّسآل هو أنّ أولّ العمل يُنبئ عن آخره، وهو ما يراد به عند الباحثين النظرية والتطبيق، ولعل ما يرِدُ في تضاعيف هذه الدارسة إنما هي دلائل تمثل على الإجابات المأمولة.

وأما بعد الدراسة:

فالموقف الاتباعي الذي يظهر في تآليف اللغويين المحدثين يكاد ينحصر في استثمار إنتاج النظرية اللغوية الغربية وتطبيقها على العربية في إطار قراءة جديدة للعربية وظواهرها، أو بغية إعادة وصفها وفق المنهج اللغوي الغربي، وهذا مما قصّر فيه البحث اللغوي العربي الحديث، وجعله في دائرة الاتباع، ولم يستطع إخراجه لدائرة التشارك في صياغة النظرية في الدرس اللغوي في العالم أجمع، بله أن يكون له منافسًا.

ثم إنّ العربيةَ لسانُ دين، فدراستُها بالمناهج اللغوية التي أُسست لحفظها، أما الألسنة العربية في العصر الحاضر فلتدرس بأيّ منهج كان.

ويرى البحث بعد أن مرّ على تأثير المدرسة الوضعية في علم اللغة الحديث، أن ينشط باحثٌ لتبيين ما بينهما من تأثّر وتأثير.

وفي الختام أحمدُ الله وأثني عليه، أن أعان على إتمام هذا العمل، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس
المصادر والمراجع

- الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، رومان ياكوبسون، ترجمة على حاكم صالح و د: حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠١١م.
- اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، د: عبدالرحمن حسن العارف، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- أثر الإسلام في التوحيد اللغوي ، أطروحة ماجستير في كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، من إعداد: خالد بن أحمد إسماعيل الأكوع ، إشراف : أ،د: عليان الحازمي مسجلة برقم ٦٥٢٤. ١٤٢٣هـ.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د: فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، إربد الأدرن، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- أثر اللغة المكتوبة في تقرير الأحكام اللغوية ، د: فوزي الشايب، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مج٢، ع٣، شعبان ١٤٢٦هـ، أكتوبر ٢٠٠٥م.
- الإثنوميثودولوجيا: ملاحظات حول التحيل الاجتماعي للغة، محمد حافظ دياب، مجلة فصول ، مج ٤،ع ٣ (١٩٨٤) .
- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د ط د ت.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ط٢، ١٤١٣هـ.
- الأخلاق عند المدرسة الوضعية أوجست كونت ومدرسته، دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي، رسالة ماجستير مقدمة في قسم العقيدة ،كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، بإشراف د: بركات دويدار، ومسجلة برقم ٢٣٠٦.
- أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب ، د: محمد العمري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ٣ محرم ١٤٣٠.
- الأدب والدلالة، ترفيان تـ.ودوروف، ترجمة د: محنمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦م.
- ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، د: إبراهيم صالح الفلاي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- ازدواجية اللغة نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، د: محمد راجي الزغلول، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، مج١٨.
- أساسيات علم لغة النص، كلماير وآخرون، ترجمة، د: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، ط١ ٢٠٠٤.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، د: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- أسس علم اللغة العام وتطبيقاته على اللغة العربية، ضمن كتاب محاضرات في اللغة العربية (الجزء الأول)، مكتبة الرشد، الرياض ، د ط، د ت .
- أسس علم اللغة العربية، د: محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، ٢٠٠٥.
- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق د: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٨، ١٤١٩.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق د: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- أصوات اللغة العربية والأداء القرآني ، د: عيد محمد الطيب، دار البشرى ، مصر،ط ٣ ١٤٢٠هـ.

- الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤ ٢٠١٠م، ص ٨ .
- أصول التفكير النحوي، د: علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- أضواء على الدراسات اللغوية، د: نايف الخرما، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.
- الأطلس اللغوي، خليل عساكر، مجلة مجمع اللغة العربي في القاهرة ج٧.
- الإعراب سمة العربية الفصحى، د: محمد إبراهيم البنّا، دار الإصلاح للطبع والنشر، د ط، د ت.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د: محمد أحمد نخلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره في العربية، رسالة ماجستير مسجلة برقم ٤٠٩٤ومقدمة في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى من إعداد الطالب : ليث محمد لال محمد.
- اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، د: محمد الأوراغي، دار الأمان، الرباط، ط٢، ١٤٣٥هـ.
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦.
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- الألسنية علم اللغة الحديث قراءات تمهيدية، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د: حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، ١٤١٤هـ.
- الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق د: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.
- أئمة النحاة في التاريخ، د: محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٣٩٦هـ ص ٣٣.
- بحوث ومقالات في اللغة، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط١٤٠٣،١هـ.
- البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٦٤م.
- البنيوية، جان بياجيه، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٥.
- البيان في روائع القرآن، د: تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ .
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، ١٤١٠.
- بين اللغة والنحو ، عبدالقادر المغربي ، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ج٧، ١٩٥٣م.
- تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، د: نفوسة زكريا، دار نشر الثقافة ، الإسكندرية، ط١، ١٣٨٣هـ.
- تاريخ اللغات السامية، د: اسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١، ١٣٤٨هـ، ص ٢٢٠.
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبدالحق، دار التنوير، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- التداولية عند العلماء العرب...، د: مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ١٤٢٩هـ
- التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، د: حسام البهنساوي،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٣، ١٤١٧.
- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، أخرجه وعلق عليه، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ.

- التعريف بعلم اللغة، دافيد كريستل، ترجمة وتعليق،د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ ، د ت.
- التفكير العلمي في النحو العربي...، د: حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّا، ط٢٠٠٢،١م.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د ط، ٢٠٠٥م.
- التنغيم في التراث العربي ،د: عليان الحازمي ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد١٤، العدد٢٣، الجزء الثاني١٤٢٢هـ.
- توحيد اللهجات، محمد رضا الشبيي، ضمن كتاب اللهجات العربية بحوث ودراسات ، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٤٣٠.
- الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، د: نهاد الموسى، دار الشروق، عمّان الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.
- الحصائل في علوم العربية وتراثها، د: محمد أحمد الدالي، دار النوادر، سوريه، ط٢، ١٤٣٣هـ.
- الحياة مع لغتين الثنائية اللغوية، د: محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، ٢٠٠٢م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، د ط ، د ت.
- دراسات في العربية، فيشر، فولديتريش: ، نقلها إلى العربية وعلق عليها د: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- دراسات في تاريخ اللغة العربية، ترجمة وتقديم وتعليق د: حمزة المزيني. دار كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٣٥هـ.
- دراسات في علم اللغة، د: كمال بشر، دار المعارف، مصر، ط٩، ١٩٨٦م.
- دراسات في فقه اللغة، د: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.
- دراسات لسانية تطبيقية، د:مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.
- دراسة السمع والكلام، د: سعد مصلوح، عالم الكتب ،القاهرة، ط٢ ١٤٢٦هـ.
- دلالة السياق :الدكتور عبدالعزيز بن ردة بن ضيف الله الطلحي، مطبوعات جامعة أم القرى ط١٤٣٤،١هـ.
- دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط ٣، ١٤١٣هـ.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٢.
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ،ط ٥، د ت.
- ديوان بشار بن برد، جمعه وعلق عليه الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية، د ط، ٢٠٠٧م.
- ديوان ذي الرمة، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي رواية الإمام أبي العباس ثعلب، تحقيق، د: عبدالقدوس أبوصالح، مدرسة الإيمان ، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ
- رحلة العلامة من النطق إلى الكتابة، د: محمد ربيع الغامدي، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج٤٠، م١٠، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ- يونيو٢٠٠١م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق، د: حسن محمود هنداوي، دار القلم، دمشق،ط٢، ١٤١٣.
- السليقة اللغوية بين ابن جني وتشومسكي لعبدالله الجهاد، نقلاً عن العربية بين السليقة والتقعيد دراسة لسانية، د: رياض عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ.
- السليقة عند العرب المحدثين، عبدالله كنون، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، ع٢، رمضان ١٣٨٤هـ.

- السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين د: صادق عبد الله أبي سليمان، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ٩٧
- سوسير رائد علم اللغة الحديث، د: محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط ، د ت.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠.
- شرح الكافية الشافية، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق د: عبدالمنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١٣٠٢،١هـ.
- الصاحبي لابن فارس، تحقيق : السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د ط، د ت.
- صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى، د: عبدالمنعم عبدالله حسن إبراهيم، ضمن بحوث مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر (الأول) المحور الثاني.
- صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث، د: حليمة عمايرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٦٧.
- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، د: أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط ، ١٩٩٤م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، د ط ، ١٩٩٨م.
- ظاهرة الركام اللغوي بين القدماء والمحدثين، أطروحة دكتوراه قدمها الطالب: منصور عبدالكريم الكفاوين إلى قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة مؤتة ، إشراف أ،د: عبدالقادر مرعي الخليل ، عام ٢٠٠٧.
- ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصل، د: مهدي أسعد عرار، دار وائل، عمّان، ط١، ٢٠٠٣م.
- عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والكواكب، د: لطفي عبدالبديع، النادي الثقافي،جدة، ط٢، ١٤٠٦.
- العرب والانتحار اللغوي، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية و الثنائية اللغوية، إبراهيم كايد محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مج٣، ع١، ذو الحجة ١٤٢٢هـ، مارس ٢٠٠٢م.
- العربية المعاصرة والحس اللغوي، د: نعمة رحيم العزاوي، مجلة الذخائر، ع ٤، خريف ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- العربية بين الفصحى والعامية، عارف النكدي، مجلة المجمع العلمي في دمشق ، مج ٤٤، شوال ١٣٨٨هـ.
- العربية دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له د: عبدالحليم النجار، الدار المصرية السعودية، القاهرة، د ط، ٢٠٠٦م.
- العربية والإعراب، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.
- العربية والغموض...، د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ٢٠١٣م.
- العرف اللغوي دراسة لغوية ثقافية، رسالة دكتوراه مسجلة برقم ١٤٣١١ في جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، من إعداد خالد بن أحمد الغامدي .
- العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، محمد سعيد الغامدي، نشر مجلة جامعة الطائف الآداب والتربية.
- العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية، د: سليمان العايد، ضمن كتاب محاضرات في اللغة العربية، مكتبة الرشد، الرياض، د ط، د ت.
- علم الأصوات، د: كمال بشر ، دار غريب، القاهرة، د ط ٢٠٠٠م.
- علم الدلالة (إطار جديد) ف.ر.بالمر، ترجمة د: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط،١٩٩٥م.
- علم اللسان، أنطوان ماييه، ترجمة د: محمد مندور ضمن كتاب في النقد المنهجي عن العرب ومنهج البحث في

الأدب واللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٣م.
- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د: هادي نهر، دار الغصون، بيروت، ط ١، ١٤٠٨.
- علم اللغة الاجتماعي مدخل، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧.
- علم اللغة الاجتماعي، د: هدسون، ترجمة د: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠م.
- علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة العربية، د: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، ١٩٩٥.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران،دار النهضة العربية ، مصر، د ط و ت.
- فرديناند دى سوسير(أصول اللسانيات الحديثة والعلامات)، جوناثان كلر، ترجمة د: عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د ط، ٢٠٠٠م.
- الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة، د: صالح بلعيد، ضمن أعمال الدولية (الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٨م.
- الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، د: نهاد الموسى، ضمن أعمال الندوة الدولية (الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب) منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٨.
- فصول في فقه العربية، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٧هـ.
- فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي، علّق عليه، د: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- فهم اللغة نحو علم لغة لمرحلة جومسكي، تيرنس موور و كريستين كارلنغ، ترجمة د: حامد حسين الحجاج ، مراجعة د:سلمان داود الواسطي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٩٨م.
- الفوائت القطعية والفوائت الظنية التعريف والمظان والأنواع والضوابط، د: عبدالرزاق الصاعدي، مدونة مجمع اللغة الافتراضي في شبكة المعلومات العالمية، نشرت في يوم الجمعة ٧ نوفمبر ٢٠١٤م .
- في أصل اللهجات العربية الحديثة، د: عبدالله حمد، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الرباط، ع٤٢، ١٩٩٦.
- في أصول اللغة والنحو، د: فؤاد حنا ترزي، دار الكتب ، بيروت، د ط، د ت، ص ١٨٧.
- في التراث والشعر واللغة، د: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.
- في الصواتة البصرية من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب، د: مبارك حنون، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م..
- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د: سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- في اللهجات العربية ،د: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، ٢٠١٠م.
- في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، د: محمد أحمد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، د ط، ١٩٧٨م.
- في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، د: سعد مصلوح، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١، ١٤١٤هـ.
- في علم اللغة ، د: غازي مختار طليمات، دار طلاس، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- في علم اللغة التقابلي دراسة تطبيقية، د: أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، اللإسكندرية، د ط، ١٩٨٥م.
- القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ، د: سليمان بن إبراهيم العايد، ضمن كتاب مقالات في اللغة العربية، ج١، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- قضايا أساسية في علم اللغة الحديث، د: مازن الوعر ، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٨.

- قضايا ألسنية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)،د: ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، منشورات دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٤هـ.
- قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، د: سمر روحي الفيصل،مركز زايد للتراث والتاريخ، العين الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٨هـ.
- القضايا اللغوية في مجلة المقتطف، أطروحة دكتوراه في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مسجلة برقم٥٧٦٩، ١٤٢٦هـ، من إعداد ،: محمد بن عبدالله الجغيمان، إشراف، أ،د: سليمان بن إبراهيم العايد.
- قضية التحول إلى الفصحى، في العالم العربي، د: نهاد الموسى، دار الفكر، عمّان ،ط ١، ١٩٨٧م.
- قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، ترجمة د: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٨٨م.
- القياس في اللغة العربية، د: محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٤١٥هـ.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- الكلمة دراسة لغوية معجمية، د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، د ط ، ١٩٨٨م..
- الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ١٤١٩هـ.
- لحن العامة والتطور اللغوي، د: رمضان عبدالتواب، زهراء الشرق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت ط٣، ١٤١٤.
- اللسانة الاجتماعية، جولييت غارمادي، عرّبه د: خليل أحمد خليل ، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩٠.
- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها، ماريوي باي ، ترجمة صلاح العربي، د ط ١٩٧٠.
- لغة أكلوني البراغيث، د: محمد أحمد الدالي، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مج٦٨، ج٣ محرم ١٤١٤هـ.
- اللغة الثالثة النظرية والتطبيق من خلال كتاب الدكتور معتوق نظرية اللغة الثالثة منهجا وتطبيقا،د: يس أبو الهيجاء ، وقد طُبع ضمن أبحاث المؤتمر في المحور الثاني، الجزء الثالث.
- اللغة العربية العامية المشتركة، تشارلز فرجسون، من ضمن كتاب دراسات في تاريخ اللغة العربية، ترجمة وتقديم وتعليق د: حمزة المزيني، كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٣٥.
- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت ، ص ٢١٣.
- اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، كيس فرستيغ، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م.
- اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقُوى التحوُّل، د: نهاد الموسى، دار الشروق، عمّان، ط ١، ٢٠٠٧.
- اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية . د: عبدالعلي الودغيري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ ١٤٣٤هـ .
- اللغة العربية معناها ومبناها، د: تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٤٣٠.
- اللغة العليا النظرية الشعرية، جون كوين، تحقيق د: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢، ٢٠٠٠م.
- اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة، د: صالح الزهراني، منشورات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٣هـ.
- اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان موكاروفسكي، ترجمة إلفت كمال الروبي، مجلة فصول النقد الأدبي، مج٥،ع١.

- اللغة بين القومية والعالمية، د: إبراهيم أنيس، دار المعارف، مصر، د ط، د ت .
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د: تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ،ط٤ ٢٠٠٠م..
- لغة تميم دراسة تأريخية وصفية، د: ضاحي عبدالباقي، مجمع اللغة العربي، القاهرة، د ط ، ١٤٠٥هـ.
- اللغة دفاتر فلسفية (نصوص مختارة) ، إعداد وترجمة، محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبدالعالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م.
- اللغة في المجتمع، م.م.لويس، ترجمة د: تمّام حسان،عالم الكتب، القاهرة، د ط، ١٤٢٣هـ.
- اللغة والحضارة، د: مصطفى مندور، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، ١٩٧٤م.
- اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب، د: أحمد كشك، دار غريب ، القاهرة ، د ط، ٢٠٠٤.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لايتز، ترجمة د: عباس صادق الوهاب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
- اللغة، ج.فندريس، تعريب عبدالحميد الدواخلي و محمدا القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط ١٩٥٠.
- لغتنا والحياة ، د: عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، ط٢، د ت.
- اللهجات العربية في التراث ، د: أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، د ط ، ١٩٨٣م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د: عبده الراجحي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠.
- اللهجات العربية نشأة وتطورا، د: عبدالغفار حامد هلال،دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٤٣٢هـ.
- اللهجات وأسلوب دراستها، د: أنيس فريحة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، غالب فاضل المطلبي، وزارة الشؤون الثقافية العراقية، بغداد، د ط، ١٩٧٨م.
- ليس في العربية تضخم لفظي، د: نعمة رحيم، مجلة المنهل ، جدة، ع ٥٠٤، مج ٥٤، شوال ١٤١٣هـن أبريل ١٩٩٣م، ص ٦٨.
- مباحث تأسيسة في اللسانيات، د: عبدالسلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، د: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- المتحف في رسم المصحف، د: عبدالكريم إبراهيم عوض صالح، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- محاضرات في علم اللسان العام ، فرديناند دي سوسير، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب ، ط٢، ٢٠٠٨.
- المحظورات اللغوية د: حسن خميس الملخ و د: سهى فتحي نعجة، عالم الكتب الحديث، إربد الأدرن، ط١، ٢٠١٥م.
- المخصص لابن سيدة، دار الكتب العلمية، بيروت ، مُصورة عن طبعة المطبعة الأميرية ببولاق، ط١، ١٣٢٠هـ.
- مدارس اللسانيات ، جفري سامسون، ترجمة د: محمد زياد كبة، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، د ط ، ١٤١٧هـ.
- المدارس اللسانية المعاصرة، د: نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، دت.
- مدخل إلى اللسانيات، د: محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مدخل إلى علم اللغة ، د: محمد حسن عبدالعزيز ، دار النمر للطباعة، د ط، د ت.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط ٢، ١٤٠٥.

- مدخل إلى علم اللغة، د: محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٩٩٢م .
- مدخل إلى علم اللغة، هايدرون بلتس، نقله إلى العربية د: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.
- المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى، فولف ديتريش فيشر ، ترجمة د: إسماعيل عمايرة ، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، عمّان، ط١، ١٤١٧هـــ.
- المزهر في علوم اللغة، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط ٣، د ت..
- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق د: محمد كامل بركات، منشورات جامعة الملك عبدالعزيز، مركز البحث العلمي وإحياء التراث في مكة المكرمة، د ط، ١٤٠٠.
- مشكلات القياس في اللغة العربية، د: عبدالصبور شاهين مجلة عالم الفكر الكويتية مج١، ع٣.
- مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب ومطبعتها، الخماسين(مصر)، د ط، د ت.
- مشكلات فلسفية مشكلة البنية، د:زكريا إبراهيم، مكتبة مصر ، د ط، د ت .
- مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، د: أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، د ط، ١٩٩٦م.
- المظاهر الطارئة على الفصحى، د: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة،د ط ، ١٩٨٠م.
- معاني النحو للأستاذ الدكتور، سليمان بن إبراهيم العايد، طُبع ضمن بحوث مؤتمر "العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة" في جامعة المنيا في الفترة ٤ـــ٦مارس٢٠٠٧م الموافق١٥ـــ١٤٢٨/٢/١٧هـــ ونُشر في مجلة العرب العددين ج٩و١٠ الربيعان وج١١و١٢الجماديان من سنة ١٤٢٨/٤٢هـــ
- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، القاهرة، د ط، د ت.
- معجم القراءات، د: عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين ، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـــ
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- معجم شواهد النحو الشعرية ، د: حنّا جميل حدّاد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـــ،
- معجم علم العروض، محمد أسبر محمد أبو علي، دار العودة بيروت، ط١، ١٩٨٢.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د: أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- المعنى والقاعدة النحوية، د: محمود حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، ج١٧، ع٣٢، ذو الحجة ١٤٢٥هـــ .
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، د:محمد محمد يونس علي ، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
- المعيارية هذا المنهج الذي حفظ وِحدة العربية، د: إسماعيل عمايرة، ضمن أبحاث مؤتمر اللغة ومواكبة العصر (الأول) المحور الخامس.
- مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق د: علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، ط٦، ٢٠١٢م.
- مقدمة الصحاح، أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، د: محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مقدمة لدراسة علم اللغة، د:حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية، د ط،٢٠١٤.

- ملحق الرسالة، جريدة المدينة، العدد رقم ١٨٢٧٢، في يوم الجمعة ١٤٣٤/٦/٢٣هـ الموافق ٢٠١٣/٥/٣م.
- من أسرار اللغة، د: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، دت.
- من أسرار اللغة، د: إبرهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، دت.
- من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة، د: رمضان عبدالتواب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٥، ج١، ع ٤٧
- مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، د ط ت ١٤٠٠.
- المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، د: أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- المنصف ، لابن جني ، تحقيق : إبرهيم مصطفى وعبدالله أمين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ.
- المنطق الحديث ومناهج البحث، د: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، د ت.
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد أمزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ط٤، ١٤٢٩هـ.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ،د: علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ١٩٨٦م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، د: عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، ١٤٠٠، ص ١٠.
- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د: نوزاد حسن أحمد، منشورات جامعة قار يونس، ط١، ١٩٩٦م.
- موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى، محمد فريد أبو حديد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٣م .
- نحو الصوت ونحو المعنى، نعيم علوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١ ١٩٩٢م.
- النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، د: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، ١٩٧٩م.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، د: محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠.
- نظرات في التراث اللغوي العربي، د: عبدالقادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- نظرية اللغة الثالثة دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، د: أحمد محمد المعتوق، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٥م.
- نظرية اللغة في النقد الأدبي، د: عبدالحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د: نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ.
- نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة وتعليق د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، ٢٠١١.
- الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، د: نهاد الموسى ، نُشرت في جامعة شيراز ضمن ١٦مقالة عن سيبويه في كتاب خاص، ١٣٥٣.

فهرس
المحتويات

الموضوع الصفحة

الملخص باللغة العربية ٣

المخلص باللغة الإنجليزية ٤

المقدمة: ٥

التمهيد (من الصوت إلى اللفظ) ١٣

مفهوم الصوت الإنساني ١٥

الصوت اللغوي ١٦

اللغة والكلام ١٨

اللغة مؤسسة اجتماعية ٢٠

الباب الأول: النظرية اللغوية لدراسة اللهجات المحكية ٢٣

الفصل الأول:منزلة المنطوقة (اللهجة/العامية) في كتب علم اللغة الحديث ٢٤

المبحث الأول: التسوية بين اللغات والمستويات اللغويّة . ٢٥

المبحث الثاني: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة . ٣٥

المبحث الثالث: سمات اللغة المنطوقة في كتب علم اللغة الحديث . ٤٧

المبحث الرابع: دلالات الذوق اللغوي. ٥٨

المبحث الخامس: معيار الصواب اللغوي. ٦٥

الفصل الثاني : صورة اللهجات (اللغة المنطوقة) في كتب علم اللغة الحديث ٧٤

المبحث الأول: الظواهر اللهجية بين المنطوقة والنموذجية في ضوء الموروث الشفوي. ٧٦

المبحث الثاني: العلاقة بين الفصحى (النموذجية) والعامية (المنطوقة) . ٨٩

المبحث الثالث: الازدواج اللغوي ٩٨

الباب الثاني : الممارسات الإجرائية والمقاصد النفعية لتقعيد اللهجات المحكية ١٠٧

الفصل الأول : بناء المفاهيم من خلال الحديث عن: ١٠٨

المبحث الأول: السليقة" الفطرة ". ١٠٩

المبحث الثاني: الاستقراء . ١١٧
المبحث الثالث: النموذج والطراز. ١٢٤
الفصل الثاني : مظاهر تقعيد اللهجات المحكية من خلال: ١٣٠
المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام . ١٣١
المبحث الثاني: إلغاء الإعراب والتعلق بالقرائن . ١٣٦
المبحث الثالث: تمثيل الكلام بين الرسم والنطق. ١٤٧
الفصل الثالث : المقاصد النفعية من دراسة اللهجات وتقعيدها من خلال: ١٥٦
المبحث الأول: التهوين من قداسة اللغة وما يتصل به . ١٥٧
المبحث الثاني: إعلاء شأن اللغة الثالثة . ١٦٤
المبحث الثالث: إثراء المعجم العربي . ١٧١
المبحث الرابع: توجيه المنطوق للمكتوب وتفسيره. ١٧٨
الخاتمـــــــــــــة. ١٨٤
فهرس المصادر والمراجع. ١٨٩
فهرس المحتويات ١٩٩